RAGIP PAŞA
2065
2

٤٩٧٤

احمد الله على اختتام
الجلد الاول وافتتاح

الجلد الثاني من البيضاوي

باهتمام اظفر علي في المطبع
الاحمدي الواقع في دهلي

T.C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KÜTÜPHANESİ
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 2065/2

R.4
2358

سورة مريم مكية الا اية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص

امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجي ياءات وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وابو بكر كليهما ونافع بين بين وابن كثير ونافع وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القران فانه مشتمل عليه او خبر مبتدأ محذوف اى هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدأ حذف خبره اى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضي وذكر على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب انى وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل في الحركات الثلث واشتعل الراس شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الراس الذى هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لى وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه وانى خفت الموالي يعنى بنى عمه وكانوا من اشرار بنى اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائى بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالي اى خفت فعل الموالي من ورائى او الذين يلون الامر من ورائى وقرئ خفت الموالي من ورائى اى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدى او خفوا ودرجوا قدامى فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امراتى عاقرا لا تلد فهب لى من لدنك فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فانى وامراتى لا نصلح للولادة وليا من صلبى يرثنى ويرث من ال يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع

والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من ال يعقوب الملك وهو يعقوب ابن اسحاق عليهما السلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا او عمران بن ماثان من نسل سليمان وقرئ يرثنى وارث ال يعقوب على الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير لصغره ووارث من ال يعقوب على انه فاعل يرثنى وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته قال رب انى يكون لى غلام وكانت امراتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرا حمزة والكسائي وحفص بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال اى الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الامر كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو على هين ويؤيد الاول قراءة من قرا وهو على هين اى الامر كما قلت او كما وعدت وهو على هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء وقرا حمزة والكسائي وقد خلقناك قال رب اجعل لى اية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال ايتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا سوى الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في ال عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان مامورا بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه وان تحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتب التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق واتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنباه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكوة وطهارة من الذنوب او صدقة اى تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصيا ربه وسلم عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بنى ادم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيامة واذكر في الكتاب في القران مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه

وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني فيكون بدلا لا محالة
من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول
لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا سترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في
مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت
فبينما هي في مغتسلها اتاها جبريل متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق لتستانس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر
نطفتها الى رحمها قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقي الله تعالى وتحتفل بالاستعاذة
وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني عائذة منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان
يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول ربك الذي استعذت
به لاهب لك غلاما لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله سبحانه ويؤيده قراءة ابي عمرو
والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير والصلاح اي مترقيا من سن الى سن على الخير
والصلاح قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما
الزنا فانما يقال فيه خبث بها او فجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه
ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب
كطالق قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اية اي ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف
على ليهب على طريقة الالتفات اية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون
بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء الله في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل
لكونه اية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية
ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت
حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور في موضع الحال مكانا
قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجاها المخاض وهو في الاصل منقول
من جاء لكنه خص به في الاستعمال كاتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المراة اذا تحرك الولد
في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة
يابسة لا راس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها وكانت
كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من اياتها ما يسكن روعها ويطعمها الرطب الذي
هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح
لما يذبح وقرا حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط

بالماء ينسؤه اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها
عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح
من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة الا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحزني
قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى وهزي اليك بجذع
النخلة واميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او افعلي الهز به او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع
تساقط عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرا يعقوب بالياء وحفص تساقط من
ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط ويسقط وتسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول
روي انها كانت نخلة يابسة لا راس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها راسا وخوصا ورطبا
وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة
لمن راها عليه على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من
شانها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي اي من الرطب وماء السري او من
الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ وقري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه
من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه عن النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة
ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا فان ترى
ادميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتاخ بين الهمزة وحرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما
صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري وانما
اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى
فانه قاطع في قطع الطاعن فاتت به مع ولدها قومها راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا
يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد يا اخت هارون يعنون هارون النبي وكانت من اعقاب
من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في
زمانهم شبهوها به تهكما او لما راوا قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا تقرير
لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه الى عيسى اي كلموه ليجيبكم
قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا
حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله كان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله انطقه الله اولا لانه اول
المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته اتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير
بلفظ المضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او يجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنباه طفلا
اينما كنت حيث كنت واوصاني وامرني بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل

ثم امت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل
دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله
من فرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس
والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع
الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى بن مريم اي الذي تقدم نعته هو عيسى بن مريم
لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله الموصوف
باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان
والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر
ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في امره يشكون
او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد
سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد
شيئا اوجده بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب
على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان
والبصري بان ان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلوة فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى
او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية
قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه
وهو يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء
والسنتهم وآرائهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه
اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم يأتوننا اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد
ما كانوا صما وعميا في الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم
مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع
النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث
اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس
المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار
واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض
او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم
ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب ابراهيم

انه

انه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله نبيا
استنباه الله اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة من
ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في
جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق وحسن ادب حيث
لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن
عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت
المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا
مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق
كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر
ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا
بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل
المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه
بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد
الشيطان واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان
كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه
بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا
في اللعن او العذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب
وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من
جناياته لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها قال
اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم
يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب
كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها والرغبة عنها لارجمنك بلساني
يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني
واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة
بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان
حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان بي حفيا
بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وادعو ربي واعبده وحده

عسى

عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس
والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحاق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام اتى اولا
حران وتزوج بسارة وولدت له اسحاق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء او لانه اراد
ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد
وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد
باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون
عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتب موسى انه كان مخلصا
موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله
اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه من
جانب الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام
من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من
النجو وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض
رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى باربع سنين
وهو مفعول او بدل هارون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر في الكتب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره
بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال
ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم
كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب
الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله
فان الانبياء آباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتب ادريس وهو سبط شيث وجد
ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا
من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم
والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة
او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية
والدنياوية من النبيين بيان للموصول من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض لان
المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا
ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم اي

ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية و
ممن هدينا ومن جملة من هدينا الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا
خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من
علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل وعن النبي عليه السلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا
فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التانيث غير حقيقي وقرأ حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء
فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة
تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي
رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا
يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في
جهنم تستعيذ منه اوديتها الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول يدخلون من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء
اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات
عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وعدن
علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد
الرحمن عباده بالغيب اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه
كان وعده الذي هو الجنة مأتيا يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا
لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم
الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه
كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو
من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة
والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة
تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب
بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا
زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة
عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع
نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على

ما يقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن
فيه من الاماكن او الاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيته وما كان
ربك نسيا تاركا لك اى ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت
الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله
ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان
ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اى وما كان ربك ناسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله
رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر
لعبادته خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرتب عليه اى لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل
على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة
فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها
او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالي ذاته عن المماثلة
بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اى اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم
لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم
وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه
اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ائذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من
حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه
اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام
في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروي عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على
الخبر اولا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما
للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتامل انا خلقناه من قبل
ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها
من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ
يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول صلى الله
عليه وسلم والشياطين عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم
كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة
مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة
وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه

من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف كلهم جاثون لقوله تعالى وترى كل امة جاثية
على المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم
اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم ثم لننزعن من كل شيعة
من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه
على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم
في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر
الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه
منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة
محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم
للعلم او مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة
لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا
اى نحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا
رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص صليا بكسر الصاد وان
منكم وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر بها
المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال
بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك
عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما
مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين
اتقوا فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اى هناك ونذر الظالمين فيها
جثيا منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد
تجاثيهم ويبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني
بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم
اى الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اى موضع اقامة
ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الايات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل
عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم
عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا
بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر

في ناديه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جدّ منه والخرثي ما رث
والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرا نافع وابن عامر ريًّا على قلب الهمزة وادغامها او على انه من
الري الذي هو النعمة وابو بكر رييًا على القلب وقرئ ريًا بحذف الهمزة وزيًّا من الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بيّن ان
تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدًّا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله
استدراجا وقطعا للمعاذير كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله تعالى او لم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير حتى اذا راوا
ما يوعدون اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم
وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا
من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط
والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع
وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد
القول كانه لما بيّن ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به
ما هو خير منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له
هداية والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي
يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير ههنا اما لمجرد
الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين
مالا وولدا نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا
ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل
ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرا حمزة والكسائي وُلدا وهو
جمع وَلد كأُسد في أَسد او لغة فيه كالعُرب والعَرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي
توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم
الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح
فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له
انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة
العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتاخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد

ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستاهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله
ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد ويأتينا يوم القيمة فردا
لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا
من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده كلا ردع وانكار
لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا او سينكر
الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا
يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اي يكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان توقد
بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به
مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلًّا بالتنوين على قلب الالف
نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الراي كلًّا وكلًّا على اضمار فعل
يفسره ما بعده اي سيجحدون كلًّا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم عليهم
او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات
المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم
ايام آجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين
نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام
فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين
لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش
او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا
من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح
على ما وعد الله تعالى او الا من اتخذ من الله اذنا فيها لقوله تعالى لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد
الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة
من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به
ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس
جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى والاد بالفتح
والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرا نافع والكسائي
بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى وقرا ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول

ابلغ لان التفعّل مطاوع فعّل والانفعال مطاوع فعَل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض وتخر الجبال هدّا تهدّ
هدًّا او مهدودة او لانها تهدّ اي تكسر وهو تقرير لكونه ادًّا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصوّر
بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله تعالى بحيث لولا
حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدًّا على
حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدًّا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمّى المتعدي الى مفعولين
وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دُعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادّعى الى فلان اذا
انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل
ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم
كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات والارض
اي ما منهم الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آتٍ الرحمن على الاصل
لقد احصاهم حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدّهم عدّا عدّ اشخاصهم وانفاسهم
وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة فردا منفردا من الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك
ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا سيحدث لهم في القلوب مودة
من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله تعالى عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه
فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين
لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود في القيمة حين تعرض
حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى
على او على اصله لتضمن يسرناه معنى انزلنا اي انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما
لدا اشداء الخصومة آخذين في كل لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف
للكفرة وتجسير للرسول صلى الله عليه وسلم على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع لهم
ركزا وقرئ تُسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض
والركاز للمال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا و
صدّق به ويحيى وعيسى ومريم وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله.

سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمهما ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما
الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عكّ فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب

والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدّس الله اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون
قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في
تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر
وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن
يرد ذلك كتبتهما على صورة الحروف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمتين وهما طا وها وعبّر عنهما باسمهما
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مؤول بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع
العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستيناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار
مبتدأ او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك
الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض
المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم
لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن انزل عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا
وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا
فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف او القرآن او مفعول له
على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن اي ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة لمن يخشى لمن في
قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار
فعله او بيخشى او على المدح او على البدل من تذكرة ان جعل حالا لا ان جعل مفعولا له لفظا او معنى فان الشيء لا يعلل
بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بعرض
تعظيم شأن المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التي هي
اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى
ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه
الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال الرحمن على العرش استوى له ما في
السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة
للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر
بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير
النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله تعالى بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها
ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بيّن انه
المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق الارض صلة لتنزيلا

أو صفة له والانتقال من التكلم إلى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين إسناد إنزاله إلى ضمير الواحد
العظيم الشأن ونسبته إلى المختص بصفات الجلال والإكرام والتنبيه على أنه واجب الإيمان به والانقياد له من
حيث إنه كلام من هذا شأنه ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة
لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا إن رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز أن يكون خبرا
ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الأرض وهي آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الأحسن وفضل أسماء الله تعالى على سائر الأسماء
في الحسن لدلالتها على معان هي أشرف المعاني وأفضلها وهل أتاك حديث موسى قفى تمهيد نبوته صلى الله عليه
وسلم قصة موسى عليه السلام ليأتم به في تحمل أعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فإن هذه السورة
من أوائل ما نزل إذ رأى نارا ظرف للحديث لأنه حدث أو مفعول لاذكر قيل إنه استأذن شعيبا عليهما السلام في الخروج
إلى أمه وخرج بأهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة
وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته إذ رأى من جانب الطور نارا فقال لأهله امكثوا أقيموا مكانكم وقرأ حمزة لأهله امكثوا
هنا وفي القصص بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها إني آنست نارا أبصرتها إبصارا لا شبهة فيه وقيل الإيناس
إبصار ما يؤنس به لعلي آتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة أو أجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق
أو يهديني أبواب الدين فإن أفكار الأبرار مائلة إليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الأمر فيهما على
الرجاء بخلاف الإيناس فإنه كان محققا ولذلك حققه لهم بإن ليوطنوا أنفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار أن
أهلها مشرفون عليها أو مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد إنه لصوق بمكان يقرب منه فلما
أتاها أتى النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى إني أنا ربك فتحه ابن كثير وأبو عمرو أي بأني وكسره
الباقون بإضمار القول أو إجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل إنه لما نودي قال من المتكلم قال إني أنا الله
فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء وهو
إشارة إلى أنه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتقش به
من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك أمره بذلك لأن الحفوة تواضع وأدب ولذلك طاف السلف حافين وقيل
لنجاسة نعليه فإنهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الأهل والمال إنك بالواد المقدس تعليل
للأمر باحترام البقعة والمقدس يحتمل معنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو
كثنى من الطي مصدر لنودي أو المقدس أي نودي نداءين أو قدس مرتين وأنا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة
وأنا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى إليك أو للوحي واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين إنني أنا الله لا إله
إلا أنا فاعبدني بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والأمر بالعبادة التي هي كمال
العمل وأقم الصلاة لذكري خصها بالذكر وأفردها بالأمر للعلة التي أناط بها إقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب
واللسان بذكره وقيل لذكري لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لأن أذكرك بالثناء أو لذكري خاصة لا تراءي بها

ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتي لما روي أنه عليه السلام
قال من نام عن الصلاة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها إن الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية كائنة لا محالة
أكاد أخفيها أريد إخفاء وقتها أو أقرب أن أخفيها فلا أقول إنها آتية ولولا ما في الإخبار بإتيانها من اللطف وقطع الأعذار
لما أخبرت به أو أكاد أظهرها من أخفاه إذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح أخفيها من خفاه إذا أظهره لتجزى كل
نفس بما تسعى متعلق بآتية أو بأخفيها على المعنى الأخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة أو عن الصلاة من
لا يؤمن بها نهى الكافر أن يصد موسى عنها والمراد نهيه أن ينصد عنها كقوله لا أرينك ههنا تنبيها على أن فطرته السليمة
لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وأنه ينبغي أن يكون راسخا في دينه فإن صد الكافر إنما يكون بسبب ضعفه فيه
واتبع هواه ميل نفسه إلى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك بالانصداد بصده وما
تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب بيمينك حال من معنى الإشارة وقيل صلة تلك
يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل أتوكأ عليها أعتمد عليها
إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وأهش بها على غنمي وأخبط الورق بها على رؤس غنمي وقرئ أهش وكلاهما من هش
الخبز يهش إذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم أي أنحي عليها زاجرا لها ولي فيها مآرب أخرى
حاجات أخر مثل أنه كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء
واستظل به وإذا قصر الرشاء وصله بها وإذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها فكأنه عليه السلام فهم أن المقصود من السؤال
أن يذكر حقيقتها أو ما يرى من منافعها حتى إذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص أخرى
خارقة للعادة مثل أن تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصير دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب
عنه إذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها علم أن ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله فيها لأجله وليست من خواصها
فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى أنها من جنس العصا تنفع منافع أمثالها ليطابق جوابه الغرض الذي
فهمه قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت
فلذلك سماها جانا تارة نظرا إلى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية أخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت
في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان قال خذها ولا تخف فإنه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر
والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الأولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة
والهيئة وانتصابها على نزع الخافض أو على أن أعاد منقول من عاده بمعنى عاد إليه أو على الظرف أي سنعيدها في
طريقتها أو على تقدير فعلها أي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الأولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل
قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها واضمم يدك إلى جناحك إلى جنبك تحت
العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لأنه يجنحهما عند
الطيران تخرج بيضاء كأنها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة

لان الطباع تعافه وتنفر عنه آية اخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ
او دونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه الآية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك
والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة
انه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره الله تعالى بخطب عظيم وامر جسيم سأله
ان يشرح صدره ويفسح قلبه ليتحمل اعباءه والصبر على مشاقه والتلقي لما نزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث
الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيدا او مبالغة
واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك
ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا
بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها
فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة
بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب
عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن
لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي يعينني على ما كلفتني
به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه و
يلتجئ اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس
قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهارون وقدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال او لي ووزيرا
وهارون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل
من هارون او مبتدأ خبره اشدد به ازري واشركه في امري على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر
على انهما جواب الامر كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون مما يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده
انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هارون نعم المعين لي فيما امرتني به قال قد
اوتيت سؤلك يا موسى اي مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول ولقد مننا عليك
مرة اخرى انعمنا عليك في وقت آخر اذ اوحينا الى امك بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على
وجه النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام
به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف يقال
للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه
اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز
مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف

فالبحر

في البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض ياخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو
للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته
في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على راسها
مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال والقيت عليك
محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون
ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو
شاطئه لان الماء يسحله فالتقطه منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عيني ولتربى
ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل
معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اي
وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على
ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم
متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك
الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن هي بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها
وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص
فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع
فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله
في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك
اوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين في اهل مدين لبث فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على
ثمان مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستاخر او على
مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك
لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك
باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري
والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحي الى هرون
ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى
فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك
وقيل كنياه وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت
لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان

الراجي

الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة
واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اي وان لم
يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر
الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته
اذا حملته على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي او جني على المعاجلة
بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية او ان يطغى اي يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراته
وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من
قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما
سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني
اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم
في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من
الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك بآية من ربك جملة مقررة
لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها
لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية او لو جئتك بشيء مبين والسلام على من
اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى ان عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد
فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى اي بعدما اتياه وقالا له ما امرا به
ولعله حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء
لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله تعالى
ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء من الانواع خلقه صورته
وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني لانه
المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف
على الشذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى
وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات
باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه
منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه
قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي اي انه غيب

لا يعلمه

لا يعلمه الا الله تعالى وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب مثبت فيه وهو اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون
تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتابة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في
مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله
دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل
الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم
فيكون معنى الجواب ان علمه محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع
صفة لربي او خبر لمحذوف او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون هنا وفي الزخرف مهدا اي كالمهد تتمهدونها
وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا وحصل لكم فيها
سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا
به عدل من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة
والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء
فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة
ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا وكذلك
شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت
كمريض ومرضى اي متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال
كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا
والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية
عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول مواد
ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة
بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه آياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها
تاكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد بآياتنا آيات معهودة وهي الآيات التسع المختصة
بموسى او انه عليه السلام اراه آياته وعدد عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده
وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل
على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله
مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان
وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف
اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على

مكان

مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول
او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي
مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم
وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل
على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء
على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده
ما يكاد به يعني السحرة والاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته سحرا
فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستاصلكم وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات
وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك
عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا
من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى عليه السلام ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى و
تشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم
تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف
للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم
وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير
وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على
انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا وشدد ابن كثير نون هذان يريدان ان
يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار
مذهبه واعلاء دينه لقوله تعالى اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل اراد واهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل
فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى عليه السلام ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم
واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم
وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا
صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة
واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان
نكون اول من القى اي بعد ما اتوا مراعاة للادب وان بما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية محذوف
اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم
واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم

ويستنفذوا

ويستنفذوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل
اليه من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم ومعنى المفاجات والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها
وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجات والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى
وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت
فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه
بدل الاشتمال وقرئ يخيل بالياء على اسناده الى الله تعالى وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى
فاضمر فيها خوفا من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف
ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ
العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم
وعصيهم والق العويدة التي في يدك او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو
اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل
التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال او الاستيناف وحفص
بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر وقرئ كيد
بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة
او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح
الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت في سعي دنيا طالما قد
مدت كانه قيل انما صنعوا كيد سحري حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقى فتلقفت فتحقق عند
السحرة انه ليس بسحر وانما هو من ايات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتبارا
وتعظيما لما راوه قالوا امنا برب هارون وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروي الاي او لان فرعون ربى موسى
في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روي انهم راوا في
سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال امنتم له اي لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرأ قنبل وحفص امنتم له على
الخبر والباقون على الاستفهام قبل ان اذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم
الذي علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن
ابتدائية كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات
وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف
وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به
توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي امنوا به اشد عذابا وابقى وادوم عقابا

قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذى فطرنا
عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اى صانعه او حاكم به انما تقضى هذه الحيوة الدنيا انما
تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه فى هذه الدنيا والآخرة خير وابقى وهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرىء
تقضى هذه الحيوة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصى وما اكرهتنا
عليه من السحر فى معارضة المعجزة روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا
بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه من
يأت ربه مجرما بان يموت على كفره وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة مهناة ومن يأته مؤمنا
قد عمل الصالحات فى الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجرى من
تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الكفر
والمعاصى والآيات الثلث تحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون ابتداء كلام من الله ولقد اوحينا الى موسى ان اسر
بعبادى اى من مصر فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن
اذا عمله فى البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة
يبس للتى جف لبنها وقرىء يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة
كقوله كان قتود رحلى حين ضمت حوالب غرزا ومعا جياعا او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا
حال من المأمور اى آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر ولا
تخشى استيناف اى وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى
ولا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم فالمعنى فاتبعهم
فحذف المفعول الثانى وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم فغشيهم من اليم ما
غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اى غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرىء فغشاهم ما
غشاهم اى غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله او ما غشاهم او فرعون لانه الذى ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما
هدى اى اضلهم فى الدين وما هداهم وهو تهكم به فى قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم فى البحر وما نجا
يا بنى اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم فى عهد النبى صلى الله عليه
وسلم بما فعل باباءهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور الايمن لمناجاة موسى عليه السلام
وانزال التورية عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهى لموسى عليه السلام او له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم
المن والسلوى يعنى فى التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه او حلالاته وقرأ حمزة والكسائى انجيتكم وواعدتكم
ما رزقتكم على التاء وقرىء ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم
بالاخلال بشكره والتعدى لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبى فيلزمكم عذابى

ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع فى الهاوية وقرأ الكسائى
يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل وانى لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى
ثم استقام على الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها تقيصة
فى نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عليه السلام عن الامرين وقدم جواب
الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثرى ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بينى وبينهم الا مسافة قريبة
يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك
توجب مرضاتك قال فانا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم
مع هرون وكانوا ستمائة الف وما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا واضلهم السامرى باتخاذ العجل والدعاء
الى عبادته وقرىء واضلهم اى اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه
عشرين ليلة وحسبوها باياتها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند
مقدمه اذ ليس فى الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل
وقوع الشىء ان يكون فى علمه ومقتضى مشيته والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل
كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى الى قومه بعد ما استوفى
الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم
التورية فيها هدى ونور افطال عليكم العهد اى الزمان يعنى زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم
غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل فى الغباوة فاخلفتم موعدى وعدكم اياى بالثبات على الايمان بالله والقيام على
ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين
وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذى يليه ولا جوابهم له قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا
بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامرى لما اخلفنا وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائى بالضم
وثلثها فى الاصل لغات فى مصدر ملكت الشىء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم
حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا العيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به
وقيل هى ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد
او لانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربى فقذفناها اى فى النار فكذلك القى السامرى اى ما كان
معه منها روى انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامرى انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلى القوم وهو
حرام عليكم فالرأى ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر
وروح حملنا بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلى المذابة له خوار صوت العجل فقالوا يعنى السامرى
ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسى اى فنسيه موسى فذهب يطلبه عند الطور او فنسى السامرى

اى ترك ما كان عليه من اظهار الايمان افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم
جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر
على انفاعهم واضرارهم ولقد قال لهم هارون من قبل من قبل رجوع موسى او قول السامرى كانه اول ما وقع عليه
بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعونى
واطيعوا امرى فى الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى وهذا
الجواب يؤيد الوجه الاول قال يا هرون اى قال له موسى لما رجع ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل
الا تتبعن ان تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر بها وان تاتى عقبى وتلحقنى ولا مزيدة كما فى قوله ما منعك
ان لا تسجد افعصيت امرى بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه
كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام لا تاخذ بلحيتى ولا براسى اى بشعر راسى قبض عليهما يجره اليه
من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه السلام حديدا خشنا متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رأهم
يعبدون العجل انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولى
حين قلت اخلفنى فى قومى واصلح فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم
فتدارك الامر برايك قال فما خطبك يا سامرى اى ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اى ما طلبك له
وما الذى حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به وقرأ حمزة والكسائى بالتاء
على الخطاب اى علمت ما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذى جاءك روحانى محض لا يمس اثره
شيأ الا احياه او رأيت ما لم تروه وهو ان جبرئيل جاءك على فرس الحيوة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته
خوفا من فرعون وكان جبرئيل يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة
المرة من القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثانى للاخذ باطراف
الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبرئيل عليه السلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرئيل او اراد ان
ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها فى الحلى المذاب او فى جوف العجل حتى حيى و
كذلك سولت لى نفسى زينته وحسنته الى قال فاذهب فان لك فى الحيوة عقوبة على ما فعلت ان تقول لا مساس
خوفا من ان يمسك احد فياخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشى النافر
وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا فى الاخرة لن تخلفه لن يخلفكه الله وينجزه لك فى الاخرة بعد
ما عاقبك فى الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اى لن تخلف الواعد اياه وسيأتيك لا محالة فحذف المفعول
الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية
قول الله وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ
بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة فى حرق

اذا بره بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين فى اليم نسفا فلا يصادف
منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم
الله الذى لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه فى كمال العلم والقدرة وسع كل شئ علما وسع علمه كل ما يصح ان يعلم
لا العجل الذى يصاغ ويحرق وان كان حيا فى نفسه كان مثلا فى الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه
وان انتصب على التمييز فى المشهورة لكنه فاعل فى المعنى فلما عدى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا كذلك مثل
ذلك الاقتصاص يعنى اقتصاص قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة
تبصرة لك وزيادة فى علمك وتكثير المعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد اتيناك من لدنا ذكرا كتابا
مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما
بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذى هو القران الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله تعالى فانه يحمل
يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل
الذى يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين فيه فى الوزر او فى حمله والجمع فيه والتوحيد فى اعرض
للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيمة حملا اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اى
ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذى فيه للوزر اشكل امر
اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ فى الصور وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الامر به تعظيما له
او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ
فى الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان
الزرقة اسوء الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا فى صفة العدو
اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزراق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم
لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اى فى الدنيا يستقصرون
مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الاخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على
اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات او فى القبر لقوله تعالى ويوم تقوم الساعة الى اخر الايات نحن اعلم
بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون
اشد تقالا منهم ويسئلونك عن الجبال عن مال امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها ربى نسفا يجعلها
كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها
كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كان اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا
امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تاملت فيها بالقياس الهندسى وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث
باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعانى والامت وهو النتو اليسير وقيل لا ترى استيناف

حسنين للمحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة
يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى
صوته لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا
خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من
اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن له الرحمن او من اعم المفاعيل اي الا من اذن في ان يشفع له
فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن
ومن الاذن ورضي له قولا اي ورضي لمكانته عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شانه او قوله
لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما
ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع
ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك
القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل
ظلما وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو
مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه
بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص
اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الايات المتضمنة للوعيد انزلناه قرانا عربيا كله على هذه الوتيرة و
صرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه ايات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة او يحدث
لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القران
فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ
امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوتيته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه
بعد ذكر الاذن على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه وقل رب زدني علما اي
سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى ادم ولقد امرناه يقال تقدم
الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة ادم على قوله و
صرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بني ادم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا
الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم راي
وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدو امره قبل
ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني ادم بحلم ادم لرجح حلمه

وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما
مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم مقدر
باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة والثبات فسجدوا الا ابليس قد سبق
القول فيه ابى جملة مستانفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود
المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما من ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة
فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءهما من حيث انه قيم عليهما
ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك
ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب
الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى ان ينقطع
ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب
من حيث انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه وقرا نافع وابو بكر
وانك لا تظما بكسر الهمزة والباقون بفتحها فوسوس اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا ادم هل ادلك على
شجرة الخلد الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه وملك
لا يبلى لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان
الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى ادم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب
الخلد باكل الشجرة او عن المامور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا
اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه
ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها
واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال
اهبطا منها جميعا الخطاب لادم وحواء او له ولابليس ولما كانا اصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم
لبعض عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلاف حال كل من النوعين بواسطة الاخر ويؤيد
الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن
اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك
يستوي فيه المذكر والمونث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا
على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المومن الطالب للاخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع
ببركة الايمان كما قال تعالى ضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التورية والانجيل ولو ان اهل القرى

امثال الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف
وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول قال رب
لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد امالهما حمزة والكسائي لان الالف منقلبة عن الياء وفرق ابو عمرو بان الاول
راس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك اياتنا واضحة نيرة
فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب
وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها
ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي والنار بعد ذلك اشد وابقى من ضنك العيش او منه
ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات والكفر بها افلم يهد
لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها
والفعل على الاولين معلق يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون آثار
هلاكهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت من
ربك وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء
الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة
اي ولولا العدة بتاخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما
على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل
وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك
بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما من آخر النهار
او العصر وحده ومن آناء الليل ومن ساعاته جمع إنى بالكسر والقصر وإناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء
وانما قدم الزمان فيه لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة
فيه احمز ولذلك قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب
ارادة للاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر
فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او
بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى
نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به
استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير
والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف
دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم

وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف
ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الآخرة
او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وامر اهلك بالصلوة امره بان يامر اهل
بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا يهتموا بامر
المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك
نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي انه عليه السلام اذا اصاب اهله ضر
امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا باية من ربه باية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او باية
مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقران الذي هو ام المعجزات واعظمها
وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان
العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه
المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية فان
اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه
اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد
على صحتها وقرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقد قرئ بالبناء
للمفعول قل كل كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون
من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوأى والسوء اي الشر والسوي وهو تصغير
ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان يكون الثانية موصولة
بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة
او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ طه اعطي يوم
القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد
ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس
الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب
معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم

من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة ليأتيهم محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه
كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزءون به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط
اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين
بين الاستهزاء به والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير
واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو واسروا للايماء بانهم
ظلموا فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع
الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون
بأسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة
لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره
وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض
جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير
ههنا ليطابق قوله واسروا النجوى وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى
عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى
انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى
او للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن
والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه
ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم
في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم ليس فيه ما يناسب قول الشعراء
وهو ابعد من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام
ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو ابعد من كونه سحرا
لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فليأتنا باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا
وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية ما آمنت قبلهم من قرية
من اهل قرية اهلكناها باقتراح الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان
عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به لم يؤمنوا فاستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم وما ارسلنا
قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم يأمرهم
ان يسألوا اهل الكتاب من حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة عليهم اما للالزام فان المشركين كانوا
يشاورونهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا

كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من
خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا امثالهم وقيل جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي
في الاسواق وما كانوا خالدين تاكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد
لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تاويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك
لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم
الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او احد
من ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستئصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم
يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق
افلا تعقلون فتؤمنون وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم
كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشأنا بعدها بعد هلاك اهلها قوما آخرين مكانهم
فلما احسوا بأسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون
يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم
استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم
والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال
من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين
لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه
فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم
فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من
تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع
خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى
وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور
العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو
اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من
المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها
وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب
المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه

لذاته من اللعب اى بل من شاننا ان نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من عداده اللهو فيدمغه
فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ
بحيث يشق غشاءه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله سأترك
منزلى لبنى تميم والحق بالحجاز فاستريحا ثم وجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك
والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو فى
موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من فى السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده
يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من فى السموات وافراده
للتعظيم او لانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء فى السماء والارض ومبتدأ خبره
لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذى هو ابلغ من
الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار
ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو فى يسبحون وهو استيناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا
آلهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة الالهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء
وفائدتها التحقير دون التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية
فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم
لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها
لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الالهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على
غير كما استثنى بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون فى كلام غير
موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت فى المراد تطاردت عليه القدر وان
تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذى هو محل التدابير ومنشأ المقادير عما
يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسئل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة
الذاتية وهم يسئلون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للالهة او للعباد ام اتخذوا من دونه آلهة كرره
استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم سند من النقل الى
انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص
الالوهية او وجدوا فى الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل
على فساده عقلا وعلى الثانى ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من النقل فانه
لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معى وذكر من قبلى من
الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته

بعثة

بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معى امتى ومن قبلى الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم
لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما وبعدهما
بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتاكيد
بين السبب والمسبب فهم معرضون من التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من
رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلى من حيث انه خبر لاسم الاشارة
مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلثة وقرأ حفص وحمزة والكسائى نوحى اليه بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء
وفتح الحاء وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد
بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا
يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق
اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام
عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يامرهم
به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله
والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا
لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته عظمته ومهابته مشفقون مرتعدون واصل
الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدى بمن
فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدى بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق انى
اله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفى النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين
بتهديد مدعى الربوبية كذلك نجزى الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم
ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا ذات
رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اى كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع
والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون
واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة
بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات
سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما فى الامطار والكفرة
وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط
او استفسارا من العلماء ومطالعة للكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض
وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اى مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شىء حى وخلقنا من الماء

كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا
كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل ومفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا
يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسى اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميد بهم
وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن الالباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة
وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا
على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا
محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم
عن آياتها احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي
الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات كل في فلك
اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولنا كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح
على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء
لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افائن مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون
وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد
ما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة
المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر
والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا رآك الذين
كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال
فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاده الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم
او بالقرآن هم كافرون منكرون فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه
وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع
عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال
الوعيد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب ساوريكم آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي
الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها و
يقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيمة ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضي الله عنهم لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف
الجواب وحين مفعول يعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط
بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول

يعلم

يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا او لو يعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه
موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تأتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجأة مصدر او حال وقرئ
بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا الضمير
في قوله فلا يستطيعون ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او
ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن وعد له بان ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء
ما فعلوا يعني جزاءه قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه ان اراد بكم وفي
لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم
فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل الهم
آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضراب عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن
المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون
استيناف بابطال ما اعتقدوه فان من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء
وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم
من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت
اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون
انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدي
المسلمين افهم الغالبون رسول الله والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ
ابن عامر ولا تسمع على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه
موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء
والتقييد به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات
ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك
من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين
القسط العدل يوزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب
الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله او فيه كقولك
جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقها او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل
او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء
فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب وحسبنا والضمير للمثقال

للتعدية ايضا اذ لا يصح معنى المصاحبة في قوله وآتاهم بالجزاء لكن يرد عليه ان المفاعلة يقتضي اتحاد الاثنين في المفعول فلا يصح قوله وآتاهم بالجزاء ويجوز ان يقال مقصود المصنف بيان حاصل المعنى لا تعيين المفعول ١٢ح

وثانيته لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء
وذكرا للمتقين اى الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا
يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه
حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من
الساعة مشفقون خائفون وفى تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعنى القرآن مبارك كثير خيره
انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا ابرهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته
ليدل على انه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون او محمد وقيل من قبل
استنبائه او بلوغه حيث قال انى وجهت وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم
الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه متعلق بآتينا
او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون تحقير لشأنها
وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية
العكوف بعلى والمعنى وانتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا
آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد
كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل
والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم فى الجملة انه على حق قالوا أجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كأنهم لاستبعادهم
تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله انما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أبالجد تقوله ام تلعب به قال بل ربكم رب
السموات والارض الذى فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض
او للتماثيل وهو ادخل فى تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين
من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشئ وحققه وتالله وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء
بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن فى كسرها ولفظ الكيد وما فى التاء
من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين الى عيدكم ولعله قال ذلك
سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ
كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه
وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة
آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن المعبود
ان يرجع اليه فى حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين
رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه فى حطمها او بتوريط

نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثانى مفعولى سمع او صفة لفتى مصحح لان يتعلق به السمع
وهو ابلغ فى نسبة الذكر اليه يقال له ابراهيم هو ابراهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا فأتوا به على اعين
الناس بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته فى اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله او بقوله او يحضرون
عقوبتنا له قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل
اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على
اسلوب تعريضى كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق أأنت كتبت هذا فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من
مذهبهم جوازه وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابراهيم
وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وما روى انه عليه السلام قال لابراهيم ثلث كذبات
تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم
لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن
الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة
اسفل الشئ مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اى نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف
تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم
لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافى الالوهية اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه
على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له أفلا تعقلون قبح صنيعكم
قالوا اخذا فى المضادة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم
فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هيئون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا
يا نار كونى بردا وسلاما ذات برد وسلام اى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة
مطيعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلمنا
سلاما عليه روى انهم بنوا حظيرة بكوثى وأججوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال
له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فاسأل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله ببركته قوله
الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال انى مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف
بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على
خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى فى السمندر ويشعر
به قوله على ابراهيم وارادوا به كيدا مكرا فى اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا
على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض
التى باركنا فيها للعالمين اى من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين

شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنياوية قيل لكثرة النعم والخصب الغالب روى انه نزل
بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما او ولد ولد
او زيادة على ما سأل وهو اسحق فيختص بيعقوب ولا باس به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صلحين بان وفقناهم
للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك
وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله
ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف
الخاص على العام للتفصيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا
لنا عبدين موحدين مخلصين في العبادة فلذلك قدم الصلة ولوطا اتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين
الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء ونجينه من القرية قرية سدوم التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة
اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه
كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصلحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا
اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالاهلاك من قبل من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من
الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوعه انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم
الذين كذبوا بايتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر
ولعلهما لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم
تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمنها
سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روى ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان
وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واولادها واصوافها
والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير
قول ابي حنيفة رح في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي رح بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه
في شرعنا عند الشافعي رح وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي صلى الله
عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية
حفظها بالليل وعند ابي حنيفة رحمه الله لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار وكلا
اتينا حكما وعلما دليل على ان خطاء المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف مفهوم
قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره وسخرنا مع
داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او يخلق الله فيها وقيل يسرن معه
من السباحة وهو حال او استيناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة به او بسخرنا والطير عطف على الجبال

او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع منا
وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل
كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير
لداود او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون
ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد
الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه الريح عاصفة شديدة
الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها
طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري بامره بمشيته حال ثانية او بدل من الاولى
او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعد ما سار به منه بكرة وكنا بكل شيء علمين
فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشيطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح
او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء
المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حفظين
من ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر باني مسني
الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في
النفس كمرض وهزال وانت ارحم الرحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن
عرض المطلوب لطفا في السوال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى وكثر اهله وماله
فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او
ثلث عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روى ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة
بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال
استحيي من الله ان ادعو وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه
واتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا
وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا
العابدين وانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واسمعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل
زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله او يتكفل امته او له ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى
النصيب والكفالة والضعف كل كل منهم من الصبرين على مشاق التكاليف وشدائد النوائب وادخلنهم
في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الاخرة انهم من الصلحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم
معصوم عن كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم

قوله وهم الانبياء فعلى هذا قوله انهم من الصالحين لا يكون تعليلا لقوله ادخلناهم في
رحمتنا على تفسير الرحمة بالنبوة لاستلزامه تعليل الشيء بنفسه ١٢

لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم لميعادهم
بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم
بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه لن نضيق عليه او لن نقضى
عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان
لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمى ظنا للمبالغة و
قرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى فى الظلمت فى الظلمة الشديدة المتكاثفة
او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك ان يعجزك شئ انى كنت من الظلمين
لنفسى بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له
فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فى بطنه وقيل ثلثة ايام والغم
غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجى المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفى الامام نجى فلذلك
اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجى فحذف النون
الثانية كما حذفت التاء فى تظاهرون وهى وان كانت فاء فحذفها اوقع من حرف المضارعة التى لمعنى
ولا يقدح فيه اختلاف حركتى النونين فان الداعى الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع
الحذف فى تجاف لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن اخره تخفيفا ورد بانه
لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضى لا يسكن اخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وحيدا
بلا ولد يرثنى وانت خير الوارثين فان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا
له زوجه اى اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة انهم يعنى المتوالدين
او المذكورين من الانبياء كانوا يسارعون فى الخيرات يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا
ذوى رغب او راغبين فى الثواب راجين للاجابة او فى الطاعة وخائفين العقاب او المعصية وكانوا لنا
خشعين مخبتين او دائمين الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتى احصنت فرجها من الحلال
والحرام يعنى مريم فنفخنا فيها فى عيسى فيها اى احييناه فى جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذى
هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبريل وجعلنها وابنها اى قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله اية للعالمين
فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه امتكم اى ملة التوحيد والاسلام ملتكم التى يجب عليكم
ان تكونوا عليها فكونوا عليها امة وحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء اذ لا مشاركة لغيرها فى صحة الاتباع
وقرئ امتكم بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيرى
فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم بينهم صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا فى الدين وجعلوا امره قطعا
موزعة بقبيح فعالهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة الينا رجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصلحت وهو مؤمن بالله

ورسوله فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفى نفى الجنس للمبالغة
وانا له لسعيه كاتبون مثبتون فى صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم
وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائى حرم بكسر الحاء واسكان الراء وقرئ حرم اهلكناها حكمنا باهلاكها او وجدناها
هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدا خبره حرام
او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا
ينيبون وحرام خبر محذوف اى وحرام عليها ذاك وهو المذكور فى الاية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر
وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج متعلق بحرام او بمحذوف دل
الكلام عليه او بلا يرجعون اى يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها
وهو فتح سد ياجوج وماجوج وحتى هى التى يحكى الكلام بعدها والمحكى هى الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت
بالتشديد وهم يعنى ياجوج وماجوج او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر
ينسلون يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيامة فاذا هى شاخصة
ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها
تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار يويلنا مقدر بالقول واقع موقع
الحال من الموصول قد كنا فى غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظلمين لانفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد
بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم فى حكم عبدتهم
لما روى انه عليه السلام لما تلا الاية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود
عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملئكة فقال عليه الصلوة والسلام بل هم عبدوا
الشياطين التى امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وعلى هذا يعم الخطاب و
يكون ما مثل من او بمعنى ويدل عليه ما روى ان ابن الزبعرى قال هذا شئ لالهتنا خاصة او لكل من عبد
من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين سبقت بيانا للتجوز او التخصيص
تاخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد
وصفا بالمصدر انتم لها وردون استيناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة
على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء الهة ما وردوها لان المواخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها خلدون
لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد
بما تعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهى السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها مبعدون
لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر

وعثمان والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول
لا يسمعون حسيسها وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس
به وهم فيما اشتهت انفسهم خلدون دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم
الفزع الاكبر النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض او الانصراف الى
النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقهم الملئكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر
بالقول الذي كنتم توعدون في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقهم او حال
مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها
نشرت مظلة لبني ادم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتاب طيا كطي
الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني
الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدأنا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقنا
مبتدأ اعادة مثل بدءنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة
الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على
السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف
يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا
مقدر بفعله تاكيد لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك
لا محالة ولقد كتبنا في الزبور كتاب داود من بعد الذكر اي التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة
وبالذكر اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادي الصلحون يعني عامة المؤمنين
او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امة محمد عليه السلام ان في هذا اي فيما ذكر من
الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة
وما ارسلناك الا رحمة للعلمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم و
قيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد
اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى
لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحي المصدق
بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل اذنتكم اعلمتكم ما امرت به او
حربي لكم على سواء مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء
وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة راي بالبرهان النير وان ادري وما ادري اقريب ام بعيد

٢٥

ما توعدون من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام
ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير
جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه
مشيته قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ
حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربي احكم على بناء التفضيل واحكم من
الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة
تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقرأ عاصم بالتاء وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران

سورة الحج مكية الا ست ايات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد
المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه
مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها
شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى
التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعروفا اي تذهلها
الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت
الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها
وترى الناس سكرى كانهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله
بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما او رئيتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه
نائب مناب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه
كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير
علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت
وهي تعم واضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله كل شيطن مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه
على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من
تولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشانه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ
بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير

بالحمل على ما يؤدى اليه يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث من امكانه وكونه مقدوراً وقرى من البعث
بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم اى فانظروا فى بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب اذ خلق آدم منه
او الاغذية التى يتكون منها المنى ثم من نطفة منى من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة
ثم من مضغة قطعة من اللحم وهى فى الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير
مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان
ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك
ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر فى
الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرى
نقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم
فى الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف وقرى بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته
وطفلا حال اجريت على تاويل كل واحد او للدلالة على الجنس او لانه فى الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم
فى القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة فى الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله
وقرى يتوفى اى يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرى بسكون الميم لكيلا يعلم من
بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى فى اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه
والاية استدلال ثان على امكان البعث بما يعترى الانسان فى اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة
فان من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت
رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرى ربأت اى ارتفعت وانبتت
من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى فى كتابه لظهورها وكونها
مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان فى اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض
بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اى بسبب انه الثابت فى نفسه الذى به يتحقق الاشياء وانه يحيى
الموتى وانه يقدر على احيائها والا لما احيى النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته
الذى نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على
احيائها كلها وان الساعة آتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث
من فى القبور بمقتضى وعده الذى لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما
نيط به من الدلالة بقوله تعالى ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال او وحى والاول فى المقلدين
وهذا فى المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطرى ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثانى عطفه متكبرا وثنى العطف
كناية عن التكبر كلى الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به وقرى بفتح العين اى مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله

علة للجدال وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل
خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له فى الدنيا خزى وهو ما اصابه يوم بدر و
نذيقه يوم القيمة عذاب الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اى يقال
له يوم القيمة ذلك الخزى والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو
مجاز لهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه
كالذى يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه
روى انها نزلت فى اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته
غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه
قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابى سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال اقلنى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والاخرة بذهاب عصمته وحبوط
عمله بالارتداد وقرى خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على
خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا
ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد فى
التيه ضلالا يدعو لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل فى الدنيا والعذاب فى الاخرة اقرب من نفعه الذى
يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع
اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره
به او مستانفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ وخبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب ان
الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصلحت جنت تجرى من تحتها الانهر ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح
وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والاخرة كلام فيه اختصار والمعنى
ان الله ناصر رسوله فى الدنيا والاخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق
والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص فى ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلى
غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه
او فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد فى دفع نصره او تحصيل رزقه وقرا
ورش وابو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام فلينظر فليتصور فى نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول
كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذى يغيظه من نصر الله وقيل نزلت فى قوم مسلمين استبطؤا
نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القران كله
آيات بينات واضحات وان الله يهدى ولان الله يهدى به او يثبت على الهدى من يريد هدايته

اوثابتة انزله كذلك مبيّنات انّ الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا انّ الله
يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحقّ منهم عن المبطل والجزاء فيجازى كلًّا ما يليق به ويدخله المحلّ المعدّ له
وانما ادخلت انّ على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد انّ الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر
انّ الله يسجد له من في السموت ومن في الارض يتسخّر لقدرته ولا يتابى عن تدبيره او يدلّ بذلّه على عظمة مدبّره
ومن يجوز ان يعمّ اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوابّ
افرادًا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدوابّ بالتخفيف كراهة التضعيف والجمع بين الساكنين
وكثير من الناس عطف عليها ان جوّز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما
الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فانّ تخصيص الكثير يدلّ على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ
خبره محذوف دلّ عليه خبر قسيمه نحو حقّ له الثواب او فاعل فعل مضمر اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة
وكثير حقّ عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب
وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حُقّ بالضم وحقًّا باضمار فعله ومن يهن الله
بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام انّ الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة
هذان خصمان اي فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون
والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احقّ بالله
واقدم منكم كتابا ونبيّنا قبل نبيّكم وقال المؤمنون نحن احقّ بالله امنّا بمحمد ونبيّكم وبما انزل الله من كتاب
وانتم تعرفون كتابنا ونبيّنا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصّل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى
انّ الله يفصل بينهم يوم القيمة قطّعت لهم قدّرت على مقادير جثّتهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار نيران
تحيط بهم احاطة الثياب يصبّ من فوق رءوسهم الحميم حال من الضمير في لهم او خبر ثانٍ والحميم الماء الحارّ يصهر
به ما في بطونهم والجلود اي يؤثّر من فرط حرارته في باطنهم تاثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم
والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة
وحقيقتها ما يقمع به اي يكفّ بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غمّ من غمومها بدل من الهاء باعادة الجارّ
اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا لانّ الاعادة لا يكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فرفعهم الى اعلاها
فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في الاحراق انّ الله
يدخل الذين امنوا وعملوا الصلحت جنّت تجري من تحتها الانهر غيّر الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى
واكّده بانّ احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم يحلّون فيها من حليت المراة اذا لبست الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد
من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤًا عطف عليها لا على
ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصّعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى

قوله بالتخفيف اي على بناء الفاعل بفتح الياء واللام وهي قراءة ابن عباس
كما ذكر في اللوامح او على بناء المفعول قال ابو حيان في البحر وقرئ بضم الياء و
التخفيف وهو بمعنى المشددة صفة مفعول محذوف ١٢ ح

٥٤ على بالفتح فالسكون زيور ١٢

حفص

حفص بهمزتين وترك ابو بكر والسوسي عن ابي عمرو الهمزة الاولى وقرئ لؤلوًا بقلب الثانية واوًا ولوليًا بقلبهما واوين ثم قلب
الثانية ياء ولُيليًا بقلبهما ياءين ولول كادل ولباسهم فيها حرير غيّر اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم
المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة
التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى
وصراطه الاسلام انّ الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار
الصدّ منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر
انّ محذوف دلّ عليه اخر الاية اي معذّبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله واوّله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله
الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو
مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرى عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم
والجملة مفعول ثانٍ لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول
او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل
متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول
باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوّانا
لابراهيم مكان البيت اي واذكر اذ عيّنّاه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلنا
فيه قيل رفع البيت الى السماء وانطمس ايام الطوفان فاعلم الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسّه القديم
ان لا تشرك بي شيئا وطهّر بيتي للطائفين والقائمين والركّع السجود ان مفسّرة لبوّانا من حيث انه تضمّن معنى تعبّدنا
لان التبوية من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهّر بيتي من الاوثان
والاقذار لمن يطوف به ويصلّي فيه ولعله عبّر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء
ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء وقرأ نافع وحفص وهشام بيتي بفتح الياء واذّن في الناس نادِ فيهم وقرئ
وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجّوا بيت ربكم فاسمع الله
من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحجّ وقيل الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع ياتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخففة
الجيم ومثقلة ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله ياتين صفة
لضامر محمولة على معناه وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فجّ
عميق طريق بعيد وقرئ معيق يقال بير بعيدة العمق والمعق بمعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية
وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها
وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفكّ عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى في ايام معلومات

هى عشر ذى الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة
تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة
وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا فى
المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذى اصابه بؤس اى شدة الفقير المحتاج والامر
فيه للوجوب وقد قيل به فى الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار
ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر فى حجهم وقيل مواجب
الحج وقرأ ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذى به تمام التحلل فانه قرينة
قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق
من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن
الزبير منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف اى الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل
بين كلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكها او الحرم وما يتعلق بالحج من
التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير له
فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو
ما حرم الله منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرم الله كالبحيرة
والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان كما يجتنب الانجاس
وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص
فان عبادة الاوثان راس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة
عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة
الزور لما روى انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلثا وتلا هذه الاية والزور
من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف
عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله فكانما
خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع
افكاره وقرأ نافع بفتح الخاء وتشديد الطاء او تهوى به الريح فى مكان سحيق بعيد فان الشيطان
قد طوح به فى الضلالة واو للتخيير كما فى قوله تعالى او كصيب او للتنويع فان من المشركين
من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات
المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين ذلك ومن
يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو

اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه عليه السلام اهدى مائة
بدنة فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها منه
من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها
منشأ التقوى والفجور والامرة بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اى لكم فيها
منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اى الى ما يليه
من الحرم وثم تحتمل التراخى فى الوقت والتراخى فى الرتبة اى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت
النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه
لها والمراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية
الى البيت الذى ترفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثانى لكم
فيها منافع التجارات فى الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة
بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا وقربانا يتقربون
به الى الله وقرأ حمزة والكسائى بالكسر اى موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا
نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة
الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا
اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان
الاخبات صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين
على ما اصابهم من الكلف والمصائب والمقيمى الصلوة فى اوقاتها وقرئ المقيمين الصلوة على الاصل
ومما رزقناهم ينفقون فى وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به
وانما سميت الابل بها لعظم بدنها ماخوذ من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها فى اجزائها عن
سبعة لقوله عليه السلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث
يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدأ من شعائر الله من اعلام دينه
التى شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله
اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ
صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم
على ثلث وصوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافى اى خوالص لوجه الله وصوافى
على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو
كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه

قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال والمعترّ والمعترض بالسؤال وقرئ
والمعتري يقال عرّه وعراه واعترّه واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها
وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافّة قوائمها ثم تطعنون في لبّاتها لعلكم تشكرون
إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها
المتصدّق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن
يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل
كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهمّ به المسلمون فنزلت
كذلك سخرها لكم كرّره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره
على ما لا يقدر عليه غيره فتوحّدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم
ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا
لتضمنه معنى الشكر وبشّر المحسنين المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ان الله يدافع عن الذين آمنوا
غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه
ان الله لا يحب كل خوّان في امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم
ولا ينصرهم اذن رخّص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله تعالى
للذين يقاتلون المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح
التاء اي الذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول
لهم اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعد ما نهي
عنه في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار
عنهم الذين اخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله
على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدّمت لخربت باستيلاء
المشركين على اهل الملل وقرئ دفاع وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهابنة
وبيع وبيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرانية
فعرّبت ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او للمساجد وخصّت بها
تفضيلا ولينصرنّ الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار
على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على

نصرهم عزيز لا يمانعه شيء الذين ان مكّناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء
الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور
فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له بان قومه ان كذبوه
فهو ليس باوحدي في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى
غيّر فيه النظم وبني الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان
تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدّرة
ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكأيّن
من قرية اهلكناها باهلاك اهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة اي اهلها فهي
خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطلت بنيانها فخرّت سقوفها ثم تهدمت
حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجارّ متعلقا بخاوية و
يجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها اي مظلة عليها بان سقطت وبقيت
الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس
حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كأين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع
وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله
بمعنى عطّله وقصر مشيد مرفوع او مجصّص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على
عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا
لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا في الارض
حثّ لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك
فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال
او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم فانها الضمير للقصة
او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك
في التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف
الذي يخص البصر قيل لما نزل ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا

اعمى فانكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف
في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه وطول
ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء وكاين من
قرية وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر
والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل
عن قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان
تاخره لعادته تعالى امليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والي المصير والى
حكمي مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على
الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المومنين
وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين امنوا وعملوا الصلحت لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم
هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في اياتنا بالرد والابطال معاجزين
مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان
كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة
اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول
من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء
بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم
علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف
واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسول منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى
المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي
يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اذا زور في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته
في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم
سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد
الى ما يزيحه ثم يحكم الله اياته ثم يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في امر الآخرة والله عليم
باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه
على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة
والنجم فاخذ يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى

ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في اخرها بحيث
لم يبق في المسجد مومن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل فاغتم به فعزاه الله بهذه الاية وهو مردود
عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ
كقوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان
يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا
يخل بالوثوق على القران ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله
والاية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان
منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق
والقاسية قلوبهم المشركين وان الظلمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم
بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول والمومنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك
ان القران هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه
مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن ادم فيومنوا به بالقران او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد
والخشية وان الله لهادي الذين امنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم
الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه من القران او الرسول او مما القى
الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه حتى تاتيهم الساعة القيامة او اشراطها
او الموت بغتة فجاءة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد
النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف
اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه
لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيامة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها
للتهويل الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليه الغاية اي يوم يزول مريتهم
يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المومنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين امنوا وعملوا
الصلحت في جنت النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وفي
ادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المومنين بالجنات تفضل من الله تعالى
وان عقاب الكافرين مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب
والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها
وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد
واصل العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هولاء الذين قتلوا قد علمنا

ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت وان الله لهو خير الرازقين
فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم
واحوال معاديهم حليم لا يعاجل بالعقوبة ذلك الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد
في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه
بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام
واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو
والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره تعالى بذلك اولى
وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر
بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان الله تعالى قادر على تغليب بعض الامور
على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الآخر بان
يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك
باطلاعها وان الله سميع بصير يسمع قول المعاقب والمعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك
الوصف بكمال القدرة والعلم بان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب
وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت
الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه
في معنى الآلهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية وان الله هو العلي على الاشياء
الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء
استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار
كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء اثر
المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة
والباطنة له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد
المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم
والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبر
ويمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى
الاستمساك الا باذنه الا بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر
الاجسام في الجسمية فيكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لرؤوف رحيم حيث

قوله الدال على نفي الاخضرار قال في الكشاف مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله انتهى ١٢

هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي احياكم
بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء آجالكم ثم يحييكم في الآخرة ان الانسان لكفور
لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها او قربانا هم ناسكوه
ينسكونه فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر في امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد
او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول عليه الصلوة والسلام عن الالتفات الى قولهم
وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم
كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا
للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول صلى الله
عليه وسلم والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته وادع الى ربك
الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق و
لزمت الحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد
فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيمة
كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء
والارض فلا يخفى عليه شيء ان ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم
مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان
علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة
تدل على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين
وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم
آياتنا من القرآن بينات واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه
الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة
وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون يسطون
بالذين يتلون عليهم آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افأنبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين
وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار كانه جواب سائل قال
ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر
بدلا من شر فيكون الجملة استينافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها وبئس المصير النار يا ايها الناس
ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل
في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون

من دون الله يعني الاصنام وقرا يعقوب بالياء وقرئ به مبنياً للمفعول والراجع الى الموصول محذوف
على الاولين لن يخلقوا ذباباً لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على
منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له بجوابه
المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف
اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا
الهاً قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها
لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن
ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون
عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده
او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب او الصنم والذباب
كانه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله حق
قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي
على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء والهتهم التي تدعونها عجزة عن اقلها مقهورة من اذلها
الله يصطفي من الملائكة رسلاً يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم
الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في صفاتها
بين ان له عباداً مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله تعالى وهو اعلى المراتب ومنتهى
الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريراً للنبوة وتزييفاً لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
والملائكة بنات الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه ترجع الامور كلها بالذات لانه مالكها لا يسال
عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسالون يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا في صلوتكم امرهم
بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها
او اخضعوا لله وخروا له سجداً واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير
واصلح فيما تاتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون
اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والاية اية سجدة
عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما
فلا يقراها وجاهدوا في الله لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى
والنفس وعنه عليه السلام انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد

الاكبر حق جهاده اي جهاداً فيه حقاً خالصاً لوجهه تعالى فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق
عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعاً او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو
اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله وما جعل
عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه
ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام
اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجاً بان رخص لهم في
المضائق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق
العباد ملة ابيكم ابرهيم منتصب على المصدر لفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف
اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم
على الوجه المعتد به في الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم
المسلمين من قبل من قبل القران في الكتب المتقدمة وفي هذا في القران والضمير لله ويدل عليه
انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القران وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله
ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته
اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيداً عليكم بانه بلغكم
فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتماداً على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا
شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات
لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة
والنصرة الا منه هو مولكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له في الولاية
والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر
كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المومنين مكية وهي مائة وتسع عشرة اية عند البصريين وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المومنون قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على
ثباته اذا دخل الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المومنون متوقعين ذلك من فضل الله
صدرت بها بشارتهم وقرا ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ
افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء
للمفعول الذين هم في صلوتهم خاشعون خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم

مساجدهم روي انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروة اجتنابه والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل المحدث لا المحل الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج او التسري او لفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفي المعارج لامانتهم على الافراد لامن الالباس او لانها في الاصل مصدر والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشأنها اولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية او بمعنى سلالة لانها بمعنى مسلولة فيكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين

او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الاخر ثم انشأناه خلقا آخر هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة رضي الله عنه على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شأنه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت من دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملئكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى يبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد والتعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فانشأنا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات ثمارها وزروعها تأكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتهما انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب

منها ما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال
كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء
بالف التانيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان وفعلاء كصحراء
لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اى تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا
له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
في رواية تُنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رايت ذوى الحاجات عند بيوتهم قطينا
لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو
كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على
الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اى تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به
ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان
لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف
فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نَسقيكم
بفتح النون ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها واصوافها وشعورها ومنها تاكلون فتنتفعون
باعيانها وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول
عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها
فيكون الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من
النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استيناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ
الكسائي غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم
عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه
لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم
ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملئكة رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون نوحا
اى ما سمعنا به انه نبي او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة
وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة اى جنون
ولاجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه بما كذبون
بدل تكذيبهم اياي او بسبب تكذيبهم فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ
فيه او تفسده عليك مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب

او نزول العذاب وفار التنور روى انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك
فلما نبع الماء منه اخبرته امراته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل
عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك
غيره قال الله ما سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين
وقرأ حفص من كلٍّ بالتنوين اى من كل نوع زوجين واثنين تاكيد واهلك واهل بيتك او من آمن
معك الا من سبق عليه القول منهم اى القول من الله بهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما
جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا
بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له
ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك على
الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد
لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين
وقرأ غير ابي بكر مُنزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره
بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوي هو ومن
معه اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما
فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين
لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة
ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما
جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين
اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله
افلا تتقون عذاب الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم
لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وكذبوا
بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث
واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال
ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب
محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم انكم
اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من العدم

تارة أخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ
خبره الظرف المتقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اى انكم اخراجكم
اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثانى عليه لا ان
يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون
واللام للبيان كما فى هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما
توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير
وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين فالكل بمعنى المصدر
وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هى الا حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا
الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها
مغن عن التصريح بها كقوله هى النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان
نافية دخلت على هى التى فى معنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التى تنفى ما بعدها نفى
الجنس نموت ونحيى يموت بعضنا ويولد بعضنا وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو
الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له
بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرنى عليهم وانتقم لى منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياى
قال عما قليل ما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب
اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم
فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذى لا دافع له او بالعدل من الله
كقولك فلان يقضى بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو
حميله كقول العرب سال به الوادى لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا
اذا هلك وهو من المصادر التى تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد
ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين يعنى قوم صالح ولوط وشعيب
وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذى حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون
الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من
الواو كتولج ويتقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى
المتواترة وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجئ
الى المرسل اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا فى الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات
يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهى ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون

ثم ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم
ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها
حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة
وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وبالآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة
على ما يدعيه النبى الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين
فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله تعالى
فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان
قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة
وفساده يظهر للمستبصر بادنى تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت فى اصل القوى والادراك
لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى فى جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون
فى طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر فى اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك
غيرهم ويعلمون ما لا ينتهى اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله
واحد وقومهما يعنى بنى اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا
من المهلكين بالغرق فى بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بنى اسرائيل ولا يجوز
عود الضمير الى فرعون وقومه لان التورية نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام
وجعلنا ابن مريم وامه آية بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن
مريم آية بان تكلم فى المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت
الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او
رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم
والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها
ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد فى الشئ او من
الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون
وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة
بل على معنى ان كلا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء كلام ذكر
تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم يكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم
واحتجاجا على الرهبانية فى رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا

بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات
وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك
النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم
عليه وان هذه اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون
وقرا ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستيناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اي
متحدة في العقائد واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة
ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا
امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض والتمزق والضمير
لما دل عليه الامة من اربابها اولها زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة
بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه يتضمن معنى
جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب
وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون
معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم
مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون
انما نمدهم به ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه
غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات
والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم
بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا فيعلموا ان ذلك الامداد
استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان
يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه
مشفقون حذرون والذين هم بايات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها
والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوه
من الصدقات وقرئ ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا من الطاعات وقلوبهم
وجلة خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به انهم الى ربهم راجعون
لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون في الخيرات
يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على
صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم

وهم لها سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة او سابقونها
اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها
قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعني
اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون
بزيادة عقاب او نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا
من الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة
لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا
مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال
اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب
والجيف والعظام المحترقة اذا هم يجأرون فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة
مبتداة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا
انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر
ومعونة من جهتنا قد كانت اياتي تتلى عليكم يعني القران فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون
مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير
للتكذيب او للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنى عن سبق ذكره او
لاياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم
على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا اي تسمرون بذكر القران والطعن فيه وهو
في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى
القطيعة او الهذيان اي تعرضون عن القران او تهذون في شانه او الهجر بالضم الفحش ويؤيد
الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة افلم يدبروا القول اي القران
ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين
من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسمعيل
واعقابه فامنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق وحسن
الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون دعواه لاحد
هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع
او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا
يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف

شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من
توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع
الهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذي جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيمة واهلك العالم من فرط غضبه
او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر على
ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم
اي وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم
فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه ام تسئلهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا
على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة
لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض
ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرا ابن عامر خرجا فخرج
وحمزة والكسائي خرجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح
العلل في هذه الايات بان حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة
الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط السوي لناكبون لعادلون عنه
فان خوف الاخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من
ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشيء في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار
عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء
ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت
رحمة للعالمين فقتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني
القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان
استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته
وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد
يعني الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون ايسون من كل خير حتى
جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشا لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الايات
والافئدة لتتفكروا فيها ويستدل بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنياوية قليلا ما تشكرون

تشكرونها

تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجلها والاذعان لمانحها من غير اشراك
وما صلة للتاكيد وهو الذي ذراكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون
تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص تعاقبهما
لا يقدر عليه غيره فيكون رد النسبة الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما
وازدياد الاخر افلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان
البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل
ما قال الاولون اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
استبعادا ولم يتاملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل
ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به
كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا
مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان
يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها
قل اي بعد ما قالوا افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا
فان بدء الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله قرا ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما
بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا اقتداره
على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير
يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى
النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون
عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وانهم
لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه
من اله يشاركه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب
محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه الهة كما يقولون لذهب كل واحد
منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الاخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو
حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان
على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق

من

من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو
عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المنفرد بذلك
ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني اى ان كان لا بد من ان تريني لان
ما والنون للتاكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا والآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظلمين
قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شوم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة
ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به
فضل تضرع وجوار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نوخره علما بان بعضهم او بعض
اعقابهم يومنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء
به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان
في مقابلتها لكن بحيث لم يود الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل
هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على
التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم
فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشيطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز
الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع
الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون ويحوموا حولي في شيء من الاحوال
وتخصيص حال الصلوة وقراءة القران وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه
حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة
بالله عن الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على
ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلعه على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم
المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في
الايمان الذي تركته اى لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عليه السلام
اذا عاين المومن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما
الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها
انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها
مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ
حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا

لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا فانما الرجوع فيه الى حيوة يكون في الآخرة فاذا نفخ في الصور
لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبكسر الصاد تويد ان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب
بينهم تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه
وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم
بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك
بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار فمن ثقلت موازينه موزونات عقائده
واعماله اى فمن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم
المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات ومن خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار
لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان
استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خلدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك
تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق
والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن ايتي تتلى عليكم على اضمار القول
اى يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تانيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مودية الى سوء العاقبة وقرأ
حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق
ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظلمون لانفسنا قال اخسئوا فيها
اسكتوا سكوت ذلة وهوان فانها ليست مقام السوال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ ولا تكلمون
في دفع العذاب ولا تكلمون راسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرنا فيجابون
او لم تكونوا فيقولون الفا ربنا اخرجنا منها نعمل صالحا فيجابون او لم نعمركم فيقولون
الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعواء انه ان الشان
وقرئ بالفتح اى لانه كان فريق من عبادي يعني المومنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة
يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الرحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا وقرأ نافع
وحمزة والكسائي بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين
المكسور بمعنى الهزو والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط
تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم

بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم
وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استينافا قال اى الله او الملك المامور بسوالهم وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض احياء او امواتا في القبور عدد
سنين تميز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصار المدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار
او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فسئل
العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن
تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف
اى الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين اى القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال
وفي رواية حمزة والكسائي وقراءة الكوفيين قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم
في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اى
لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم
الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم
فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك
بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال لا اله الا هو فان من عداه عبيده رب العرش
الكريم الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم
او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها اخر يعبده
افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها
للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه
او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجازله مقدار ما يستحقه
انه لا يفلح الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة
بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال
وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته
الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت على عشر ايات
من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان اولها واخرها من كنوز
الجنة من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مدنية وهي ثنتان او اربع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة اى هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا

لناصبها

لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك ونحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده
ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها ايات بينت
واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اى فيما فرضنا
او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئا بالنصب على اضمار فعل يفسره
الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون
بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم
يخص من ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي رحمه الله عليه تغريب الحر
سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الاية ما يدفعه لينسخ احدهما بالاخر
نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد ثلثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة
في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه السلام يهوديين ولا يعارضه
من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تاخذكم بهما رافة رحمة
في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت
محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الاخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة حدوده واحكامه وهو من باب التهييج
وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر ما ينكل التعذيب
والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شيء من الطوف واقلها ثلثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع
يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ الغالب
ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة
علة الالفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح
الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الاية نزلت في ضعفة
المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية
ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة
والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم وقيل النفي بمعنى النهي وقد
قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى
منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره
نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطي فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية

والزانية

والزانية ان يزنى بها الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا وصف المقذوفات
بالاحصان وذكرهن عقيب الزوانى واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم
ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان
ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص
المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند
الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابى حنيفة رحمه الله وليكن ضربه اخف من ضرب الزنا
لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة اى شهادة كانت لانه مفتر
وقيل شهادتهم فى القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى حنيفة رضى الله عنه
فان الامر بالجلد والنهى عن القبول سيان فى وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه
دفعة كيف وحاله قبل الحد اسوأ مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابى حنيفة رضى الله عنه الى اخر
عمره واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا
اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع الى اصل
الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام
له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهى ومحله الجر على البدل من هم فى لهم
وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم
علة للاستثناء والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت فى هلال بن امية
راى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم
اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائى وحفص
على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين
اى فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا
والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فى الرمى وقرأ نافع ويعقوب
بالتخفيف فى الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما
بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق
عند ابى حنيفة رحمه الله عليه ونفى الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله ويدرؤ عنها
العذاب اى الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رمانى به والخامسة ان
غضب الله عليها ان كان من الصادقين فى ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر
او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان غضب الله ولولا

فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة
ان الذين جاؤوا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مافوك عن وجهه
والمراد ما افك به على عائشة رضى الله عنها وذلك انه عليه الصلوة والسلام استصحبها فى بعض الغزوات
فاذن ليلة فى القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من
جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذى كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها
وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمه احدا فجلست كى يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل
السلمى قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا
الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهى من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله
ابن ابى وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهى خبر ان
وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستانف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعائشة وصفوان
والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة آية
فى براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم
ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذى تولى كبره معظمه وقرأ
يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابى فانه بدأ به واذاعه عداوة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين له عذاب عظيم
فى الاخرة او فى الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابى مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح
مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من
المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ و
اشعارا بان الايمان تقتضى ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم
كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك
عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع فى غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا باوله
وقالوا هذا افك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا
بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه فكذب
عند الله اى فى حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والاخرة لولا
هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا بانواع النعم التى من جملتها الامهال
للتوبة ورحمته فى الاخرة بالعفو والمغفرة المقدرين لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب
عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم يأخذه بعضكم من بعض

بالسوال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه
بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب
وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اى تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم
اى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله
يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم فى الوزر واستجرار
العذاب فهذه ثلثة اثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقى الافك بالسنتهم والتحدث به من غير
تحقيق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغى وما يصح
لنا ان نتكلم بهذا يجوز ان يكون اشارة الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه فان قذف
احاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة بنت الصديق وحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحانك هذا تعجب ممن يقول ذلك واصله انه يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب
عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله تعالى من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها
تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هذا بهتان عظيم
لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله
كراهة ان تعودوا او فى ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان
يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الايت الدالة على الشرائع ومحاسن الاداب كى تتعظوا و
تتادبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم فى تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها
ان الذين يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة فى الذين امنوا لهم عذاب اليم فى
الدنيا والاخرة بالحد والسعير الى غير ذلك والله يعلم ما فى الضمائر وانتم لا تعلمون فعاقبوا
فى الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما فى القلوب من حب الاشاعة ولولا
فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله
وان الله رءوف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة
يايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطن باشاعة الفاحشة وقرأ نافع والبزى وابو عمرو وابو بكر
وحمزة بسكونها وقرئ بفتح الطاء ومن يتبع خطوات الشيطن فانه يامر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهى
عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة
الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا اخر
الدهر ولكن الله يزكى من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم
ولا ياتل ولا يحلف افتعال من الالية او لا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتال وانه

نزل فى ابى بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل
منكم فى الدين والسعة فى المال وفيه دليل على فضل ابى بكر رضى الله عنه وشرفه ان يؤتوا على
ان لا يؤتوا او فى ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله
صفات لموصوف واحد اى ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها
فيكون ابلغ فى تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر الله
لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه
روى انه عليه السلام قرأها على ابى بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنت
العفائف الغافلت مما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا فى الرسول عليه السلام
والمؤمنين كابن ابى لعنوا فى الدنيا والاخرة كما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم
وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال
ابن عباس رضى الله عنه لا توبة له ولو فتشت وعيدات القران لم تجد اغلظ مما نزل فى افك عائشة
رضى الله عنها يوم تشهد عليهم ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة
والكسائى بالياء للتقدم والفصل السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله
اياها بغير اختيارهم او بظهور اثاره عليها وفى ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم
الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته
لا يشاركه فى ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اى العادل الظاهر عدله ومن
كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثت للخبيثين والخبيثون للخبيثت والطيبت
للطيبين والطيبون للطيبت اى الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون
كالدليل على قوله اولئك يعنى اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم والرسول وعائشة وصفوان مبرءون
مما يقولون اذ لو صدق قول الافكين لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال
والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون للافكين اى مبرءون مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات
اى مبرءون من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعنى الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة
برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب
بثوبه ومريم عليها السلام بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الايات مع هذه المبالغات
وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته يايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم التى تسكنونها فان الاجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن حتى تستانسوا تستاذنوا من
الاستيناس بمعنى الاستعلام من انس الشئ اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه

هل يراد دخوله او يؤذن له من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش
خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن استأنس او تعرفوا هل ثم انسان من الانس وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام
عليكم أأدخل وعنه عليه السلام التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع
ذلكم خير لكم اي الاستئذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية فان الرجل منهم
اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي
ان رجلا قال للنبي عليه السلام أأستأذن على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال
أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم
هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن
لكم حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه
الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق
او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم عما
لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروة او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون
عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير
مسكونة كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء
الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم اي ما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل
حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة
ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم
وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من
ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر او التحفظ
عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ
فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدى له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم
فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية
والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر فان
كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة

وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن وقرأ نافع وعاصم وابو عمرو وهشام بضم الجيم ولا
يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة
ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء
بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى
مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان
ينظروا منهن الى ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان
او لان الاحوط ان يتسترن منهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعني المؤمنات
فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف او
ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد لما روي انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها
ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه السلام انه ليس
عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي او التابعين غير اولي
الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي
خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرأ ابن عامر
وابو بكر غير بالنصب على الحال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور
بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع
الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم
انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع
من رفع الصوت وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما في الكف
عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم
عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وقرأ ابن عامر ايه المؤمنون
وفي الزخرف ايه الساحر وفي الرحمن ايه الثقلان بضم الهاء في الوصل في الثلاثة والباقون بفتحها
ووقف ابو عمرو والكسائي عليهن بالالف ووقف الباقون بغير الف وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية
ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه امر بالنكاح الحافظ له والخطاب
للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبهما واشعار بان
المرأة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم كيتامى
جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان تتأيمي

كنت امتى منكم ايامى وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون
للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى
لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد
من الله بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى فى هذه الاية لكنه مشروط بالمشية لقوله تعالى
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع ذو سعة لا ينفد نعمته اذ لا ينتهى
قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر على ما يقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة
الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم
الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتب المكاتبة وهو ان يقول الرجل
لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب
لتاجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت
ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء
لتضمنه معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب
كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن
الاداء فى الحال يمنع صحتها كما فى السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على
اداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا
ومعنى وهو شرط الامر ولا يلزم من عدمه عدم الجواز واتوهم من مال الله الذى اتيكم امر للموالى
كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفى معناه حط شىء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى
اقل ما يتمول وعن على كرم الله وجهه يحط الربع وعن ابن عباس الثلث وقيل الندب لهم الى
الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم
من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا ياخذه صدقة كالدائن والمشترى ويدل عليه قوله
عليه السلام فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء على
الزنا كانت لعبد الله بن ابى ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه
وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه
وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن
يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اى لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر و
لما فى مصحف ابن مسعود من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير اثمة فلا حاجة

الى

الى المغفرة لان الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص
ولقد انزلنا اليكم ايت مبينت يعنى الايات التى بينت فى هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول
المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا
من امثال من قبلكم اى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة رضى الله عنها فانها كقصة يوسف ومريم عليهما
السلام وموعظة للمتقين يعنى ما وعظ به فى تلك الايات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالايات القران والصفات
المذكورة صفاته الله نور السموت والارض النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها
سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى
لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى
منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة
والانبياء او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق فى التدبير نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور او
موجدها فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله
سبحانه موجود بذاته موجد لما عداه او الذى به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة
لتعلقها به او لمشاركتها له فى توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك
نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص فى بواطنها وتتصرف
فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهى اذن من سبب يفيضها
عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا ويقرب منه
قول ابن عباس معناه هادى من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه
او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما
مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على ان اطلاقه عليه
لم يكن على ظاهره كمشكوة كصفة مشكوة وهى الكوة الغير النافذة وقرأ الكسائى برواية الدورى
بالامالة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوة الانبوبة فى وسط القنديل والمصباح الفتيلة
المشتعلة المصباح فى زجاجة فى قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب درى مضئ متلالئ
كالزهرة فى صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض
ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابى بكر على الاصل وقراءة
ابى عمرو والكسائى درىء كشريب وقد قرئ به مقلوبا يوقد من شجرة مبركة زيتونة اى ابتداء
ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثرة نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفى ابهام الشجرة

ووصفها

ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا في نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه نور على نور نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات المبينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي نيط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما يشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتاديتها الى ثمرات لا نهاية لها الزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس

الجزئيات

الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كانت كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت او توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلاة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا بيذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء وقيل المراد بالتجارة الشراء فانه اصلها ومبدؤها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلوة عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم تخطر ببالهم والله

يرزق

يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان والذين
كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة
نافعة عند الله تعالى يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان
الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية
وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة يحسبه الظمآن ماء اي العطشان وتخصيصه
لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء او موضعه
لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفاه حسابه استعراضا
او مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في عتبة بن ربيعة
ابن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو
للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر
والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة
في بحر لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر موج من فوقه موج اي امواج
مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة
اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من
الاولى وباضافة السحاب اليها اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان
يراها فضلا ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر
له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور الم تر الم تعلم علما يشبه
المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي والاستدلال ان الله يسبح له من في السموات والارض
ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان
بما يدل عليه من مقال او دلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل
الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو
صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره
كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلاته وتسبيحه اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او
طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع
على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما
دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليه العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما

ولما

ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير
مرجع الجميع الم تر ان الله يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف
بينه بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه وقرأ نافع برواية
ورش يولف غير مهموز ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق يخرج من خلاله من فتوقه
جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال
فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي
ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض
واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس
في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة
من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان
وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض
وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لابد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام
الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء
ويصرفه عمن يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال
في السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب
بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه
توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص
احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم
ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته
وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض
وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة
فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة
وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة
ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه
ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير
بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء
مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى

والافعال

والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ان الله على كل شىء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات
مبينات للحقائق بانواع الدلائل والله يهدى من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى
صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله
وبالرسول نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبى صلى الله
عليه وسلم وقيل فى مغيرة بن وائل خاصم عليا كرم الله وجهه فى ارض وابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله
عليه وسلم واطعنا اى واطعنا لهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم
آمنا وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى بان جميعهم وان
آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة
على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون فى الايمان او الثابتون عليه واذا دعوا الى
الله ورسوله ليحكم بينهم اى ليحكم النبى صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله
لتعظيمه والدلالة على ان حكمه فى الحقيقة حكم الله تعالى اذا فريق منهم معرضون فاجأ فريق
منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه وان
يكن لهم الحق اى الحكم لا عليهم يأتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة
ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص افى قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان
راوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله فى الحكومة
بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان
امتناعهم اما لخلل فيهم او فى الحاكم والثانى اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما
باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل
نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا
الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون على عادته تعالى فى
اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغى بعد انكاره لما لا ينبغى وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء
للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يأمرانه او فى
الفرائض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقى من عمره وقرأ يعقوب و
قالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف فخفف
فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكارا للامتناع عن حكمه لئن امرتهم
بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة
معروفة اى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين للطاعة النفاقية المنكرة او طاعة معروفة

امثل

المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع ونهى عنه
من المحسنات والمقبحات ... معروف بين الناس اذا راوه لا ينكرونه والمنكر ضد ذلك كذا فى مجمع البحار

امثل منها او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم
قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة فى تبكيتهم فان تولوا
فانما عليه اى على محمد ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه فى حكمه تهتدوا
الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما بقى ما حملتم فان
اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول وللامة
او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم فى الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين فى الارض تصرف
الملوك فى ممالكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد فى تحققه
منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعنى بنى اسرائيل استخلفهم فى مصر والشام بعد
الجبابرة وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام فاذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدأوا كسروا الالف
وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم
من الاعداء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف امنا منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله
وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن
الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل
الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة يعبدوننى حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد
او استيناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن لا يشركون بى شيئا حال من الواو اى يعبدوننى غير
مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد وحصول الخلافة فاولئك هم
الفاسقون الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول فى سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله
فان الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكريرا للامر بطاعة الرسول للتأكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة
فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض اى ولا
تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفى الارض صلة معجزين او ولا تحسبن الكفار
فى الارض احدا معجز الله فيكون معجزين فى الارض مفعوليه او ولا يحسبنهم معجزين فحذف المفعول
الاول لان الفاعل والمفعولين لشىء واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء
وهو كالاول فى الاحتمالات ومأويهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا
ليسوا معجزين ومأويهم النار لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز ولبئس المصير
المأوى الذى يصيرون اليه يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام

السالفة

السالفة بعد الفراغ من الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها
والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روى ان غلام اسماء بنت
ابى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصارى
وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضى الله عنه فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله
عنه لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن
ثم انطلق معه الى النبى صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية والذين لم يبلغوا الحلم
منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلث
مرات فى اليوم والليلة مرة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم
ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبر المحذوف اى هى من قبل صلوة الفجر
وحين تضعون ثيابكم اى ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء
لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ثلث عورات لكم اى ثلث اوقات يختل فيها تستركم
ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة
والكسائى وابو بكر بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات
فى ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافى اية الاستيذان فينسخها لانه فى الصبيان ومماليك المدخول
عليه وتلك فى الاحرار البالغين طوافون عليكم اى هم طوافون استيناف ببيان العذر المرخص فى
ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين
الاوقات الثلثة وغيرها بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف
بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات اى الاحكام والله عليم باحوالكم
حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم
الذين بلغوا من قبلهم فى الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان العبد البالغ على سيدته
وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله
لكم اياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة فى الامر بالاستيذان والقواعد من النساء العجائز
التى قعدن عن الحيض والحمل اللاتى لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح
ان يضعن ثيابهن الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام فى القواعد بمعنى اللاتى او لوصفها
بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امرن باخفائه فى قوله ولا يبدين زينتهن واصل
التبرج التكلف فى اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى
بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شئ الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال ان

يستعففن خير لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس
على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفى لما كانوا يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من
استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم
على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيب قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم واولادهم
واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن
او قرينة او كان فى اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى طعام و
قيل نفى للحرج عنهم فى القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تأكلوا من
بيوتكم من البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته
لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه
او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم وقرأ حمزة بكسر الالف والميم والكسائى بكسر الالف وفتح الميم
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم
او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت
المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى
بالتبسط فى اموالهم واسرّ به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب
البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان فى اول الاسلام فنسخ
فلا احتجاج للحنفية على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين
او متفرقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو بن كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او فى قوم من
الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه او فى قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف
الطعام فى القذارة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين
هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية
فانه طلب الحياة وهى من عند الله وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها يرجى بها زيادة
الخير والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عليه السلام قال لى متى لقيت احدا من امتى
فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة
الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة
به وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اى الحق والخير
فى الامور انما المؤمنون اى الكاملون فى الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم
واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور ووصف الامر

بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فياذن لهم واعتباره في
كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم
الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه ولذلك اعاده موكدا على اسلوب ابلغ
فقال ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستاذن مومن
لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك فاذا استاذنوك لبعض شانهم ما يعرض لهم من
المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فأذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى راى الرسول
صلى الله عليه وسلم واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رايه ومن منع ذلك قيد المشية
بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد
الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات
العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم
على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة
الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه
ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير و
التواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه
موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب
قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يتسللون قليلا قليلا من الجماعة ونظيره تسلل تدرج وتدخل
لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه
على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون
سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المومنين من خالفه عن الامر
اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان
تصيبهم فتنة الاخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد
العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على خشية المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب
الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق
والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز
ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات وقرأ يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم فينبئهم
بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مومن ومومنة فيما مضى

وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه
في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير
او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف
فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن
لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال
وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته لقوله لقد انزلنا اليكم الكتاب او الانبياء على
ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين نذيرا للجن والانس منذرا
او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها قوية دليلها اجريت مجرى
المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب
ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم
مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب
ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا فقدره وهيأه لما اراد
منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة
ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد
من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا
فاتخذوا من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون لا يستطيعون لانفسهم
ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد واحياءه
اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه
على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف
عن وجهه افتراه اختلقه واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر
عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاءوا ظلما بجعل الكلام المعجز
افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو برئ منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان
تعديته وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على
البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها
اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه

امي

لا يقدر ان يكون من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم
بفصاحته وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف
تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها
واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة
وتهكم يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله
لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور
جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ليعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به
ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له جنة يأكل منها هذا على سبيل التنزل اي
ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي
بالنون وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون
الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا
لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق
الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا
الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا من
ذلك مما قالوا ولكن اخره الى الاخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل
لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز
في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون
استئنافا بوعد ما يكون له في الاخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت
انظارهم على الحطام الدنيوية فظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك بفقرك او فلذلك كذبوك
لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في
الاخرة او فلا تعجب تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة
الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه السلام
لا تتراءى ناراهما اي لا يتقاربان بحيث يكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار
او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت
غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة
عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها

على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب
فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض و
قرأ ابن كثير بسكون الياء مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك في ذلك المكان
ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا
واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة وكل نوع منها ثبور لشدته او
لانه يتجدد كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو
في كل وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام
والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة
الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا كانت لهم في علم الله تعالى
او اللوح او لان ما وعده الله في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع
كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب
لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته
اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة
خالدين حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسؤلا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي
كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسؤلا سأله الناس في دعائهم ربنا واتنا ما وعدتنا على
رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده
ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم
للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود
سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه يريد به الوصف
كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح
بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي
والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون ءانتم اضللتم عبادي
هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع
وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال
وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك
تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او اشعارا بانهم
الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله تعالى عن الانداد ما كان

ينبغي ... قال مولانا العلامة لا يليق ... بشان الانبياء والملائكة قلت اذا كان
التحقير لبيان بعدهم عن استحقاق العبادة وتنزلهم في ذلك منزلة ما لا علم له ولا قدرة
فقد لا نسلم انه لا يليق بشانهم ١٢

ينبغى لنا يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا
ان يتولى احدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذى له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله
ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفى ولكن متعتهم
واباءهم بانواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لالائك
والتدبر فى اياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى فعل الله بهم فحملهم عليه وهو
عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا فى قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف
به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج
والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون فى قولكم انهم الهة او هؤلاء اضلونا
والباء بمعنى فى او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا
فما يستطيعون اى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم
وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اى يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون
نذقه عذابا كبيرا وهى النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم
المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا
انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق اى الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه
واقيمت الصفة مقامه كقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير
وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقرئ يمشون اى تمشيهم حوائجهم او
الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين
بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه
بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا
بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره وقال الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث
او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئى
والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبروننا
بصدق محمد وقيل فيكونوا رسلا الينا او نرى ربنا فيأمرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا فى انفسهم
اى فى شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق لافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله فى اكمل اوقاتهم وما
هو اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد فى الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة
فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم

محذوف

محذوف وفى الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس
ابأنا نابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب
باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير
او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية
مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفى البشرى
لعامة المجرمين حينئذ نفى البشرى بالعفو والشفاعة فى وقت آخر واما خاص فوضع موضع ضميرهم تسجيلا
على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اى ويقول
الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهى مما كانوا يقولون عند لقاء عدو
او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله
الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه
ووصفه بمحجور للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اى وعمدنا الى ما عملوا
فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره
وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اشيائهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها
اثرا والهباء غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه به
عملهم المحبط فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم
التى كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه فى اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى
اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك
غالبا اذ لا نوم فى الجنة وفى احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من المحاسن ويحتمل
ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمان
والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين فى الدنيا روى انه يفرغ من الحساب
فى نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق
فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور
فى قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا فى ذلك الغمام بصحائف
اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وانزل ونزل وتنزل الملائكة ونزل الملائكة بحذف نون
الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر
وللرحمن صلة او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن

فكان

وكان يوما على الكفرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل
البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات من الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس
وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافته فابى ان ياكل طعامه
حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان
ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطأ
قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من
مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة فرجع
الى مكة ومات يقول يليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق
الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة يويلتى وقرئ بالياء على الاصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني
من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله
او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان
يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن وانس
للانسان خذولا يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال
الرسول محمد يومئذ او في الدنيا بثا الى الله تعالى يرب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القران
مهجورا بان تركوه وصدوا عنه وعنه عليه السلام من تعلم القران وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم
ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه او هجرا
ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصلها مهجورا فيه فحذف الجار
ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم
عجل الله لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه
دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا
لك عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله جملة
واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلاث وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او
مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه
مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان
اميا وكانوا يكتبون فلو القي اليه جملة لتعيى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا
فشيئا ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو
يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال

يثبت

يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه
يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله
لولا نزل عليه القران جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة
الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد شيء
على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلث وعشرين واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا ياتونك
بمثل سؤال عجيب كانه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ له في
جوابه واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او لا ياتونك بحال عجيبة يقولون هلا
كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات
متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اصناف صنف على الدواب
وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ وخبره اولئك شر
مكانا واضل سبيلا والمفضل عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حالهم على هذه الاسولة تحقير
مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد
اتينا موسى الكتب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك
مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا
باياتنا يعني فرعون وقومه فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاختصر على
حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة
وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب
الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم
للناس اية اي عبرة واعتدنا للظلمين عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر
موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمودا عطف على هم في جعلناهم او على الظلمين لان المعنى ووعدنا
الظالمين وقرأ حمزة وحفص وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام
فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر غير المطوية فانهارت فخسف بهم
وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا

وقيل

وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم
الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي
يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا
عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسّوه اى دسّوه في
بئر وقرونا واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اشارة
الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بيّنا له القصص العجيبة من قصص الاولين
انذارا واعذارا فلما اصرّوا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات
الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ ولقد
اتوا يعنى قريشا مرّوا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت مطر السوء يعنى سدوم عظمى
قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار
عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا
ولم يتعظوا فمرّوا بها كما مرّت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب او لا يخافون
على اللغة التهامية واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوّا به اهذا
الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض
التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا هذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا
ان كاد انه كاد ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة
ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا
في مثله تقييد للحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من
اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد
ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم ارأيت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة
ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك
والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار ام تحسب بل اتحسب
ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الآيات او الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد
مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل
الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم
تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها
وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم

ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب
الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف
هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير
متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم
الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير
النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع
باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك
الى ان ربك كيف مد الظل فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر
الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء
لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا
الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا
بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اى ازلناه بايقاع شعاع الشمس موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير
عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس
لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور
او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها
ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا اى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع
الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا
يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة
والمظل عليها وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم سباتا راحة للابدان
بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه قطع الحيوة ومنه المسبوت
للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات و
يكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ
كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس نشرا ناشرات للسحاب
جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف
به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعنى قدام المطر وانزلنا من السماء
ماء طهورا مطهرا لقوله تعالى ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ ويوقد به
قال عليه السلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن

الذنوب بالفتح الفرس الوافر الذنب ومن الايام الطويل الشر والدلو او التي فيها ماء او الملأى او دون الملأى والحظ والنصيب

بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر
كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور
اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها
فبواطنهم بذلك اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار
على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل
البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى
يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات
تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظم القدرة
فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك
قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى
واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان
على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القران
وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل
وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضي الله عنه ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده
على ما يشاء وتلا هذه الاية او في الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق
النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم وقرأ حمزة والكسائي بسكون الذال
وضم الكاف مخففة فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان
يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله
والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف
عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل
فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو
تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقران او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون
في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء
بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم
او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين
بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا
ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما

برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كأن كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا
محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب
النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فيكون القدرة في
الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت
في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر لتجتمع
وتسلس وتقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي
نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان
ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين
وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم
يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على
ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع
له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما
ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسألكم عليه على تبليغ الرسالة الذي يدل
عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه و
يطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه
منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص
عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها
بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي
لا يموت في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين
يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه
باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن
خبيرا مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم
استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث
انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة
نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ او لمحذوف
ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فاسأل به خبيرا فاسأل عما ذكر من
الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك

فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا
مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه
معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما
تأمرنا اي للذي تأمرناه بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ
حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان
تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها
للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس
لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا
بالليل وقرئ قمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان
يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان
يذكر ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد
او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في
احدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتدأ
خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم
الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف
به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير
بيننا ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لينسخه فان المراد
هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلوة
وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم او
مصدر اجري مجراه والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه
الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب
مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا
ومقاما اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم
ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان
الحكاية والابتداء من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا

تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء
وكسر التاء ونافع وابن عامر والكوفيون ولم يقتروا بضم الياء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد
وكان بين ذلك قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر
وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين
ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون
كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي
حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفي عنهم امهات
المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود
للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل
ذلك يلق اثاما جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب
يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه في معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ؛ تجد
حطبا جزلا ونارا تأججا وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن
كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف وقرئ
ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ متقلا ونضعف له العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية
الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان
يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة
الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وكان الله غفورا
رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل
صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك
متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين و
يصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون
الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا
مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض
فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا
ذكروا بآيات ربهم بالوعظ او القراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها
ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية
فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها

باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المومن اذا شاركه اهله في طاعة الله سرّ بهم قلبه وقرّ بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين ولتقر عيونهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقوله رايت منك اسدا وقرأ ابن عامر والحرميان وحفص وذرياتنا بالالف وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم نخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آمّ كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون وللقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وابوبكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبؤ بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبأ يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مومن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهي مائتان وسبع او ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرأ حمزة والكسائي وابوبكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر في اول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح

وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها ان لا يكونوا مومنين لئلا يومنوا او خيفة ان لا يومنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة انباء ما كانوا به يستهزؤن من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك ان في انبات تلك الاصناف او في كل واحد لآية على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مومنين في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استيناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له في الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه

متى يعتريه حبسة حتى لا يختل دعوته ولا ينبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون
معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب يضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان
من جملة ما خاف عنه ولهم علي ذنب اى تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي
وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء
الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذلك استمداد واستظهار في
امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا بآياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعده الدفع اللازم ردعه عن الخوف
وضم اخيه في الارسال فالخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي يدل
عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته انا معكم يعني موسى وهارون و
فرعون مستمعون سامعون لما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا
لما يجري بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي
هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده
ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه
مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول
ولذلك ثني تارة وافرد اخرى او لاتحادهما للاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا
ان ارسل معنا بني اسرائيل اى ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن بمعنى القول والمراد خلهم
يذهبوا معنا الى الشام قال اى فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا في منازلنا
وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم
خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة وفعلت
فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر
لانها كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الآن فانه
عليه الصلوة والسلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه
بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال فعلتها
اذا وانا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او من
المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهلين عما يؤل اليه الوكز لانه اراد به التاديب او الناسين من
قوله ان تضل احدهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين رد اولا
بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عدد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير
قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي ان

عبدت بني اسرائيل اى وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل
وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار
اى او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر
باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها
والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه
وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه
ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب
السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص و
الافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اى ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه
الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وان
يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض الممكنات
عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل
فيه لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون جواب سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم
انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر
قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم
ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند المتأمل قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله عن
شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم انه
يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به
امور الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما رأى
شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه
الالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان
دهريا اعتقد ان من ملك قطرا او تولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام في من
المسجونين للعهد اى ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة
حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو جئتك اى افتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين
يبين صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة
على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فأت به ان كنت من الصادقين

في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هي بيضاء
للناظرين روي ان فرعون لما راى الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال فما فيها فادخلها
في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملا حوله مستقرين حوله فهو ظرف
وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون
بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى
واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث
في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة ياتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه في هذا الفن وقرئ بكل
ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم
الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تابط
شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق اي ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا
نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية
للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية
لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذن على
ما تقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي بعد
ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم
ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن
الغالبون اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى
به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرا حفص تلقف بالتخفيف ما يافكون
ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية
للماخوذ به مبالغة فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتاتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر
تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله
ويدل على انهم لما راوا ما راوا لم يتمالكوا انفسهم فكانهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تع القاهم بما
خولهم من التوفيق قالوا امنا برب العالمين بدل من القي بدل الاشتمال او حال باضمار قد رب موسى
وهارون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما قال امنتم
له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم

ذلك

ذلك او تواطاتم عليه اراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق وقرا حمزة والكسائي
وابو بكر وروح ءامنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا به فان
الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد
والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم
النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي واوحينا
الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات
فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرا ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان
سر من السير انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا
اتبعكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم
حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في المدائن
حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة
وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة
الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل
وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حذرون وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال
الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم
ووجوب التيقظ في شانهم حثا عليه او اعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه
وقرا ابن عامر والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح
وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء قال احب الصبي السوء
من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر او تاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة في اجسامهم فاخرجنا
هم بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر او مثل ذلك
المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف واورثناها بني
اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان
تقاربا بحيث راى كل منهما الاخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون
وقرئ لمدركون من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي المتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا

لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ان معى ربى بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة منهم روى
ان مؤمن ال فرعون كان بين يدى موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك ال فرعون
قال امرت بالبحر ولعلى اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق
اى فضرب فانفلق فصار اثنى عشر فرقا بينهما مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل
المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب وازلفنا وقربنا ثم الاخرين فرعون
وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان
عبروا ثم اغرقنا الاخرين باطباقه عليهم ان فى ذلك لاية واية اية وما كان اكثرهم مؤمنين وما
تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقى فى مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سالوا بقرة يعبدو
واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم
باوليائه واتل عليهم على مشركى العرب نبا ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سالهم ليريهم
ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم بشرح حالهم
معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم
يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم اى
يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها او ينفعونكم
على عبادتكم لها او يضرون من اعرض عنها قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان
يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجؤا الى التقليد قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم
الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم عدو لى يريد انهم اعداء لعابديهم
من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغرى بعبادتهم اعدى
اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر فى نفسه تعريضا لهم فانه انفع فى النصح من التصريح واشعارا بانها
نصيحة بدا بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه فى الاصل مصدر او بمعنى النسب الا رب
العالمين استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من ابائهم من عبد الله الذى خلقنى فهو
يهدين لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذى قدر فهدى هداية مدرجة
من مبدا الايجاد الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة الى الانسان
هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها
والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدا وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم
لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذى هو يطعمنى ويسقين على الاول مبتدا محذوف الخبر
لدلالة ما قبله عليه وكذا الذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات

مستقلة

مستقلة باقتضاء الحكم واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمنى ويسقين لانه من روادفهما من حيث
ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان الماكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد
النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه انما الضرر فى مقدماته
وهى المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التى تستحقر دونها الحيوة الدنيوية وخلاص من
انواع المحن والبلية ولان المرض فى غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه
وبما بين الاخلاط والاركان من التنافى والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص
عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذى يميتنى ثم يحيين فى الاخرة والذى اطمع ان يغفر لى
خطيئتى يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر و
طلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته
الثلث انى سقيم بل فعله كبيرهم هى اختى ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب هب لى حكما
كمالا فى العلم والعمل استعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق والحقنى بالصالحين ووفقنى للكمال فى العمل
لانتظم به فى عداد الكاملين فى الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره واجعل لى
لسان صدق فى الاخرين جاها وحسن صيت فى الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك
ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتى يجدد اصل دينى ويدعو الناس الى ما كنت
ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله عليه واجعلنى من ورثة جنة النعيم فى الاخرة وقد مر معنى
الوراثة فيها واغفر لابى بالهداية والتوفيق للايمان انه كان من الضالين طريق الحق وان كان هذا الدعاء
بعد موته فلعله كان يظن انه كان يخفى الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد
من الاستغفار للكفار ولا تخزنى بمعاتبتى على ما فرطت او بنقص رتبتى عن رتبة بعض الوراث او بتعذ
لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدى او ببعثه فى عداد الضالين وهو من الخزى
بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين
يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اى لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر
وميل المعاصى وسائر افاته او لا ينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله فى سبيل البر
وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيمة و
قيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اى لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة
من اتى الله بقلب سليم ينفعه وازلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم
المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفى
اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله اين الهتكم

الذين تزعمون انهم شفعاءكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم
والهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاون اى الالهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب
لتكرير معناه كان من القى فى النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر فى قعرها وجنود ابليس متبعوه من
عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده او للضمير وما عطف
عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه فى قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال
مبين على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب فى قوله اذ نسويكم برب العلمين اى
فى استحقاق العبادة ويجوز ان يكون الضمائر للعبدة كما فى قالوا والخطاب للمبالغة فى التحسر والندامة
والمعنى انهم مع تخاصمهم فى مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم فى الضلالة متحسرون عليها وما
اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء ولا صديق حميم اذ الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء
او وقعنا فى مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة
الشفعاء فى العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق
الصديق على الجمع كالعدو لانه فى الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمنى للرجعة
واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما فى معنى التقدير او شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب
التمنى او عطف على كرة اى لو ان لنا ان نكر فنكون ان فى ذلك فيما ذكر من قصة ابرهيم لاية لحجة
وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على نظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها
لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم
وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصور الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل
الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه
مؤمنين به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكى يؤمنوا هم او احد من
ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك يصغر على قويمة وقد مر الكلام فى تكذيبهم
المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره انى لكم
رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى
وما اسئلكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان اجرى الا على رب العلمين فاتقوا الله و
اطيعون كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته
فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء فى ان اجرى فى الكلمات
الخمس قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب

واتباعك

واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم
على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا من اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه
واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمى
بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا فى طعمة وما علىّ الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربى ما حسابهم
على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون
وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم
المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر
والمعاصى سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علىّ الا انذاركم
انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا علىّ ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن
من المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة قال رب ان قومى كذبون اظهار لما يدعو عليهم
لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بينى وبينهم فتحا فاحكم بينى وبينهم
من الفتاحة ونجنى ومن معى من المؤمنين من قصدهم او شوم عملهم فانجيناه ومن معه فى الفلك
المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد بعد انجائه الباقين من قومه ان فى ذلك لاية شاعت وتواترت
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار
القبيلة وهو فى الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العلمين تصدير القصص بها
دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه و
يبعده عن عقابه فان الانبياء متفقون على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرؤن عن المطامع
الدنيئة والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها اية
علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم فى اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام
او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء
وقيل قصورا مشيدة او حصونا لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف
بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تاديب ونظر فى العاقبة فاتقوا الله
بترك هذه الاشياء واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذى امدكم بما تعلمون كرره
مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد
على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار فى الا تتقون
مبالغة فى الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم

فقال

فقال إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فإنه كما قدر على الإنعام قدر على الانتقام قالوا
سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين فلا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة
للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه إن هذا إلا خلق الأولين ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين
أو ما خلقنا هذا إلا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق
بضمتين أي ما هذا الذي جئت به من الإعادة إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين
إلا خلق الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت إلا عادة
قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه فأهلكناهم بسبب التكذيب بريح
صرصر إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود
المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما
أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العلمين أتتركون في ما هاهنا آمنين إنكار لأن يتركوا كذلك
أو تذكير بالنعمة في تخلية الله إياهم وأسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع
ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر أو لأن النخل أنثى وطلع إناث النخل ألطف وهو ما يطلع
منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو أو متدل منكسر من كثرة الحمل وإفراد النخل لفضله على سائر أشجار
الجنات أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين أو حاذقين من الفراهة
وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو أبلغ فاتقوا الله وأطيعون ولا
تطيعوا أمر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الأمر أو نسب حكم الآمر إلى أمره مجازا
الذين يفسدون في الأرض وصف موضح لإسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على
خلوص فسادهم قالوا إنما أنت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم أو من ذوي السحر وهي الرية
أي من الأناسي فيكون ما أنت إلا بشر مثلنا تأكيدا له فأت بآية إن كنت من الصادقين في دعواك قال
هذه ناقة أي بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت
للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها
ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم
العذاب فعقروها أسند العقر إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقر برضاهم ولذلك أخذوا جميعا فأصبحوا
نادمين على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينة العذاب أو على ترك الولد ولذلك لم
ينفعهم فأخذهم العذاب أي العذاب الموعود إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك
لهو العزيز الرحيم في نفي الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم
لما أخذوا بالعذاب وأن قريشا إنما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين إذ

قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العلمين أتأتون
الذكران من العلمين أي أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم
أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الإناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم فالمراد بالعلمين
على الأول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لأجل استمتاعكم من أزواجكم
لبيان ما إن أريد به جنس الإناث أو للتبعيض إن أريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا
بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم أيضا بل أنتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث
زادوا على سائر الناس بل الحيوانات أو مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك أو أحقاء بأن توصفوا
بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه أو عن نهينا وتقبيح أمرنا لتكونن
من المخرجين من المنفيين من بين أظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على عنف وسوء حال
قال إني لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض لا أقف عن الإنكار عليه بالإيعاد وهو أبلغ
من أن يقول إني لعملكم قال لدلالته على أنه معدود في زمرتهم مشهور بأنه من جملتهم رب نجني وأهلي
مما يعملون من شؤمه وعذابه فنجيناه وأهله أجمعين أهل بيته والمتبعين له على دينه بإخراجهم
من بينهم وقت حلول العذاب بهم إلا عجوزا هي امرأة لوط في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب
إذ أصابها حجر في الطريق فأهلكها لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقيت
في القرية فإنها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين أهلكناهم وأمطرنا عليهم مطرا قيل أمطر الله
على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف إليه فاعل
ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن
ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين الأيكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة
بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعيبا كما بعث إلى مدين وكان أجنبيا منهم
فلذلك قال إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ولم يقل أخوهم شعيب وقيل الأيكة شجر ملتف وكان
شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام
وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم وإنما كتبت هاهنا وفي ص بغير الألف اتباعا
للفظ إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على
رب العلمين أوفوا الكيل أتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس
المستقيم بالميزان السوي وهو إن كان عربيا فإن كان من القسط ففعلاس بتكرير العين وإلا فعلال
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم
ولا تعثوا في الأرض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين

ودوى الجبلة الاولين يعنى من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو
للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة فى تكذيبه وان نظنك لمن الكذبين فى
دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد
وقرأ حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين فى دعواك قال ربى اعلم بما تعملون وبعذابه منزل عليكم
ما اوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بان
سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا
انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
هذا اخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين
واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به
يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مواخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل
رب العلمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القران ونبوة
محمد عليه السلام فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح
فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعانى الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى
القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبريل فانه
امين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى بتشديد الزاى ونصب الروح والامين
لتكون من المنذرين عما يؤدى الى عذاب من فعل او ترك بلسان عربى مبين واضح المعنى لئلا يقولوا
ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اى لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم
هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد صلى الله عليه وسلم وانه لفى زبر الاولين وان ذكره او معناه
لفى الكتب المتقدمة اولم يكن لهم اية على صحة القران او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان يعلمه علماء
بنى اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء واية بالرفع
على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة
واية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة فى اعجازه او بلغة العجم
فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من
اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه ادخلناه فى
قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الاية على انه بخلق الله وقيل للقران
اى ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم
الملجئ الى الايمان فياتيهم بغتة فى الدنيا والاخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون

تحسرا وتاسفا افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر علينا حجارة فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب
طلب النظرة افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون انذروا
اهلها الزاما للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها فى معنى الانذار او الرفع على انها
صفة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية
وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار وما تنزلت به الشياطين كما زعم المشركون انه من
قبيل ما يلقى الشياطين على الكهنة وما ينبغى لهم وما يصلح لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون
انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة فى صفاء الذات وقبول فيضان الحق
والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقران مشتمل
على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين
تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب
فان الاهتمام بشانهم اهم روى انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال
لهم لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب
شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا
اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم من اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين
المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك فقل انى برئ مما تعملون مما تعملونه
او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذى يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من
يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذى يريك حين تقوم
الى التهجد وتقلبك فى الساجدين وترددك فى تصفح احوال المتهجدين كما روى انه عليه السلام لما نسخ
فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها
كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام
والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التى بها يستاهل ولايته بعد وصفه
بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه انه هو السميع لما تقوله
العليم بما تنويه هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القران لا يصح
ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصح ان يتنزلوا عليه
من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما
من التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيها قوله يلقون السمع واكثرهم

يكذبون اى الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون
اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن
وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلوات الله عليه فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى
وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان
هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وقيل الضمائر للشياطين اى يلقون السمع الى الملأ الاعلى
قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم
الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة
لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم
ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله الم تر انهم فى كل واد يهيمون لان اكثر
مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض
والقدح فى الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه
اشار بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون وكانه لما كان اعجاز القران من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا
فى المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفى اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم فى القسمين وبين
منافاة القران لهما ومضادة حال الرسول صلى الله عليه وسلم لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم على
التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون
ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار
ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه
الصلوة والسلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه الصلوة والسلام
قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون تهديد
شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى اى منقلب ينقلبون
اى بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضى الله عنه حين عهد اليه وقرئ اى منفلت
ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون
ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب
بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النمل مكية وهى ثلث او اربع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك ايات القران وكتاب مبين الاشارة الى السورة

والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتاخيره باعتبار تعلق
علمنا به وتقديمه فى الحجر باعتبار الوجود او القران وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه
وعطفه على القران كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة
او بدلان منها او خبران اخران او خبران لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين
يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او العطف
وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء
الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق
على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم زين اعمالهم القبيحة بان جعلها
مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التى وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم
يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم
بدر وهم فى الاخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى
القران لتؤتاه من لدن حكيم عليم اى حكيم واى عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل فى الحكمة لعموم
العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القران منها ما هى حكمة كالعقائد والشرائع
ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ
قال موسى لاهله انى انست نارا اى اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اى
عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امراته لما كنى عنها بالاهل والسين
للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ او اتيكم بشهاب قبس شعلة نار مقبوسة واضافة
الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له
لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجى فى طه والترديد للدلالة
على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع حرمانين
على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودى ان
بورك اى بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة
والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره فى احكام
كثيرة من فى النار ومن حولها من فى مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى
من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام فى كل من فى تلك
الوادى وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء

وامواتا

واموالا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير
الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين
من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى
لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان
له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام
كقلب العصا حية الفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على بورك اي نودي ان بورك
من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان
فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كانها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب
من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعبه لظنه
ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله اني لا يخاف
لدي المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس اي من الله او لا يكون لهم
عندي سوء عاقبة فيخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع
استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان
فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد تعريض موسى بوكزه
القبطي وقيل متصل وثم بدل مستانف معطوف على محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل
يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج
بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا
واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع
آيات على انه استيناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا
انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم
فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او
ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتامل فيها
وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها
انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة
من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة ولقد آتينا
داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو

استشعارا

اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم
وشرف اهله حيث شكروا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي
لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما اتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان
فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه
في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء
تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك
من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق
لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان
الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف
الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل سليمان عليه السلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية
التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يتصوت ويترقص فقال يقول اذا
اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت
البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتالم قلب والضمير في علمنا واوتينا له
ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان
يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع لسليمان
جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على
واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من
قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم كانها لما راتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت
بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه
لا يمتنع ان خلق الله تعالى فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها
عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون
لا يدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم
والايذاء وقيل استيناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها
وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سال
توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه

لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه
ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان
اعمل صالحا ترضاه تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عداد هم الجنة
وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ام
منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال مالي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب
فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسأل عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه
والقائه في الشمس او حيث النمل تاكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او لياتيني
بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى
ذلك وقوع احد الامور الثلثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير او ليأتينني بنونين الاولى
مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم
بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبأ وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى
خلق الله تعالى من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء
باطباق وبغير اطباق وجئتك من سبأ وقرأ ابن كثير برواية البزي وابو عمرو غير مصروف على تاويل القبيلة
او البلدة بنبأ يقين بخبر محقق روي انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به
ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرا فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم
لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحس طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان
فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى
ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به من خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها
ويستنكرها من ينكرها اني وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير
لسبأ او لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج اليه الملوك ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة اليها او الى عروش
امثالها وقيل كان ثلثين ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم
عبادة الشمس وغيرها من مقابح افعالهم فصدهم عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون
اليه الا يسجدوا لله فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا
بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف على انه للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا
كقوله وقالت الا يا اسمع نعظك بخطة فقلت سميعا فانطقي واصيبي وعلى هذا صح ان يكون استئنافا
من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين

يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون
على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون وصف له بما يوجب
اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء
ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء
فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود
ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي بالتاء الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي
هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى التأمل
اصدقت ام كنت من الكاذبين اي ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي
هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع
بعضهم الى بعض من القول قالت اي بعد ما القي اليها يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله
او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة
والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استئناف كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي ان
الكتاب او العنوان من سليمان وانه وان المكتوب او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل
لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اي هو
او المقصود ان لا تعلوا او بدل كتاب وأتوني مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا كلام في غاية
الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما
والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد
قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم
الدلالة قالت يا ايها الملأ افتوني في امري اجيبوني في امري الفتي واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت
قاطعة امرا ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة قالوا نحن اولو
قوة باجساد والعدد واولو بأس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك موكول فانظري ماذا تامرين
من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما احست
منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى
سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى عاقبتها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك
يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله
عز وجل واني مرسلة اليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية

ادفعه

ادفعه بها عن ملكى فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روى انها بعثت منذر بن عمرو
فى وفد وارسلت معهم غلمانا على زى الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة
معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة
خيطا فلما وصلوا الى معسكره وراوا عظمة شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم
جبريل بالحال فطلب الحق واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فى الدرة وامر دودة بيضاء
فاخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم
تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمن اى الرسول او ما اهدت
اليه وقرئ فلما جاؤا قال اتمدونن بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ
حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء فما اتن الله من النبوة والملك الذى
لا مزيد عليه وقرأ نافع وابو عمرو وحفص باثبات الياء واسقطها الباقون وامالها الكسائى وحده خير مما
اتكم فلا حاجة لى الى هديتكم ولا وقع لها عندى بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا
من الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب
عن انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم
فى قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها فلنأتينهم بجنود لا قبل
لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقاتلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من سبأ اذلة
بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون قال يا ايها الملؤا ايكم ياتينى بعرشها اراد
بذلك ان يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه فى دعوى النبوة
ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان ياتونى مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل
اخذه الا برضاها قال عفريت خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان
اسمه ذكوان او صخرا انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار
وانى عليه على حمله لقوى امين لا اختزل منه شيا ولا ابدله قال الذى عنده علم من الكتاب آصف
ابن برخيا وزيره او الخضر او جبريل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك
للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة فى نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأتى
له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك فى
موضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف
بارسال الطرف كما فى قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف

والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شىء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية فى الاسراع
ومثل فيه فلما راه اى العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة
المخلصين من عباد الله هذا من فضل ربى تفضل به على من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش
فى مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام فى امكان مثله قد مر فى اية الاسراء
ليبلونى ءاشكر بان اراه فضلا من الله بلا حول منى ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسى فى البين
او اقصر فى اداء مواجبه ومحلهما النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه به يستجلب
لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فان ربى
غنى عن الشكر كريم بالانعام عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر وقرئ
بالرفع على الاستيناف اتهتدى ام تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى
الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحرس فلما
جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة فى امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت
كأنه هو ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا
مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا
العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الايات وقيل انه كلام سليمان
وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها
تجويزا غالبا واحضاره ثم من المعجزات التى لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على الانبياء اى واوتينا
العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم
فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم فى ذلك شكرا له وصدها ما كانت تعبد من دون الله اى
وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان انها كانت
من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اى صدها نشؤها بين اظهر الكفار
او التعليل له قيل لها ادخلى الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها
روى انه امر قبل قدومها فبنى قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوانات البحر
ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل
سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤوق واسؤق قال انه ما تظنينه ماء صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج
قالت رب انى ظلمت نفسى بعبادة الشمس وقيل بظنى بسليمان فانها حسبت انه يغرقها فى اللجة واسلمت مع
سليمان لله رب العلمين فيما امر به عباده وقد اختلف فى انه تزوجها او زوجها من ذى تبع ملك همدان
ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء

فاذا

فاذا هم فريقان يختصمون ففاجئوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال

يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب

فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها

فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا

الافتراق مذ اخترعتم دينكم قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب

عنده بل انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذي

هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة تسعة رهط تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة

باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة او السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة

يفسدون في الارض ولا يصلحون اي شأنهم الافساد الخالص عن شوائب الصلاح قالوا اي قال بعضهم

لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله

ليلا وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن

فيه القراءات الثلث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر

والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر

بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان

الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رايت

ثم رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون

بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلث فنفرغ منه

ومن اهله قبل الثلث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب

فهلكوا ثم وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم

وقومهم اجمعين وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استيناف او خبر محذوف

لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح

على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن

اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على

انه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لآية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا

الذين آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا اي واذكر

لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول وظرف على الثاني

اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم

بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش ائنكم لتأتون

الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة

في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون

تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون

الموصوف به في معنى المخاطب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس

يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا امرأته

قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين

مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما قص

عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظمة شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار

من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلما بما جهل من احوالهم

وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم

على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك آلله خير اما تشركون الزام لهم وتهكم بهم

وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ

كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء امن بل امن خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات

ومبادي المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به

حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة الى التكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات

الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطبائع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه

بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة ءاله مع الله

اغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ ءالها باضمار فعل مثل اتدعون او اتشركون

وتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد امن

جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات وجعلها قرارا ابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث تتأتى

استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها وسطها انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا يتكون

فيها المعادن وتنبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم

حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به امن

يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجأ الى الله من الاضطرار وهو افتعال

من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع

عن الانسان ما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم

أإله مع الله الذي حففكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلاً ما يذكرون اى تذكرون آلاءه تذكراً قليلاً
وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وروح وهشام بالياء وحمزة والكسائى
وحفص بالتاء وتخفيف الذال امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات
ظلمات الليالى اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتى لا منار بها
ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته يعنى المطر ولو صح ان السبب الاكثرى فى تكون الريح معاودة الادخنة
الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية
لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب أإله مع الله يقدر على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون
تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق امن يبدؤ الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة
فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض اى باسباب سماوية وارضية أإله مع الله
يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شىء من ذلك ان كنتم صادقين فى اشراككم فان كمال القدرة
من لوازم الالوهية قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة
الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة
التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيهما من يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم او متصل على
ان المراد ممن فى السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولى
العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان يبعثون متى ينشرون مركبة من اى وآن
وقرئت بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادارك علمهم فى الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفى
شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج
والآيات وهو ان القيمة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغى بل هم فى شك منها كمن تحير فى امر لا يجد
عليه دليلاً بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن
فى السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم
وقيل الاول اضراب عن نفى الشعور بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم فى امر الآخرة تهكما
بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التى عندها تعدم وقرأ
نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من
تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك وابو بكر ادرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآأدرك
بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبلى ادرك وبلى أأدرك وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح
او مضمر من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب
عن التفسير مبالغة فى نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد

وانكار

وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا أئذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل فى
اذا ما دل عليه لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلاً من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها
وتكرير الهمزة للمبالغة فى الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة
وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن كثير والكسائى اننا بنونين على الخبر لقد وعدنا
هذا نحن وآباؤنا من قبل من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر
هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين التى هى
كالاسمار قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف
بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفاً للمؤمنين
فى ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن فى ضيق فى حرج صدر وقرأ
ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اى امر ضيق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك
من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف
لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح
وهو لغة فيه بعض الذى تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف فى مواعيد الملوك
كالجزم بها وانما يطلقونه اظهاراً لوقارهم واشعاراً بان الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى
وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بتأخير عقوبتهم على المعاصى والفضل والفاضلة
الافضال وجمعهما فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه
بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت
اى سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة فى السماء والارض خافية فيهما
وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما فى الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء فى عاقبة
وعافية الا فى كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة
ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة
والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون به ان ربك يقضى بينهم
بين بنى اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد
قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضى فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين
وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث
انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأساً وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى
عليهم كما شبهوا بالصم فى قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم فى هذه الحال

ابعد

العبد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة وحده
وما انت تهدى العمى ان تسمع اى ما يجدى اسماعك الا من يؤمن باياتنا من هو فى علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون
من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب
اخرجنا لهم دابة من الارض وهى الجساسة روى ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناح
لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروى انه عليه السلام سئل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة
على الله يعنى المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروى انها تخرج ومعها
عصى موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا فى مسجد المومن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم فى انف
الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون خروجها وسائر احوالها فانها من ايات
الله وقيل القرآن وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها
او حكايتها لقول الله او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من كل امة فوجا يعنى يوم القيمة
ممن يكذب باياتنا بيان للفوج اى فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبى واهل كل قرن شامل
للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم
وتباعد اطرافهم حتى اذا جاؤا الى المحشر قال اكذبتم باياتى ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اى اكذبتم
بها بادى الراى غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف
اى اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها اماذا كنتم تعملون ام اى شئ كنتم تعملونه
بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك
ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم فى النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو
التكذيب بايات الله فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد و
يرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون
الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور فى مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة
فى مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصر وافيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو
مناط جميع مصالحهم فى معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا
فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها
ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلثة ويوم ينفخ فى الصور فى الصور او القرن
وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ فى البوق ففزع من فى السموات ومن فى الارض
من الهول وعبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه الا من شاء الله ان لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم جبريل
وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق

مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص
اتوه على الفعل وقرئ اتاه لتوحيد لفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة
ثابتة فى مكانها وهى تمر مر السحاب فى السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت فى سمت واحد لا تكاد تبين
حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله تعالى وعد الله الذى اتقن
كل شئ احكم خلقه وسواه على ما ينبغى انه خبير بما تفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم
عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقى بالفانى وسبعمائة بواحد وقيل
خير منها اى خير حاصل من جهتها وهو الجنة وهم من فزع يومئذ امنون يعنى به خوف عذاب يوم القيمة
وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمومن وقرأ
الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وامن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى
افامنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة قيل
بالشرك فكبت وجوههم فى النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت
بالايدى فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات او باضمار
القول اى قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها امر الرسول صلى الله
عليه وسلم ان يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بانه قد اتم
الدعوة وقد كملت ما عليه بعد الا الاشتغال بشانه والاستغراق فى عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه
الاضافة تشريفا لها وتعظيم لشانها وقرئ التى حرمها وله كل شئ خلقا وملكا وامرت ان اكون من
المسلمين المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القرآن وان اواظب على تلاوته لينكشف لى
حقايقه فى تلاوته شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياى فى ذلك فانما
يهتدى لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفتى فقل انما انا من المنذرين فلا على من وبال
ضلاله شئ اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة او
على ما علمنى ووفقنى للعمل به سيريكم اياته القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او فى
الاخرة فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله ولكن حين لا ينفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون
فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ فى السبعة بالتاء عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهودا وصالحا وابراهيم
وشعيبا ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

سورة القصص مكية وقيل الا قوله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهى ثمان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلو عليك نقرأه بقراءة جبرئيل على

ويجوز ان يكون بمعنى نتنزله مجازا من نبإ موسى وفرعون بعض نبأهما مفعول نتلوا بالحق محقين لقوم
يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استيناف مبين لذلك البعض والارض
ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا
في استخدامه استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة
منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استيناف وقوله يذبح ابناءهم
ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك
على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين
ولذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون
علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنتها الارادة للاستضعاف
مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت
قريبة الوقوع منه جاز ان تجري مجرى المقارن ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدارين ونجعلهم
الوارثين لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين
ان يجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان وجنودهما
منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يدي مولود منهم وقرئ
ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه
ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه
ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين
روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على
الارض هالها نور بين عينيه وارتعش مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته
ثلث اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته
بالنيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه
تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين في كل شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم
ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد
خطأهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ
وقالت امرأت فرعون اى لفرعون حين اخرجته من التابوت قرت عين لي ولك هو قرة عين

لابنها

لابنها لما رآه اخرج من التابوت احبه او لانه كانت لها ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري
يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرأت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله
كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك
لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه فانه
اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائلة والمقول له اى وهم لا يشعرون انهم على
الخطأ في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اى
وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف
والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اى خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ
فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدر او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون
عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى اى بامره وقصته من فرط الضجر
او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين
بوعد الله او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة في جار الواو
مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله
وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب
وعن جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع
من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي من قبل من قبل قصصها
اثره فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته
روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله خذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك
ناصحون فامرها فرعون بان تأتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد
ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح
طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله
فرددناه الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم
هم لا يعلمون ان وعد الله حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض
بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك
من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين واستوى
قده او عقله آتيناه حكما نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا
يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه استنبأ بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك

الذي

الذي فعلناه بموسى واخيه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر فرعون
وقيل منفا وحابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها ولا
يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة
على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي
بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره
فقضى عليه فقتله واصله انهى حيوته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه
لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ
وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم
انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره
انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك
علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن
اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وقيل معناه
بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا
يترقب يترصد الاستقادة فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ
قال له موسى انك لغوي مبين بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش
بالذي هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل
قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش
عليه او القبطي وكانه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ان تريد ما تريد الا ان
تكون جبارا في الارض تطاول على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين بين
الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله
فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة
لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف
قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من
المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين
لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لحوق طالب
قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين

قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر
مسيرة ثمان قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن
له ثلث طرق فاخذ في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين ولما ورد ماء مدين وصل اليه
وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون
مواشيهم ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما عن الماء
كيلا تختلط باغنامهم قال ما خطبكما ما شأنكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء تصرف الرعاة
مواشيهم عن الماء حذرا من مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه
الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال
وابونا شيخ كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما
قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان
به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم تولى
الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي لاي شيء انزلت من خير قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام فقير
محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان
في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احديهما تمشي على استحياء اي
مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفورا او صفراء وهي التي تزوجها موسى قالت
ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ
ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع
ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم
اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت
احديهما يعني التي استدعته يا ابت استأجره لرعي الغنم ان خير من استأجرت القوي الامين تعليل جامع
يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على
انه امين مجرب معروف روي ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب
رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني
ان تأجر نفسك مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول به
على الثالث باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج فان اتممت عشرا اي عمل عشر حجج فمن عندك
فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى
على معينة وبمهر آخر او برعية الاجل الاول ووعد له ان يوفي الاخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام

للزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر والمناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في طاقته ورايك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي فلا يعتدى علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثمان او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايّ ما كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره واي الاجلين ما قضيت فيكون ما مزيدة لتاكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامراته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا اخر ثم عزم على الرجوع آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء كان في راسه نار او لم تكن قال: بات تحت حواطب ليلي يلتمس لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر والفي على قبس من النار جذوة شديدا عليه حرها والتهابها ولذلك بيّنه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفؤن بها فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من الشاطئ بدل الاشتمال لانها كانت ثابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى اني انا الله رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في المقصود وان الق عصاك فلما رآها تهتز اي فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز كانها جان في الهيئة والجثة او في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد اليسرى وبالعكس او بادخالها في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمها وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة

المرأة

المرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج باياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم انه محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منها اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله تعالى اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون فلذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم

فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشان الآخذ واستحقار للماخوذين كانه
اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم
القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها
وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي
ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين
تلعنهم الملائكة والمومنون ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد آتينا
موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس
انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرائع التي هي سبيل الله ورحمة
لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة
وفيه ما عرفت وما كنت بجانب الغربي يريد الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى او الجانب
الغربي منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما كنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ
اوحينا اليه الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم السبعون
المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف
الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحينا
اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست
العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب والمومنين به
تتلو عليهم تقرأ عليهم تعلما منهم آياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك مخبرين لك بها وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما ناداه واعطاه التورية وبالاول حين استنبأه لانهما المذكوران
في القصة ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل
المحذوف ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة
او بينك وبين اسماعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون
يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى
امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها مما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول فيقولوا
المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء
ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم
عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها

ونكون من المصدقين فيما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فنتبع آياتك يعني
الرسول المصدق بنوع من المعجزات ونكون من المومنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل
ما اوتي موسى من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرهما اقتراحا وتعنتا اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني
ابناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعنون
موسى وهارون او موسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون
سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ
اظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما او بكل الانبياء قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى
منهما مما نزل على موسى وعلي واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل
مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول
للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا
كقوله وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا
حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد
او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك
في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل التذكير او في النظم
لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون فيومنون ويطيعون الذين
آتيناهم الكتاب من قبله هم به يومنون نزلت في مومني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل اثنان
وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن كالمستكن في واذا يتلى
عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام الله انه الحق من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من
قبله مسلمين استيناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده
لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته
في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم
وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى المشركين ومن هاجرهم من
اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع السيئة الحسنة
تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب
صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي

من يشاء فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب
فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال
يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك
نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال نحن نعلم انك على الحق لكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من
ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اولم نجعل لهم مكانهم حرما ذا أمن بحرمة البيت
الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية
بالتاء ثمرات كل شيء من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف
نعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون
جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون
ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال
من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم
عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن
وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى
الا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا
نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها
بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على
تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث في امها في اصلها
التي هي اعمالها لان اهلها يكون افطن وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا
مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا
فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية وما عند الله وهو
ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون
الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا
بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه
بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب
مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخي في الزمان
او الرتبة وقرأ نافع في رواية الكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل

وهذه

وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب
باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام
عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين وغيره من آيات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول
اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم
وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاد
زيادة على الصفة وهو وان كانت فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى
منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا
وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا
شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم
لو انهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا انهم
كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم
به ثم عن تكذيبهم الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله
فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه
لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون في
الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية
الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم
بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل فعسى ان يكون من المفلحين
عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار
لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم
راسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى منوط بدواع لا اختيار لهم فيها
وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى
ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره
اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول
وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد
في الاولى والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا

بقولهم

بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذ بحمده وله الحكم
القضاء النافذ فى كل شئ واليه ترجعون بالنشور قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد
وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر
من اله غير الله يأتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره الهة وعن ابن كثير بضئاء
بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة
باسكانها فى وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة
عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك
الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا
تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه فى الليل ولتبتغوا من فضله فى النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكى تعرفوا
نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع
للاشعار بانه لا شئ اجلب لغضب الله تعالى من الاشراك به او الاول لتقريعهم فساد رايهم والثانى لبيان انه
لم يكن عن سند وانما كان محض تشهى وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم
بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله فى الالهية
لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان
من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل
عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل او
حسدهم لما روى انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا فى غير شئ الى متى اصبر وآتيناه
من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل
خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة اولى القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى وناء به الحمل
اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء
المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه
نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح
كما قال اشد الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهى
ههنا بكونه مانعا من محبة الله فقال ان الله لا يحب الفرحين اى بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله
من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك
ترك المنسى نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله

كما احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ الفساد فى الارض
نهى له عما كان عليه من الظلم والبغى ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم عندى
فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التورية
وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندى
صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندى اى فى ظنى واعتقادى اولم يعلم ان الله قد
اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله
مع علمه بذلك لانه قرأه فى التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم
منه اى اعنده مثل ذلك العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين ولا يسئل عن
ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون
بذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على
ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه فى زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء
عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على ما هو
عادة الناس من الرغبة يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد انه لذو حظ عظيم
من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى
ثواب الله فى الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتى قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير
فيه للكلمة التى تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او للجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما فى معنى
السيرة والطريقة الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصى فخسفنا به وبداره الارض روى انه كان يؤذى
موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه
فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بنى اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم
العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه
فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها
موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان ارميك بنفسى فخر موسى شاكيا عنه الى ربه
فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى
وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه فى هذه الاحوال
فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتى وجلالى لو دعانى مرة لاجبته
ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة اعوان مشتقة
من فاوت راسه اذا اميلته ينصرونه من دون الله فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين

الممتنعين منه من تولهم نصره من عدوه فانتصر اذا امتنع منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس
منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى
مشيته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب
وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويلك
اعلم ان الله لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه وقرئ لخسف به لاجله ويكأنه
لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعد لهم من ثواب الاخرة تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم
كأنه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه
الله من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات
وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي مثل ما كانوا
يعملون وحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القران اوجب عليك
تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد اي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك
فيه او مكة التي اعتدت بها على انه من العادة لرده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين اكد ذلك
بوعد المحسنين ووعيد المسيئين ووعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روي انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق
الى مولده ومولد ابائه فنزلت قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره
اعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق
وكذا قوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه
الا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون الاستثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القي اليك الكتاب
الا رحمة فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك
عن ايات الله عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك من اصد وادع الى ربك الى
عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها اخر هذا وما قبله للتهييج وقطع
اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك
في حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له
يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل
استقلاله بنفسه او بما يضم معه احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها

ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فان معناه
احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك
حسبت ضربه للتاديب او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم امنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة
والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق
والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن
خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب روي انها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين
وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما رماه عامر بن الحضرمي بسهم
يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بأحسب او بلا يفتنون والمعنى
ان ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم
وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن او وليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس او وليسمنهم
بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصي فان
العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد
مسد مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء
ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله
في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله
بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط
لما سخط منها فان اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لات لجاء واذا كان وقت اللقاء اتيا كان اللقاء كائنا
لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضا وهو السميع لاقوال العباد العليم
بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه
لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعة ولنجزينهم
احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه
في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي وقلنا له احسن بوالديه حسنا
وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي وقلنا اولهما او
افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا
واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم بالوهيته

عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا
تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل الي مرجعكم
مرجع من امن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والاية نزلت في
سعد بن ابي وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى
يرتد ولبثت ثلثة ايام كذلك وكذا التي في لقمان والاحقاف والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في
الصالحين في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المومنين ومتمنى انبياء الله المرسلين
او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة
على الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف
عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين فاشركونا فيه والمراد
المنافقون او قوم ضعيف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويويده الاول او ليس الله باعلم بما في صدور
العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين امنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين
وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة
او ان كان بعث ومواخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع
والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين
من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين
شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا
له بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شيء وليسألن يوم القيمة سوال تقريع
وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا
خمسين عاما بعد المبعث اذ روي انه بعث على راس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان
ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في
ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان
الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة
ومن ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم
اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة اية للعالمين يتعظون ويستدلون بها وابرهيم عطف على نوحا
او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف
لارسلنا اي ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال

ان قدر بالذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو
شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون
افكا وتكذبون كذبا في تسميتها الهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك وهو
استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق
للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله
لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى
لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه
المالك له واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره
او مستعدين للقائه فانه اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا وان تكذبوني فقد كذب امم
من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب
فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الذي زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب
فالاية وما بعدها من جملة قصة ابرهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان تكون اعتراضا
بذكر شان النبي صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي
قصته من حيث ان مساقها لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا
بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابرهيم في قومه اولم يروا كيف يبدئ
الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم
يعيده اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الروية غير واقعة عليه ويجوز
ان يأول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوها ويعطف
على يبدئ ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى
شيء قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابرهيم او محمد عليهما الصلوة والسلام فانظروا كيف بدأ الخلق
على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الاخرة بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة
نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره
في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء
ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في العطف ما مر وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة
كالرافة ان الله على كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة
الاخرى كما قدر على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم عن
ادراككم في الارض ولا في السماء وان فررتم من قضائه بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها

المحصن في السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان امن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل
من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك
يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او أيسوا في الدنيا لانكار
البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابراهيم وقرئ بالرفع على انه
الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون
اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اي فقذفوه في النار فانجاه الله منها بان جعلها عليه بردا وسلاما
ان في ذلك في انجائه منها لآيات هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض
مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا
مودة بينكم في الحيوة الدنيا لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم
محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا
سبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق
وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودة
او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو
المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم
ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين
الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم
منها فآمن له لوط هو ابن اخته واول من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر
من قومي الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا
بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام
فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحاق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس من الولادة
من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به
الجنس ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية
الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر وانه في الآخرة
لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابراهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم
لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على
الاستفهام واجمعوا على الاستفهام في الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف مقرر لفحاشتها من حيث

انها

انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتأتون الرجال
وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون
سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون في ناديكم في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي
الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح وعدم مبالاة بها وقيل الخذف
ورمي البنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح
ذلك او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم المفسدين
بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العقاب واشعارا بانهم احقاء بان
يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا
اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل
لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم
بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي عليه السلام بين اظهرهم قالوا نحن
اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب
عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او تأقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تأخير البيان عن الخطاب
الا امرأته كانت من الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته
المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما وضاق
بهم ذرعا وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه
بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما رأوا فيه اثر الضجرة
لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف جر على
المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه
القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب
وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها آية بينة هي
حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها
المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو يتعلق بتركنا او آية
والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم
مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة
الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل لان القلوب ترجف لها فاصبحوا

في

في دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا
منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود
غير مصروف على تاويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اى تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم
من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطن اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم
عن السبيل السوي الذي بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم
لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحقهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون
وفرعون وهامان معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من
المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء
او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا
وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه
معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجه في الوهن والخور بل ذلك اوهن فان لهذا
حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص
والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب
وعناكب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت اوهن واقل وقاية
للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهن من ذلك
ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد
به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اى قل للكفرة ان الله
يعلم وقرأ البصريان بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم معلقة
عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة
مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى
الاخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا
يعد شيئا بمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان
الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل و
نظائره نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها الا العلمون
الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه الصلوة والسلام انه تلا هذه الاية فقال العالم

من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير قاصد
به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله
ان في ذلك لاية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته
وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع
سمعه واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال
الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روى ان فتى من الانصار
كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له
فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها
به للتعليل فان اشتمالها على ذكره هي العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او لذكر
الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات
فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتب الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة
الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه
وجوابه انه اخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد
او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل
اليكم هو من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتب ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا
والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتب وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية
وهو تحقيق لقوله فالذين اتيناهم الكتب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول
صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اهل الكتاب من يؤمن به بالقران وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكفرون
الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التامل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى
الرسول صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور
هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين
زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد اذا لارتاب المبطلون اى لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله
تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه
الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم

باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القران ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد
تحريفه وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا
بها وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصري
وحفص ايات قل انما الايات عند الله ينزلها كما يشاء لست املكها فاتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين
ليس من شاني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الايات اولم يكفهم اية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم اية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر
الايات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك في ذلك الكتاب الذي
هو اية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت
وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها
ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا
بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغ ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت
يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين امنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون
الله وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب
بقولهم امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لعذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم
بغتة فجاءة في الدنيا كوقعة بدر او الاخرة عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك
بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم ياتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الان لاحاطة
الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس
فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت
من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله او بعض ملائكته بامره وقرأ ابن ك
وابن عامر والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين امنوا ان ارضي
واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم
فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه الصلوة والسلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان
شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما الصلوة والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان
ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله
لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد وقرأ ابو بكر
بالياء والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي
وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا

لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على
اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله
وكاين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها
الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم
الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة
قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسؤل عنهم اهل مكة
ليقولن الله لما تقرر في العقول وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون
يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل
ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون على وضع
الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم
ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه
الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء
من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك
بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدئ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم
وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف
لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان ويجتمعون عليه
ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي لهي دار الحيوة الحقيقية
لامتناع طريان الموت عليها او جعلت في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحيوة
واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب
اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم
الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم
اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة
من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد
الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجئوا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه
لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام

وتوادهم

وثوابهم عليها او للامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا
بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا حرما امنا
اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي امنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم
يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل ابعد هذه النعمة المكشوفة
وغيرها مما لا يقدر عليها الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به
غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول والكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم
يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه أليس في جهنم مثوى
للكافرين تقرير لثوائهم كقوله الستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل
هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى
للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا في حقنا واطلاق المجاهدة ليعم جهاد
الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم
هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصرة والاعانة قال عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان وهي ستون او تسع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت
الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او في ادنى ارضهم من
العرب واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو
لغة كالجلب والجلب سيغلبون في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات
وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون
وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على
اخوانكم فلنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم
على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر
قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع
سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من احد وظهرت الروم على
فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي وجاء به الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال

تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم
القمار والاية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه
ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم
المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد
من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين
اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير
تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا واخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون
بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا
به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار
صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى
وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله
مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الاخرة التي هي غايتها والمقصود منها هم
غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على
الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون
تقرير لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم
بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها و
كيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الاخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها
واشعار بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم اولم
يحدثوا التفكر فيها او لم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلي فيها للمستبصر
ما يجتلي له في الممكنات باسرها ليتحقق لهم قدرة مبدعها على اعادتها قدرته على ابدائها ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف يدل الكلام عليه واجل مسمى تنتهي عنده
ولا تبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء قيام الاجل المسمى او قيام الساعة
لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الاخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى اثار المدمرين قبلهم كانوا
اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن

وزرع البدور وغيرها وعمروها وعمروا الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير
ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا
فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة
وهم ضعفاء ملجؤن الى واد لا نفع لها وجاءتهم رسلهم بالبينت بالمعجزات او الآيات الواضحات
فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا
انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم
العقوبة او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم
فانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تانيث اسوأ كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت بها ان كذبوا بايت الله
وكانوا بها يستهزءون علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعول
بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزءوا بها
ويجوز ان يكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وان
يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى
القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى او ان كذبوا على الوجوه
المذكورة الله يبدؤا الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب
للمبالغة في المقصود وقرأ ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه
الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم
ممن اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم
كافرين يكفرون بالهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب
في المصحف شفعؤا وعلموا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف
الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله
فاما الذين آمنوا وعملوا الصلحت فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون
يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا بايتنا ولقاء الآخرة فاولئك
في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله
الحمد في السموت والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء
عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها
من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات

والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص
الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد
النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموت
والارض اعتراضا وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الآية جامعة للصلوات الخمس
تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون
صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين
في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه
السلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل سبحان الله حين تمسون الآية وعنه
عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون
ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون
وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان
من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة او يعقب الحيوة
الموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك
الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة الموت وقرأ حمزة والكسائي
بفتح التاء ومن آيته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه
ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن آيته
ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن
من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتألفوا
فان الجنسية علة الضم والاختلاف سبب التنافر وجعل بينكم اي بين الرجال والنساء
وبين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوان
نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم
وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله تعالى ورحمة منا ان في ذلك لآيت لقوم
يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن آيته خلق السموت والارض
واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغة او الهمه وضعها واقدره
عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية
والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها
بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور

الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة إن في ذلك لآيات للعالمين
لا تكاد تخفى على عاقل من ملك أو إنس وجن وقرأ حفص بكسر اللام فيؤيده قوله وما يعقلها
إلا العالمون ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم
في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وتقوية القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما أو منامكم
بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين إشعارا بأن كلا من
الزمانين وإن اختص بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه
إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فإن الحكمة فيه ظاهرة ومن
آياته يريكم البرق مقدر بأن كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت
مخلدي أو الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه أو صفة لمحذوف
تقديره آية يريكم بها البرق كقوله فما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش
أكدح خوفا من الصاعقة وللمسافر وطمعا في الغيث أو للمقيم ونصبهما على العلة لفعل
يلزم المذكور فإن إراءتهم تستلزم رؤيتهم أو له على تقدير مضاف نحو إرادة خوف وطمع أو تأويل
الخوف والطمع بالإخافة والإطماع كقولك فعلته رغما للشيطان أو على الحال مثل كلمته
شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد فيحيي به الأرض بالنبات بعد موتها
يبسها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط أسبابها وكيفية
تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره قيامهما
بإقامته لهما وإرادته لقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالأمر
للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا
أنتم تخرجون عطف على أن تقوم على تأويل مفرد كأنه قيل ومن آياته قيام السموات
والأرض بأمره ثم خروجكم من القبور إذا دعاكم دعوة واحدة فيقول أيها الموتى اخرجوا
والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق إرادته بلا توقف واحتياج إلى
تجشم عمل بسرعة ترتب إجابة الداعي المطاع على دعائه وثم إما للتراخي زمانه أو لعظم ما فيه
ومن الأرض متعلق بدعا كقوله دعوته من أسفل الوادي فطلع إلي لا بتخرجون لأن
ما بعد إذا لا يعمل فيما قبله وإذا الثانية للمفاجأة ولذلك ناب مناب الفاء في جواب
الأولى وله من في السموات والأرض كل له قانتون منقادون لفعله فيهم لا يمتنع
عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو أهون عليه والإعادة
أسهل عليه من الأصل بالإضافة إلى قدركم والقياس على أصولكم وإلا فهما عليه سواء ولذلك

قيل الهاء للخلق وقيل أهون بمعنى هين وتذكيره هو لأهون أو لأن الإعادة بمعنى أن يعيد
وله المثل الأعلى الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا إله إلا الله
أراد به الوصف بالوحدانية الأعلى الذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه في السموات والأرض
يصف به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن إبداء ممكن وإعادته
الحكيم الذي يجري الأفعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من أنفسكم منتزعا
من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من
مماليككم من شركاء في ما رزقناكم من الأموال وغيرها فأنتم فيه سواء فتكونون
أنتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع أنهم بشر مثلكم وأنها معارة لكم ومن الأولى
للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي
تخافونهم أن يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم أنفسكم كما يخاف الأحرار بعضهم
من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات نبينها فإن التمثيل مما يكشف
المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الأمثال بل اتبع الذين ظلموا
بالإشراك أهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فإن العالم إذا اتبع هواه
ربما ردعه علمه فمن يهدي من أضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين
يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها فأقم وجهك للدين حنيفا فقومه له
غير ملتفت أو ملتفت عنه وهو تمثيل للإقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فطرت الله خلقته
نصب على الإغراء أو المصدر بما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها خلقهم عليها
وهي قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه أو ملة الإسلام فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها
وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر أحد أن يغيره أو ما
ينبغي أن يغير ذلك إشارة إلى الدين المأمور بإقامة التوجه له أو الفطرة إن فسرت بالملة الدين
القيم المستوي لا عوج فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم
منيبين إليه راجعين إليه من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى وقيل منقطعين إليه من الناب
وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله أو في أقم لأن الآية خطاب للرسول والأمة
لقوله واتقوه وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير أنها صدرت
بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم
اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا
دينهم الذي أمروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل إمامها الذي أضل دينها كل حزب

بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر
من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه
من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون
فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذى عافاهم ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة
وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرى وليتمتعوا
فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرى بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل
ذا سلطان اى ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق
بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذى بسببه يشركون به فى الوهيته واذا
اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة
بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤا القنوط من رحمته اولم يروا ان
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى الضراء والسراء كالمؤمنين
ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا
القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به
والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم او لمن
بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته
اى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم
المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربوا زيادة محرمة
فى المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطائه
ليربوا فى اموال الناس ليزيد ويزكو فى اموالهم فلا يربوا عند الله فلا يزكوا عنده ولا يبارك
فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا اى لتزيدوا او لتصيروا ذا ربوا وما آتيتم من زكوة تريدون
وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف من الثواب
ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم
ببركة الزكوة وقرى بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات
فيه للتعظيم كانه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك
فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون
به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم
ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء اثبت له لوازم

الالوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل
عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكونوا له
شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر
هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع
الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل منها مستقلة
بتاكيد لتعجيز الشركاء ظهر الفساد فى البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق و
اخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار والضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل
وقرى والبحور بما كسبت ايدى الناس بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد فى
البر بقتل قابيل اخاه وفى البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذى
عملوا بعض جزائه فان تمامه فى الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب
لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استيناف
للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك فى اكثرهم وما دونه من المعاصى
فى قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان يأتى يوم لا مرد له لا يقدر
ان يرده احد وقوله من الله متعلق بيأتى ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق
ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير
كما قال من كفر فعليه كفره اى وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
يسوون منزلا فى الجنة وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزى الذين
آمنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء
المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين
فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم
من ترك ضميرهم الى التصريح بهم لتعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل
محض وتأويله بالعطاء والزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن آياته ان يرسل الرياح
الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على ارادة الجنس مبشرات
بالمطر وليذيقكم من رحمته يعنى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر
المسبب عنها او الروح الذى هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات

وعليها باعتبار المعنى وعلى يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجرى الفلك بامره ولتبتغوا
من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد
ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينت فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير
وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم
مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه السلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا
على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل
الريح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا او واقفا
مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرا
ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج
من خلله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم
يستبشرون بمجيء الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد
والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال
لمبلسين لآيسين فانظر الى اثر رحمت الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار
ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرى
بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها
لمحي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء
الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات
الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة
وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا
فراوه مصفرا فراوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم
يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون جواب
سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الايات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم
تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رايهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله و
يلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس المطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر و
الاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه
اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق
مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الا

المقبل وان لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيئا وقرا ابن كثير بالياء مفتوحة
ورفع الصم وما انت بهدي العمي عن ضللتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار
او لعمى قلوبهم ان تسمع الا من يؤمن بايتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى و
يجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما تامرهم به الله الذي خلقكم
من ضعف اي ابتداكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان
ضعيفا او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك
اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم
السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنه قراتها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير
لان المتاخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشبيبة وشيبة وهو العليم
القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم تقوم
الساعة القيمة سميت بها لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت
علما لها بالغلبة كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور
او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون
فهو محتمل للساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا المدة لبثهم اضافة الى مدة
عذابهم في الاخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا
يؤفكون يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس
لقد لبثتم في كتب الله في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القران
وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه
فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم
في النظر والفاء لجواب شرط محذوف وتقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه
اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرا الكوفيون
بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم
يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة
كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته
ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل ولقد وصفناهم فيه بانواع
الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما

يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب وبينا لهم من كل مثل ينبئهم على
التوحيد والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من
فرط عنادهم وقساوة قلوبهم إن أنتم يعنون الرسول والمؤمنين إلا مبطلون مزورون
كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون
على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على أذاهم
إن وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك
ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون
ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك
اى لا يزيغوك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الروم
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه
وليلته

سورة لقمان مكية قيل الا آية وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة
وهو ضعيف لانه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وآيها اربع
وثلثون وقيل ثلث وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى
ورحمة للمحسنين حالان عن الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما
حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من
شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل
بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون
لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي
عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحيك
وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية
ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها
قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار
والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل
عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على
ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن

ويتخذ

ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على ليضل
اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا
لا يعبأ بها كأن لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا مشابها من في اذنيه ثقل لا يقدر ان
يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان
يكونا استينافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرأ نافع في اذنيه
وذكر البشارة على التهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اى لهم نعيم جنات
فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا
مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو
العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما يستدعيه
حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها استيناف وقد سبق في الرعد والقى في الارض رواسي جبالا
شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها
لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة
وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل
بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها
بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذي ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم
حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق
عنه بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر
ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة
يعني لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم
وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية
باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه
صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم
وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه
فصعق وانه امره بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام
امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا
واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر او اى اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن
يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر فان

لله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته
بلسان الحال واذ قال لقمان لابنه انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق لا تشرك
بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم
عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا
ذات وهن او تهن وهنا على وهن اى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها
والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين
وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى
مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل
الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن
ثم قال عليه الصلوة والسلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك
الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم
باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما
في الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع سبيل من اناب
الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم
تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والايتان معترضتان في تضاعيف وصية
لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة
في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك
فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلثا لم تطعم فيها شيئا
ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر رضي الله عنه فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال
حبة من خردل اى ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل
ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات
او في الارض في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض
وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب عليها
ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا
لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك
من الشدائد سيما في ذلك ان ذلك اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور

مما عزمه الله من الامور اى قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من
قوله فاذا عزم الامر اى جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما
يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرأ نافع وابو عمرو
وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه وعالاه واعلاه ولا تمش
في الارض مرحا اى فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله
لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتاخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال
للماشي مرحا لتوافق رؤس الاي واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه
عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها كان اذا مشى
اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية
واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير
والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي تمثيل الصوت
المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل
الجنس في النكير دون الاحاد او لانه مصدر في الاصل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات
بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط
او بغير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما
لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع
مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس
من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى الرسول
ولا كتاب منير انزله الله بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول اولو كان
الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم ولابائهم الى عذاب السعير
اى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام
للانكار والتعجيب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره
عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن
معنى الاخلاص وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق
به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل
المتدلي منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره

فانه لا يضرك فى الدنيا والآخرة وقرى فلا يُحزنك من احزن وليس بمستفيض الينا مرجعهم فى الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور فمجازٍ عليه فضلاً عما فى الظاهر نمتعهم قليلاً تمتيعاً او زماناً قليلاً فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما فى السموات والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغنى عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاماً وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مداد ممدود بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بيمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها ويمده حال او الابتداء على انه مستأنف او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرى يمده وتمده بالياء والتاء ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام وبذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفى بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شىء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله صلعم او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله تعا وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التوراة وفيها علم كل شىء ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان لانه يكفى لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا للشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى كل من النيرين يجرى فى فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجرى وثم غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل فى الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذى ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارى بها بان الله هو الحق بسبب انه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وان ما تدعون من دونه الباطل فى حد ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله او الباطل الالهية وقرأ البصريان والكوفيون غير ابى بكر بالياء وان الله هو العلى الكبير مترفع على كل شىء ومتسلط عليه الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله باحسانه فى تهيئة اسبابه وهى استئنها ... على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة او الحال وقرى الفلك بالتثقيل

وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز فى مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته دلائله ان فى ذلك لآيات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه فى التفكر فى الآفاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب وغيرهما وقرى كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذى هو التوحيد او متوسط فى الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد بآياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطرى او لما كان فى البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده لا يقضى عنه وقرى لا يجزى من اجزى اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اى لا يجزى فيه ولا مولود عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر فى الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصى ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روى ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة وانى قد القيت حباتى فى الارض فمتى السماء تمطر وحمل امراتى ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه الصلوة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وينزل الغيث فى ابانه المقدر له والمحل المعين له فى علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما فى الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شىء وتفعل خلافه وما تدرى نفس باى ارض تموت كما لا تدرى فى اى وقت تموت روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريد نفسى فمر الريح ان يحملنى ويلقينى بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظرى اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان عمل حيلته وانفد فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرى باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل فى كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم

القيمة واعطي من الحسنات عشرا اعشر ابعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل
وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره لا ريب فيه
فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان
يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله
ام يقولون افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له
ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك
بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه
فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال
لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك
اياهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على
العرش مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم
رضاء الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى
مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق
لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر
امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه
ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان
متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به
الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان
ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك
ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيمة
وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا
كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون
ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرها على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره
الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن

كل شيء

كل شيء خلقه خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل
من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته
وخلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص
بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدأ خلق الانسان يعني آدم من طين ثم جعل نسله ذريته سميت
لانها تنسل منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه
على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شأنا له مناسبة
ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا
وقالوا ءاذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها
وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر
والعامل فيه ما دل عليه ءانا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائي
ويعقوب انا على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء
ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفاكم يستوفي
نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته
واستقصيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء
آجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم
عند ربهم من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك
فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف
تقديره لرأيت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله
بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه
صلة اذ والخطاب للرسول صلعم او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ما تهتدي به
الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو
لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشية المسبب
عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة
وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسائط والاسباب
المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك المنسي وفي استينافه وبناء
الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر

التاكيد وما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين خوفا من عذاب الله وشكرا على ما وفقهم للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصير مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلعم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه السلام اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر به عيونهم وعنه عليه السلام يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقرأ حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ يخفي واخفى والفاعل للكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا من الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تاكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فانها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان نزلا سبق في ال عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين فسقوا فمأواهم النار مكان جنة المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر عذاب الاخرة لعلهم يرجعون لعل من بقي منهم يتوبون عن الكفر وروي ان وليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الايات ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها

انا من المجرمين منتقمون فكيف بمن كان اظلم من كل ظالم ولقد اتينا موسى الكتاب كما اتيناك فلا تكن في مرية شك من لقائه من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القران فانا القيناك من الكتاب مثل ما القيناه منه فليس ذلك ببدع مما لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او لقائك موسى وعنه عليه السلام رايت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل بتميز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكنا هم من القرون الماضية او ضمير الله تعالى بدليل القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد ان في ذلك لايات افلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جز نباتها اي قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تاكل منه من الزرع انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله تعالى ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة فانه يوم نصر المؤمنين على الفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا على سوالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا ليلة القدر وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان في بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهي عنه بقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين

اى فيما يعود بوهن فى الدين روى ان اباسفين وعكرمة بن ابى جهل وابا الاعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت
بينه وبينهم وقام معهم ابن ابى ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك
وربك فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك
من ربك كالنهى عن طاعتهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ويغنى من الاستماع الى الكفرة
وقرا ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اى ان الله خبير بمكائدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله
وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه
ما جمع قلبين فى جوف لان القلب معدن الروح الحيوانى المتعلق للنفس الانسانى اولا ومنبع القوى
باسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل ازواجكم التى تظهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم
ابناءكم وما جمع الزوجية والامومة فى امراة ولا الدعوة والبنوة فى رجل والمراد بذلك رد ما كانت
العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر وجميل بن اسد الفهرى ذو القلبين
والزوجة المظاهر عنها كالام ودعى الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبى عتيق رسول
صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفى الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفى القلبين لتمهيد اصل
يحملون عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين فى جوف لادائه الى تناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل
القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعى الذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه الذين بينهما وبينه ولادة
وقرا ابو عمرو واللاى بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب
بالهمزة وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية فى الظاء وقرا ابن عامر تظاهرون بالادغام
والكسائى بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرى تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون
من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت على كظهر امى ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من
لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا فى الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى الطلاق
او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذى هو عموده فان ذكره
يقارب ذكر الفرج او للتغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء وادعياء جمع دعى
على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم
بافواهكم لا حقيقة له فى الاعيان كقول الهاذى والله يقول الحق ماله حقيقة عينية
مطابقة له وهو يهدى السبيل سبيل الحق ادعوهم لآبائهم انسبوهم اليهم وهو افراد
للمقصود من اقواله الحقة وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط
افعل التفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ فى الصدق فان
لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم فى الدين فهم اخوانكم فى الدين ومواليكم

واوليائكم فيه

واوليائكم فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التاويل وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به
ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى او بعده على النسيان او سبق اللسان
ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن ما تعمدت فيه الجناح وكان
الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبنى لا عبرة به عندنا وعند ابى حنيفة رضى الله عنه
يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذى يمكن الحاقه به النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم
فى الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك
اطلق فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه
اتم من شفقتهم عليها روى انه صلعم اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن
آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى فى الدين فان كل نبى اب لامته من حيث
انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات
منزلتهن فى التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها
لسنا امهات النساء واولوا الارحام ذووا القرابات بعضهم اولى ببعض فى التوارث وهو نسخ لما كان
فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالات فى الدين فى كتاب الله فى اللوح او فيما انزل وهو هذه الاية
او آية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولى الارحام وصلة لاولى اى اولوا
الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا
الى اوليائكم معروفا استثناء عن اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف
التوصية او منقطع كان ذلك فى الكتب مسطورا كان ما ذكر فى الآيتين ثابتا فى اللوح او فى
القران وقيل فى التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة
والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر لانهم
مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا صلعم تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان او موكدا باليمين
والتكرير لبيان هذا الوصف ليسئل الصادقين عن صدقهم اى فعلنا ذلك ليسأل الله يوم
القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين
لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم
حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكفرين عذابا اليما عطف على اخذنا
من حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسأل
كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكفرين يايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ جاءتكم جنود يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء

اثنی عشر الفا فارسلنا علیهم ریحا ریح الصبا وجنودا لم تروها الملائكة روی انه لما سمع باقبالهم
ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلثة الاف والخندق بينه وبينهم ومضى على
الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة
في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت
الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد
بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وقرا البصريان
بالياء اى بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاءوكم بدل من
اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم
من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها
حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرية تنتفخ من شدة الروع فترتفع
بارتفاعها الى راس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا
الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف
الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل
بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب
مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من
المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين
الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر
ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب
يا اهل مدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع
قيام لكم ههنا وقرا حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين
وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب
فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة
غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف عورة من عورت الدار اذا اختلت
وقد قرئ بها وما هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا ما يريدون بذلك
الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها
وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء

الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها
وقرا الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اى باعطائها
الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله صلعم
يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسئولا عن الوفاء به مجازى عليه
قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف
انف او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا
اى وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من ذا الذي
يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اى او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام
كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين
منكم المثبطين عن رسول الله صلعم المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا
قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله في الانعام ولا ياتون الباس الا قليلا الا اتيانا او زمانا
او باسا قليلا فانهم يعتذرون ويتثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون
الا قليلا لقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا ياتي اصحاب محمد حرب
الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او
الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل ياتون او المعوقين او على الذم
فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي
عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت من معالجة سكرات الموت
خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون
الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او للسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة
الرفع وليس بتكرار لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم
فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك
الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا اى هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد
انهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يات الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم
بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب يسالون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم

قوله اذ لم يثبت تعليل لتفسير الاحباط باظهار البطلان يعني لم يثبت لهم اعمال حتى يرد عليها الابطال ١٢ ح والحاصل ان الله تعالى اظهر بطلان اعمالهم القبيحة الباطلة التي كانوا يحسبونها حسنة لا انها كانت حسنة في الحقيقة

عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قتلوا الا قليلا
رياء وخوفا عن التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها
ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحسن التاسي به كقولك
في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة
فيه لمن كان يرجو الله واليوم الاخر اي ثواب الله او لقائه ونعيم الاخرة او ايام الله واليوم
الاخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الاخر داخل فيها والرجاء يحتمل
الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب
لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجا كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي بالرسول
من كان كذلك ولما رأ المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع
الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر
وصدق الله ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما
صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا او الخطب او البلاء
الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان
المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد
كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة
كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا
شيئا من التبديل روى ان طلحة ثبت مع رسول الله صلعم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه
السلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين
بصدقهم ويعذب المنفقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به فكان
المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة
الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما
لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير
ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة
وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم
ظاهروا الاحزاب من اهل الكتب يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي

ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب
الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وقرئ بضم السين روي ان جبرئيل اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة
لم يضعوا السلاح ان الله يامرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا
العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين ليلة او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار
فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي
ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال حكمت بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة
او اكثر واسر سبعمائة واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم
واثاثهم روي انه عليه السلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في منازلكم
وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة وارضا لم تطؤها كفارس
والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر على ذلك
يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها زخارفها
فتعالين امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة روي
انهن سالنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعائشة رضي الله عنها فخيرها فاختارت الله
ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد
وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت
زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن علي ويؤيده قول عائشة رضي الله عنها
خيرنا رسول الله صلعم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم
وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا
وبائنة عند الحنفية واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن
واسرحكن بالرفع على الاستيناف وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله
اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن
كن محسنات يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهرة قبحها على قراءة
ابن كثير وابي بكر والباقون بكسر الياء يضعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب
غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب
والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ
البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب

وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه
ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله تعالى وتعمل
صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضاء النبي صلى الله عليه وسلم
بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها على ان
فيه ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي لستن
كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث
والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل ان اتقيتن مخالفة
حكم الله ورضاء رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات
فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على
انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا
حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من
راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم
بالفتح من قررن وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تبخترن
في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة وقيل هي
ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق
تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر
قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابي الدرداء
ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكاة و
اطعن الله ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف
ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب على النداء والمدح ويطهركم
عن المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص
الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روي انه عليه السلام خرج
ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه
ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج
بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها
والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكيرا بما انعم

عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة
حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن
ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم
المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق والقانتين والقانتات المداومين
على الطاعة والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي
والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم
والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات واجرا عظيما
على طاعتهم والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي ان ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن
ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو
ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله تعالى
مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا
مؤمنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله امرا اي قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان
قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله
عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله
عليه وسلم فزوجها من زيد ان تكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا
اختيارهم تبعا لاختيار الله تعالى ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما
في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء ومن يعص الله ورسوله فقد ضل
ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه
واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك انه
عليه الصلوة والسلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب
بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق
صاحبتي فقال مالك ارابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك
عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا او تعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه
وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه
ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة مقالة الناس

واظهارها

واظهار ما ينافي اضمارهم فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها
وطرا حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية
عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزوجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة
عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن
وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد
الا ما خصه الدليل وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر
لارزاقهم سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما
اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة
للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض
بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من
رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه
بكونه ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم
ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم
وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله اب من غير وراثة اذ لم يعش له ولد ذكر
وخاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق
منصبه ان يكون نبيا كما قال صلى الله عليه وسلم في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه
نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما فيعلم
من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم
انواع ما هو اهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار وآخره خصوصا
وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار
لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة
وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح
امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلوة وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتملة
على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمومنين ترحم عليهم

سيما وهو سبب لذلك من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية الى
نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حتى اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك
ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت او
الخروج عن القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة
ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على
من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره واطلق له من حيث انه
من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا
يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا
كبيرا على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين
والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة
او مواخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر
في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو
الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المومنين والنذير بالنهي عن مراقبة
الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من
اناره الله تعالى برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفي به عن غيره يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات
ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي بالالف وضم التاء فما لكم
عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها
كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به
فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى
تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المومنات والحكم عام للتنبيه
على ان من شان المومن ان لا ينكح الا مومنة تخيرا للنطفة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق
ريثما تمكن الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض
لها نصف المفروض دون المتعة ويجوز ان يؤول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب
والندب فان المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة
سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير
لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر

على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجّلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة
له بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى
عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات
خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي
طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني
لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف
على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل
امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به
ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم
وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي
ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته
نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله
خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله
واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع وقد خص عليه الصلوة والسلام بالمعنى فيخص باللفظ
والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك
على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطي حيث لم يسم وما
ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان نفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون
عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد
التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى وكان الله غفورا لما
يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها
وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ حمزة والكسائي
وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك
في شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض
الى مشيتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت
بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر
بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن

والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة
فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريان بالتاء من بعد
من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان
تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك
حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في
التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء
منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى
لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس
اخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على
كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن
لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار
بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين
وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير
من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر انى
الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والآية خطاب
لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه
مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام
لمهم ولا مستانسين لحديث لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين
او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستانسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه
وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان
اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء
الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به فسألوهن المتاع من وراء حجاب ستر
روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان
يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن
من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه
فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلوة والسلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعني ايذاءه

المستعيذة وهي اسماء بنت النعمان الكندية وكانت من احسن النساء الا انها لم تكن من اقربائه عليه الصلوة والسلام
بل كانت من الغرباء ولما تزوج صلى الله عليه وسلم اياها ودخلت عليه قالت بالله منك فقال عليه الصلوة والسلام لقد عذت
بعظيم الحق بابلك

ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا و
لذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله
كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة
في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن
استيناف لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله
او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم
ابا في قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحاق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما
ولا نسائهن يعني النساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة
وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه
خافية ان الله وملئكته يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين آمنوا صلوا
عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك
ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلوة
كلما جرى ذكره لقوله عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار
الصلوة على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد
عز وجل وان كان عزيزا جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي
او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز
اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم من رحمته
في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا اثمها قيل انها نزلت في
المنافقين يؤذون عليا وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات
يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن
وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك
ادنى ان يعرفن يميزن من الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن و
كان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون
عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين
او فجورهم والمرجفون في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله
التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك بهم

بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك
وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول صلى الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا
زمانا او جوارا قليلا ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين
ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها
سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا
الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها او لا
يقدر احد ان يبدلها يسئلك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء وتعنتا او امتحانا قل انما علمها
عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة
عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين
واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد خالدين فيها ابدا لا
يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار تصرف من جهة الى جهة
كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم
الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا
لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد
وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه
الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه
بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص او اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة
ومروا بهم حتى راوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة
لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان
عبد الله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا
قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم
يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم
في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا
وفي الآخرة سعيدا انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى
انها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين

ان

ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فاز الراعي لها والقايم بحقوقها بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتأتى منه والظلم والجهالة الخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا وعقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب في ضربته تأديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة السبا مكية وقيل الا ويرى الذين اوتوا العلم واي خمس واربعون بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الآخرة لان ما في الآخرة ايضا كذلك فليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية والاخروية وقيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بوساطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفائن والاموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم

واثبات لما نفوه وربي لتأتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقرأ الكسائي لا يعزب بالكسر ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب من رجز من سيء العذاب اليم مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من مسلمي اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك القرآن هو الحق ومن رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ويهدي الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه السلام ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد انكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض

او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله تعالى وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم
الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض
ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد
ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص كسفا
بالتحريك ان في ذلك النظر والتفكر فيهما وما يدلان عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه
يكون كثير التأمل في امره ولقد آتينا داود منا فضلا اى على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على
سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال اوبي معه رجعي معه
التسبيح على الذنب او النوحة وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل
ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ أوبي من الاوب اى ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل
من فضلا او من آتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على
لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعراب او على فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان
يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل به
هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء
المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها والنا له الحديد جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير
احماء وطرق بالآلات او بقوته ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية سابغات دروعا واسعات
وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها
فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد
واعملوا صالحا الضمير فيه لداود واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح
اى وسخرنا له الريح وقرئ الريح بالرفع اى ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر
جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب
اسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن
ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدأ وخبر باذن ربه
بامره ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه
نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة يعملون له ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة
سميت به لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل وصورا وتماثيل الملائكة والانبياء على ما اعتادوا
من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد وروى انهم عملوا
اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد

اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة
كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا
نصب على العلة اى اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به
وقليل من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي
حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن
الشكر فلما قضينا عليه الموت اى على سليمان ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل آله الا دابة
الارض اى الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت
الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فأكلت اكلا تأكل منسأته
عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس
اذ القياس اخراجها بين بين ومنسأته على مفعالة كميضاة في ميضأة ومن سأته اى طرف عصاه مشتقا
من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ان لو
كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته
حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل منه اى ظهر ان
الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس في موضع
فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا
اجله واعلم به فاراد ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام
يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه
واراد ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك
فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة وابتداء
عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن
قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله
اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب في مساكنهم في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب
بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ
من القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء
من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان جنتان
بدل من آية او خبر محذوف تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين
عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضايقها كانه

جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم
نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف للدلالة
على موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات
من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا عن الشكر
فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب
او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه
نقبا على قدر ما يحتاجون اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء
السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط مر بشع
فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل لا على
خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو
النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرا ابو عمرو ذواتي
اكل بغير تنوين اللام وقرا الحرميان بتخفيف اكل ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل
اذ روي انه بعث اليهم ثلثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي الا الكفور
وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي
بالنون والكفور بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قرى
ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير
بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان
المقال او الحال ليالي واياما متى شئتم من ليل او نهار آمنين لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات
او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن
فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسالوا الله ان يجعل بينهم وبين
الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة
وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا
في الترفيه وعدم الاعتداد بما انعم عليهم فيه ومثله قراءة من قرا ربنا بعد وبعد على النداء واسناد الفعل
الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة او لم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا
وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق
غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر لآيات لكل صبار عن المعاصي

شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى
الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب
ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله
اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم
حين راى اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وقال
لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة
الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان
تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا
بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله
والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ محافظ
والزنتان متآخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول
لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع
الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه من دون الله والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم
يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون
مثقال ذرة من خير او شر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم
بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية
وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير
يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا ينفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله
الا لمن اذن له اذن له ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في
قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة حتى اذا فزع عن
قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع
عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا
وقرا ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفي الوجل من فرغ الزاد اذا فني
قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو
الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير
ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات
والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم

ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ اى وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة و
المشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين
وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح
لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان أتهجوه ولست له بكفؤ
فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا ينظر
الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا
او محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ هذا
ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قُلْ يَجْمَعُ
بَيْنَنَا رَبُّنَا يوم القيمة ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار
وَهُوَ الْفَتَّاحُ الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة الْعَلِيمُ بما ينبغي ان يقضى به قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ
أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ لارى باى صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم
بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كَلَّا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة
بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمة
بالذلة متابية عن قبول العلم والقدرة راسا والضمير لله او للشان وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ الا رسالة
عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال
من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ فيحملهم جهلهم على مخالفتك وَيَقُولُونَ من فرط جهلهم مَتَى هَذَا الْوَعْدُ يعنون المبشر به
والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ وعد يوم او زمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه
قرئ يوم على البدل وقرئ يوما باضمار اعني لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ اذا فاجاكم وهو جواب
تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا
الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب
عن الرسول عليه السلام فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه
يوم القيمة وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ في موضع المحاسبة يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ
يتحاورون ويتراجعون القول يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا يقول الاتباع لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا للرؤساء
لَوْلَا أَنْتُمْ لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ باتباع الرسول عليه الصلوة والسلام قَالَ الَّذِينَ

اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ انكروا
انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى واثروا
التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
اضراب عن اضرابهم اى لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا راينا
إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف
على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل
من الكرور وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها
كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته
وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا اى في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزى اما لتضمين معنى
يقضى او لنزع الخافض وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما منى به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم اليه التكبر والمفاخرة بزخارف
الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا
إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ على مقابلة الجمع بالجمع وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فنحن اولى بما تدعونه ان
امكن وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قُلْ رد
لحسبانهم إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص
والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيته وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ فيظنون
ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وَمَا أَمْوَالُكُمْ
وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم والاولاد اولانها
صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اى بالشئ الذي يقربكم إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
استثناء من مفعول تقربكم اى الاموال والاولاد لا يقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في
سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف
فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر
الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز
او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها
وقرا حمزة في الغرفة على ارادة الجنس وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا بالرد والطعن فيها مُعَاجِزِينَ
مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ

الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين
وما سبق فى شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شىء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين
فان غيره وسط فى ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم نحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين ثم
نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من
شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ
الشرك واصله وقرأ حفص بالياء فيهما قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذى نواليه من دونهم
لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم عن الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم
عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اى الشياطين حيث اطاعوهم فى عبادة غير الله
وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول
للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازى وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى
كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا
يعنون محمدا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون
القرآن الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله سبحانه وقال الذين كفروا للحق
لما جاءهم لامر النبوة او الاسلام او القرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا
سحر مبين ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين
والمقول فيه وما فى لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم
من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم
على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم
ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة
وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلى فكيف كان
نكير فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير
فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب او الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف عليه
بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هى ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام
من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء
والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش
الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا

حقيقته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعنى ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به
جنون يحمله على ذلك او استئناف على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان
يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤوس الاشهاد ويسلم ويلقى نفسه
الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اى شىء به من آثار الجنون
ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اى
شىء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفى السؤال فانه جعل التنبى مستلزما لاحد الامرين اما الجنون
واما توقع نفع دنيوى عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره واياما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما
وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ولا اسألكم
عليه اجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجرى الا على الله وهو على كل شىء
شهيد مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى قل ان ربى يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده
او يرمى به الباطل فيدمغه او يرمى به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء علام الغيوب
صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن فى يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة
لربى او مقدرا باعنى وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت والباقون بالضم كالعشور وقرئ بالفتح
كالصبور على انه مبالغة غائب قل جاء الحق اى الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل
اى الشرك بحيث لم يبق له اثر مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله
عبيد فاليوم لا يبدى ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدئ خيرا
لاهله ولا يعيد وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسى
فان وبال ضلالى عليها لانه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية
بقوله وان اهتديت فبما يوحى الى ربى فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب يدرك قول
كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب
لو محذوف مثل لرأيت فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب
من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت
ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به بمحمد عليه السلام
وقد مر ذكره فى قوله ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من
مكان بعيد فانه فى حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد ما فات
عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشىء من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون
غير حفص بالهمزة على قلب الواو لضمها او انه من نأشت الشىء اذا طلبته قال رؤبة اقحمنى جار ابى الخاموش

اليك ناشئ القدر التنوش او من ناشت اذا تأخرت ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى وقد حدثت بعد
الامور امور فيكون بمعنى التناول من بعد وقد كفروا به بمحمد عليه السلام او بالعذاب من قبل من قبل
ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى الرسول عليه السلام
من المطاعن او فى العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو الشبهة التى
تمحلوها فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم وحال الاخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال
من يرمى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه وقرى ويقذفون على ان الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم
ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى
تحصيل ما ضيعوه من الايمان فى الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به من النار
وقرأ ابن عامر والكسائى باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة
انهم كانوا فى شك مريب موقع فى الريبة او ذى ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وهى خمس واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه
والاضافة محضة لانه بمعنى الماضى جاعل الملئكة رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين
من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرويا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم اثار
صنعه اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع ذوى اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون
بها او يعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد
ونفى ما زاد عليها لما روى انه عليه السلام راى جبرئيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد فى الخلق
ما يشاء استيناف للدلالة على ان تفاوتهم فى ذلك مقتضى مشيته ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه
ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافى لوازم
الامور المتفقة وهو محال والاية متناولة زيادات الصور والمعانى كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة
العقل وسماحة النفس ان الله على كل شىء قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو
من جهة الارادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة كنعمة
وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل له يطلقه واختلاف الضميرين لان
الموصول الاول مفسر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب وفى ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه
من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على من يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه الحكيم لا يفعل
الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر

انعامه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم
انكر ان يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء
والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من
خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفى او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائى حملا على لفظه وقد
نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استيناف مفسر له او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل
من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اى فتأس بهم فى الصبر على
تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضى زيادة التسلية
والحث على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله
بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الاخرة والسعى لها
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت
لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرى بالضم وهو مصدر او جمع كقعود
ان الشيطان لكم عدو عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا فى عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه
فى مجامع احوالكم انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه فى
دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا
وعملوا الصلحت لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للاماني
الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا تقرير له
اى افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رايه فراى الباطل حقا والقبيح حسنا
كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هى عليه فحذف الجواب لدلالة
فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم
حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم
للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاءات الثلث للسببية غير ان الاولين دخلتا على السبب
والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوى
افعالهم المقتضية للتاسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب او
بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه والله الذى ارسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائى الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على
كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها لهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال
للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص بتشديد الياء فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر

السحاب لذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة
الى ما هو ادخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور اى مثل احياء الموات نشور الاموات
فى صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة فى المقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل فى
كيفية الاحياء فانه يرسل ماء من تحت العرش ينبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة
فلله العزة جميعا اى فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز
عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن فى يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيد
انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ
يصعد على البناءين والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء
وقراءة القران وعنه عليه السلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها
الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات
يعنى مكرات قريش للنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وتدارسهم الراى فى احدى ثلث حبسه وقتله
واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور
مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله والله خلقكم من تراب بخلق ادم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها
ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما يعمر من معمر
وما يمد فى عمر من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره
او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر على التسامح
فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة والنقصان فى عمر واحد
باعتبار اسباب مختلفة اثبتت فى اللوح مثل ان يكون فيه ان حج فعمره ستون سنة والا فاربعون
وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على
بناء الفاعل الا فى كتاب هو علم الله او اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة
والنقص وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر
والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد
والتخفيف وملح على فعل ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد فى صفة البحرين
وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا فى بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما
لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى
المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما

فيما

فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الاخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك فيه
العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت وترى الفلك فيه فى كل مواخر تشق الماء بجريها
لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة
ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجى باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل فى النهار ويولج
النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى هى مدة دوره او منتهاه او يوم القيمة ذلكم الله ربكم
له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة
ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدا فى قران والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير
للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد
ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم
ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون
ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله سبحانه فانه الخبير به على
الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفى ما يدعون لهم يا ايها الناس
انتم الفقراء الى الله فى انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة فى فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم
هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا
والله هو الغنى الحميد المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ان يشا يذهبكم
ويات بخلق جديد بقوم اخرين اطوع منكم او بعالم اخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر
ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس اثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففى الضالين
المضلين فانهم يحملون اثقال ضلالهم مع اثقال اضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شئ من اوزار غيرهم
وان تدع مثقلة نفس اثقلها الاوزار الى حملها تحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شئ لم تجب لحمل شئ منه نفى ان
يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو
لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا تلائم نظم
الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس فى خلواتهم او غائبا عنهم
عذابه واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى
ومن تطهر عن دنس المعاصى فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض
مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكى والى الله المصير فيجازيهم على تزكيتهم
وما يستوى الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمت ولا
النور ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتاكيد نفى الاستواء

وكسرهما على الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور
ما يهب ليلا وما يستوى الاحياء ولا الاموات تمثيل اخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك
كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم اياته والاتعاظ بعظاته
وما انت بمسمع من فى القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة فى اقناطه عنهم
ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه فى المطبوع على
قلوبهم انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا
اى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير من نبى او
عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل ولان الانذار
هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
الشاهدة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على ارادة التفصيل
دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان
نكير اى انكارى بالعقوبة الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها
او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد
اى ذو جدد اى خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة
بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب
سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة
اللون وهو تاكيد مضمر يفسره سود فان الغربيب تاكيد للاسود ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظير
ذلك فى الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير وفى مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار
الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال
انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم
به كان اخشى منه ولذلك قال عليه السلام انى اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة
على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع اسم الله
ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل
لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون
كتاب الله يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القران
او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر فى المسنونة والعلانية

فى المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران
صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله اى ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها
اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله
على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعتهم اى مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة
او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا والذى اوحينا اليك من الكتاب يعنى القران ومن للتبيين
او الجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية
حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير
بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان فى احوالك ما ينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب
المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبر للدلالة على ان العمدة فى ذلك الامور الروحانية
ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضى لتحققه او ورثناه من الامم
السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذى اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث
الذين اصطفينا من عبادنا يعنى علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم
على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير فى العمل به ومنهم مقتصد يعمل به فى اغلب الاوقات
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد
المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيء والسابق الذى ترجحت
حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون
الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم
فاولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد
وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد
والسبق عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث والاصطفاء او السبق جنات
عدن يدخلونها مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما
الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول
يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المراة فهى حالية من اساور من ذهب
من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اى من ذهب مرصع باللؤلؤ او من
ذهب فى صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد
لله الذى اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وافاته او من وسوسة
ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذى احلنا دار المقامة

دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب
كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى
عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى
كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد استعارها
كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى على بناء
المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون من الصراخ
وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل
باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف
به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول كل عمر
تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه السلام العمر الذي
اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم
وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظلمين
من نصير يدفع العذاب عنهم ان الله علم غيب السموت والارض لا يخفى عليه خافية فلا يخفى
عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون
كان اعلم بغيره هو الذي جعلكم خلائف في الارض يلقي اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل
خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكفرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكفرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان
اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو
اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الاخرة قل ارءيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله
يعني الهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله او لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا
من الارض بدل من ارءيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء
من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموت ام لهم شركة مع الله في خلق السموات
فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام اتينهم كتبا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على
بينت منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا
عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وابو بكر على بينات فيكون ايماء على ان الشرك
خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظلمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع

قوله هم للمشركين يعني في الموضعين على الالتفات من الخطاب الى الغيبة لكن الاول هو الظاهر لاتساق الضمائر ١٢

يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة يجمع خلائف والخليف خلفاء ١٢

استبد به تفرد ١٢

الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء
عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموت والارض ان تزولا كراهة ان تزولا فان
الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما
ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى
زائدة والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى
لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اي من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من
الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا
في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء واصله وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف استغناء
بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل ولا
يحيق ولا يحيط المكر السيء الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اي لا يحيق
الله فهل ينظرون اي ينتظرون الا سنت الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنت
الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من
المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه
بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من اثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان
الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموت ولا في الارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا
عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها من دابة من نسمة تدب عليها
بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة
فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل الجنة من اي باب شئت

سورة يس

عن علي عليه السلام تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة وهي مكية وآيها ثلث وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة
النداء به كما قيل م الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب على اتل يس او باضمار

حرف القسم والفتح لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس وامال الياء حمزة والكسائي وحفص وابو بكر وروح وادغم النون في واو والقرآن الحكيم ابن عامر والكسائي وابو بكر وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب باضمار اعني او فعله على انه على اصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذي انذر به او شيئا انذر به آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اي ارسلتك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤوسهم فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم وورائهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ رأس النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة تفسيره انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر اي القرآن بالتأمل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم وكل

شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف مضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى الى اهلها واسناده الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأ ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة الاصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فاخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب النجار وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال قوما حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى تصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرئيل فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا البلاغ المبين الظاهر البين بالآيات الشاهدة بصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم ائن ذكرتم وعظتم به

الجزء الثالث والعشرون

وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد الف بين الهمزتين وبفتح
ان بمعنى أئن تطيرتم لان ذكرتم وان وان بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم
وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فمن ثم جاءكم الشوم او فى الضلال
ولذلك توعدتم وتشأمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب
النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن امن بمحمد عليه السلام وبينهما ستمائة سنة وقيل كان فى غار
يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه قال يقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا
على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لى لا اعبد الذى فطرنى
تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد
تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة فى التهديد ثم
عاد الى المساق الاول فقال ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا
لا ينفعنى شفاعتهم ولا ينقذون بالنصرة والمظاهرة انى اذا لفى ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع
ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل
انى امنت بربكم الذى خلقكم فاسمعون فاسمعوا ايمانى وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه
اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل
الجنة او اكراما واذنا فى دخولها كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن
وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استيناف فى حيز الجواب عن السؤال
عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه فى نصر دينه ولذلك قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى
من المكرمين فانه جواب عن السوال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب
مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة على دأب الاولياء فى كظم الغيظ والترحم على الاعداء
او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم فى امره وانه كان على حق وقرى المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء
صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اى باى شئ غفر لى يريد به المهاجرة عن
دينهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء
لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم
الرسول عليه السلام وما كنا منزلين وما صح فى حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شئ
سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اى ومما كنا منزلين على
من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها
جبريل وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحى كالنار

الساطع والميت كرمادها كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
يا حسرة على العباد تعالى فهذه من الاحوال التى من حقها ان تحضرى فيها وهى ما دل عليها ما يأتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزءون فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين
احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمومنون من الثقلين ويجوز ان يكون
تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها
لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرى يا حسرة العباد بالاضافة
الى الفاعل او المفعول ويا حسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن
قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام
انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم
وقرى بالكسر على الاستيناف وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة للجزاء وان مخففة من الثقيلة
واللام هى الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فيكون ان نافية
وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون واية لهم الارض الميتة وقرأ نافع بالتشديد
احييناها خبر للارض والجملة خبر اية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهى الخبر او المبتدأ والاية خبرها
او استيناف لبيان كونها اية واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على
ان الحب معظم ما يوكل ويعاش به وجعلنا فيها جنت من نخيل واعناب من انواع النخل والعنب ولذلك
جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون
الثمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرى بالتخفيف
والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اى شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة
مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على
طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر خلقه وقرأ حمزة والكسائى بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرى
بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية
والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة
احسن من غيرها افلا يشكرون امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذى خلق الازواج كلها
الانواع والاصناف مما تنبت الارض من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون
وازواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته واية لهم اليل نسلخ منه النهار نزيله
ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام فى اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون داخلون فى الظلام
والشمس تجرى لمستقر لها لحد معين ينتهى اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد

السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل او سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم في الفلك المشحون المملو وقيل المراد فلك نوح وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتيع بالحيوة الى حين زمان قدر لآجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة او

نوازل

نوازل السماء ونوائب الارض كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيته انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله تعالى لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله فاخذتهم الصعقة بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكانه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم ونفخ في الصور اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب الملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس بعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون

بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهد
فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له
في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي
تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن
كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة
وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس و
نطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات
هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل
على الارائك على السرر المزينة متكئون هم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة
او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تأكيد للضمير في شغل او فاكهون وعلى الارائك
متكئون خبر آخر لان وازواجهم عطف عليهم للمشاركة في الاحكام الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف
والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى
واجتمل اذا اشتوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع علي
ما شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة
بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او
مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا
قولا من رب رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة
الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا
اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله يوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى
ولا يرى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة
وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها
عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على لغة تميم
انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على
ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته فالجملة استيناف لبيان
المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض
الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان

مع

مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن
كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات
وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم
بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها من الكلام
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها او
بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم
ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق
الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار او جعل المسبوق اليه
مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم
بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فما
استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون
عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كالصبي والمعنى
انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء
الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه و
انتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره وابن كثير على هذه يشبع ضمة الهاء على اصله وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس
اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على
تدرج وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد
لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه لا يماثله لفظا ولا معنى لانه غير مقفى ولا
موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخييلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر
ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبر ثم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله انا النبي لا كذب انا ابن
عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى
ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد
روي انه حرك البائين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن اي وما يصح
للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد من الله وقرآن مبين وكتاب سماوي يتلى في
المعابد ظاهر انه ليس كلام البشر لما فيه من الاعجاز لينذر القرآن او الرسول عليه السلام ويؤيده قراءة
نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله
تعالى فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول وتجب كلمة العذاب

على

على الكفرة المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط
حجتهم وعدم تاملهم اموات في الحقيقة أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا مما تولينا احداثه
ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد
بالاحداث انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون
بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال أصبحت لا أحمل السلاح
ولا أملك رأس البعير ان نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم
وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها
يأكلون اي ما يأكلون لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب من اللبن
جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر أفلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف
امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها به في العبادة
بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء
ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم
جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم في النار فلا يحزنك فلا يهمنك
وقرئ بضم الياء من احزن قولهم في الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين انا نعلم
ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستيناف ولذلك
لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم
مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب
منه وجعله افراطا في الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه و
مقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه تعالى من اخس شئ وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب
روى ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال أترى الله يحيي هذا بعد ما رم
فقال عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد
ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا
وهو نفي القدرة على احياء الموتى او تشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه خلقنا
اياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل
بمعنى فاعل من رم الشئ صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان
العظم ذو حيوة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء قل يحييها الذي انشأها اول مرة فان قدرته كما كانت
لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق عليم يعلم تفاصيل

قوله وفيه دليل اي الدليل في الحقيقة هو قوله تعالى قل يحييها الآية فكان الظاهر تأخير هذا الكلام منه
واجاب الحنفية بان المراد به روحها اي ما كانت عليه غضة طرية والتفصيل في كتبهم المبسوطة

المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها
وضم بعضها الى البعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها الذي
جعل لكم من الشجر الاخضر كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما
الماء فتنقدح النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث
النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما
كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون أوليس الذي
خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما بقادر على أن يخلق مثلهم في الصغر والحقارة
بالاضافة اليهما او مثلهم في اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله
لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات انما امره
انما شأنه اذا اراد شيئا ان يقول له كن اي تكون فيكون فهو يكون اي يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته
في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المامور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل
واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي
عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه
معللا بكونه مالك الملك كله قادرا على كل شئ واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ
يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية
وعنه عليه السلام ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي
من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة
يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون
غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت
لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض روحه
وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وآيها مائة واحدى او اثنتان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية
على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية
بالتدبير المامور فيها او الناس عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات
الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المترتبة كالصفوف المرصوصة والارواح
المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس

العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه
او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مباراة العدو
والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة الى قبول الخير والتلاوة
افاضته او الرتبة كقوله عليه السلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا
للعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات في ما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا
ان الهكم لواحد جواب القسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف
في كلامهم واما تحقيقه فبقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها
وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة
ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه
والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون تشرق كل يوم في
واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشرق ادل على القدرة وابلغ في النعمة
وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا السماء الدنيا القربى منكم
بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة
وجر الكواكب على ابدالها منها او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على
اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة
ابي بكر والتنوين والنصب على الاصل او بان زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة
الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك
فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا
منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا
من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ لبيان
حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين
لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى
لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص
بالتشديد من التسمع وهو تطلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون ويرمون
من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده دحورا علة اي للدحور وهو الطرد

او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع داحر وهو ما يطرد به
ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اي قذفا دحورا ولهم
عذاب اي عذاب آخر واصب دائم او شديد وهو عذاب الآخرة الا من خطف الخطفة استثناء من
واو يسمعون ومن بدل منه فاتبعه شهاب والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة
مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف
اتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين و
ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة
للسماء من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما
لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم
ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق
به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون
عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان
ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء
كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم اهم اشد خلقا
ام من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب
الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ امن عددنا
وقوله انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود
ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره
ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم
الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما
تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه
بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه
الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدأهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير
بل عجبت من قدرة الله وانكارهم البعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي
بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي اني تعجبت منها وهؤلاء بجهلهم يسخرون منها او عجبت
من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والتعجب من الله اما على الفرض والتخييل

او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول
اي قل يا محمد بل عجبت وإذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل
على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم وإذا رأوا آية معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون
يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا إن هذا يعنون
ما يرونه إلا سحر مبين ظاهر سحريته أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا
فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر
في نفسه وفي هذه الحال اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة
نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية أو آباؤنا الأولون عطف على محل ان واسمها او على الضمير
في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع
برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وأنتم داخرون صاغرون وانما اكتفى به
في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي الله او الرسول
وقرأ الكسائي وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه فإنما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة
زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وأمرها في الاعادة كأمر كن
في الابداء ولذلك رتب عليها فإذا هم ينظرون فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون
ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى فيه باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله
هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم
لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم
لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وأزواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم
وعابد الكوكب مع عبدته كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين
وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص
بقوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم
المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف
إنهم مسؤولون عن عقائدهم واعمالهم والواو لا يوجب الترتيب مع جواز ان يكون
موقفهم ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع
بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة
او متسالمون كأنه يسلم بعضهم بعضا ويخذله وأقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة
والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا إنكم كنتم تأتوننا

عن

عن اليمين عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا
مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح
او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا
مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا
ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما
مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم إنا كنا غاوين ثم بينوا ان
ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم
الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم
اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فإنهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب
مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية إنا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله
إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون
أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم
بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون إنكم لذائقوا العذاب الأليم بالاشراك
وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير
المحلى باللام وعلى الاصل وما تجزون إلا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم إلا عباد الله المخلصين استثناء
منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم
مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار أولئك لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام او تمحض اللذة ولذلك
فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا
على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من غير
تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن
فيه او في مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكأس باناء فيه
خمر او خمر كقوله وكأس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر معين اي ظاهر للعيون او خارج
من العيون وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان
ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء
لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ
كلب بمعنى لبيب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها
غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون

من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفي وعطف على ما يعمه لانه من عظم
فساده كانه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه
واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات
الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن ببيض
النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان
فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب قال
وما بقيت من اللذات الا * احاديث الكرام على المدام * والتعبير عنه بالماضي للتاكيد فيه فانه
الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال
قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول أئنك لمن المصدقين يوبخني على التصديق
بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون لمجزيون
من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين
وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم
ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر
النون وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد
به او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه او
شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم وسطه قال تالله ان كدت
لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية
والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها أفما نحن بميتين عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون
فما نحن بميتين اي بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة
لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع
وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا
بنعمة الله او تبجحا وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز العظيم يحتمل ان يكون
كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من
العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية
المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم شجرة
ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل
الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما تقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو
اسم

اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة
وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على
في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى
دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع من الشجر كانه رؤوس الشياطين
في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة
قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك فانهم لآكلون منها من الشجرة او من طلعها فمالئون
منها البطون لغلبة الجوع او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اي بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال
استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق
او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به ثم ان
مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها
وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن
يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم
الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في
الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على اثرهم وفيه اشعار بانهم بادروا
الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم
منذرين انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة
الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم
الله لدينه والخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا
آثارهم ولقد نادانا نوح شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين ايس من قومه فلنعم
المجيبون اي فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه
ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق او اذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك
من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيامة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه
وازواجهم وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى
يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين متعلق
بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعا انا كذلك نجزي المحسنين
تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه
بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ثم اغرقنا الآخرين يعني كفار قومه وان من شيعته

ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة لابراهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما
الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من
معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص
له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه اذ قال
لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم ائفكا آلهة دون الله تريدون اى
اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل
ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك في انفسها للمبالغة
او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب
العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم
من عذابه والمعنى انكار ما يوجبه ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي
الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فرأى مواقعها واتصالاتها
او في علمها او كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعيد معهم فقال انى
سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم
فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد انى سقيم القلب لكفركم او خارج
المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول
لبيد فدعوت ربى بالسلامة جاهدا ليصحنى فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة
العدوى فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال اى
للاصنام استهزاء الا تأكلون يعنى الطعام الذى كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابى فراغ عليهم
فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم
لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة
الآلة تستدعى قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا
اليه الى ابراهيم بعدما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرح في قوله
تعالى من فعل هذا بآلهتنا الآية يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من
ازفه اى يحملون على الزفيف وقرئ يزفون اى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا
اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما
تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اى وما تعملونه فان جوهرها بخلقه
وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه تعالى ما يتوقف

عليه

عليه فعلهم من الدواعى والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان
فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك به
اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا
فالقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التأجج واللام بدل الاضافة اى جحيم ذلك البنيان
فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم
الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما
وقال انى ذاهب الى ربى الى حيث امرنى ربى وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى
ما فيه صلاح دينى او الى مقصدى وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته
معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حين قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل فلذلك
ذكر بصيغة التوقع رب هب لى من الصالحين بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى
في الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ
اوان الحلم فان الصبى لا يوصف بالحلم ويكون حليما واى حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح
وهو مراهق فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم
وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعى اى فلما وجد وبلغ ان يسعى
معه في اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعى لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ
فان بلوغهما لم يكن معا كانه قال فلما بلغ السعى فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق
في الاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة
قال يا بنى انى ارى في المنام انى اذبحك يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه رأى
ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشيطان
فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك
ولذلك سميت الايام الثلثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذى وهب له
اثر الهجرة ولان البشارة باسحاق بعد معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين
فاحدهما جده اسمعيل والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر
زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية
مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير
ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه
مراهقا وما روى انه عليه السلام سئل اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب

اسرائيل

اسمٰعيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
والزوائد من الرأى وما روى ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من الرأى
وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم
وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائى ماذا ترى بضم
التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص
فتحها قال يا ابت افعل ما تؤمر اى ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة
المأمور به والاضافة الى المأمور ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا به او علم ان رؤيا
الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به فى المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما
الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدنى ان شاء الله
من الصابرين على الذبح او على قضاء الله فلما اسلما استسلما لامر الله او سلما الذبيح نفسه وابرهيم
ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين
صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احدى جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته
كيلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او فى الموضع المشرف على
مسجده او المنحر الذى ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان
بالمقدمات وقد روى انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره
كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع
البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز
الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما
واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مأمورا بالذبح لقوله يا ابت افعل
ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره
او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم
عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى وأى نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا
من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه
فصارت سنة والفادى على الحقيقة ابرهيم وانما قال وفديناه لانه المعطى له والآمر به على التجوز
فى الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيها
ما يدل عليه وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابرهيم سبق بيانه فى قصة نوح كذلك نجزى المحسنين
لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة فى هذه القصة انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحاق نبيا

من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به
وقت البشارة فان وجود ذى الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة
الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اى بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك
لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن
مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حيثما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته
وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على
الاطلاق وباركنا عليه على ابراهيم فى اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بنى اسرائيل
وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن
فى عمله او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصى مبين ظاهر ظلمه وفى ذلك
تنبيه على ان النسب لا اثر له فى الهدى والضلال وان الظلم فى اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة
وعيب ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية
ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم
فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ فى بيانه وهو التورية
وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما فى الآخرين سلام
على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثله وان الياس
لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هرون اخى موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس
وادراس مكانه وفى حرف ابى وان ايليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال
لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل
بك من الشام وهو البلد الذى يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض
البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة
ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص بالنصب
على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اى فى العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار
المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى
وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين لغة فى الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو
واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين
وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما فى المصحف مفصولان
فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم

سائر القصص ولا قوله إنا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس
وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه
وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه
مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها
المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون وان يونس لمن المرسلين
وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن
اطلاقه عليه الى الفلك المشحون المملو فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين
بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله به
فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد ابق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه
في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه
وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح
مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث
في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم شانه ومن اقبل عليه في السراء
اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت
روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف
في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم
مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين من
شجر ينبسط على وجه الارض ولا تقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا قام به والاكثر على انها كانت
الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه و
افطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ما سبق
من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون في مرأى الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم
مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او فجددوا الايمان به
بمحضره فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص
تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبر واولي العزم من الرسل واكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل
المذكورين في آخر السورة فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة
امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه

من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات
ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز البنات
على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا
اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك
وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار
ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى
طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما
خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا تعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته
بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم
الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون به
وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء وعن نافع كسر الهمزة
على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اي لكاذبون في قولهم
اصطفى او ابداله من ولد الله ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن
ذلك ام لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فاتوا بكتابكم
الذي نزل عليكم ان كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم
جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا
ان الله والشيطان اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس والجن ان فسرت بغير الملائكة
لمحضرون في العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء
من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم
وما تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال
الجحيم الا من سبق في علمه انه من اهل النار يصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب
على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اي انكم وآلهتكم
قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين باعثين على طريق الفتنة الا ضالا
مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين
او تخفيف صائل على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم بالبيت به بايه فان اصلها
بالية كعافية وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدة تقسيم

والمعنى ما منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله في تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلام الملائكة ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون في اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما في ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيمة وانا لنحن الصافون له في الصلوة والمنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون اي مشركو قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماها كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم ح والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك من التاييد والنصرة والثواب في الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اي العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت في وقت اخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تاكيد الى تاكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكي في السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة

ولذلك

ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين وهو حسبنا ونعم الوكيل

سورة ص مكية وهي ست او ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القران بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر والتنوين على تاويل الكتاب والقران ذي الذكر الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف او مذكورا للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد او للسورة خبرا للمحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به في عزة اي استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف والشهرة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة اي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين مناص اي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدأ محذوف الخبر اي ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا ما خصه الدليل

ولقوله

ولقوله العاطفون تحين لامن عاطف والمطعمون زمان مامن مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال الكفرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما تقوله على الله اجعل الالهة الها واحدا بان جعل الالوهية التى كانت لهم لواحد ان هذا لشىء عجاب بليغ فى العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباءنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفى علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روى انه لما اسلم عمر رض شق ذلك على قريش فاتوا اباطالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل عليهم فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألوننى فقالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطى انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملا منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابى طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على الهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هى المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وامشوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اى اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشىء يراد ان هذا الامر لشىء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذى يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشىء يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم لشىء يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذى يقوله فى الملة الاخرة فى الملة التى ادركنا عليها اباءنا او فى ملة عيسى عليه السلام التى هى اخر الملل فان النصارى مثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اى ما سمعنا من اهل الكتب ولا الكهان بالتوحيد كائنا فى الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه ءانزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحى وهو مثلهم او ادون منهم فى الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدا تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوى بل هم فى شك من ذكرى من القران او الوحى لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس فى عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزاين رحمته وفى تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله

يتفضل بها على من يشاء من عباده لامانع له فانه العزيز اى الغالب الذى لا يغلب الوهاب الذى له ان يهب كل ما شاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموت والارض وما بينهما كانه لما انكر عليهم التصرف فى نبوته بان ليس عندهم خزاين رحمته التى لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل فى امر هذا العالم الجسمانى الذى هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا فى الاسباب جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلون الوحى الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف فى الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة فى ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدى المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحب الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة اولئك الاحزاب يعنى المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم فى علم الله تعالى الا صيحة واحدة هى النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرا حمزة والكسائى بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذى توعدنا به او الجنة التى تعد للمومنين وهو من قطه اذا قطعه يقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية فى اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهماله عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واد

قوله بيان لما اسند الى قوله من التاكيد نكرهم لما تقدم والايضاح لما ابهم مع ما ابهم فيه من التخصيص الدال على نفى ثبوت التصديق عنهم بل على نفى سائر ما يخبر عنهم بجعله منزلة العدم مبالغة ودلالة على غلوهم فى التكذيب فان الاستثناء المفرغ من اعم العام فى جنس المستثنى منه مفيد لما قلنا ١٢ ح

ذا الايد بمعنى انه اوّاب رجّاع الى مرضات الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة فى الدين
وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن
حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشى
والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى تضيئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها
فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق اى تضيئ وعن ام هانئ رض انه صلى الله عليه وسلم صلى صلوة الضحى
وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس رض ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية والطير
محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة
منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه
رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة فى التسبيح وهذا على المداومة
عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة
الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على اخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان
اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت انى قتلت اباه غيلة فاخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته
واتيناه الحكمة النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز الحق
عن الباطل او الكلام الملخص الذى ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل
والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه
يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار
مخل ولا اشباع ممل كما جاء فى وصف كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك
نبأ الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع
اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اى
نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع فى عهد داود وان اسناد اتى اليه على
حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ
واذ الثانية فى اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من
فوق فى يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزّأ زمانه
يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة
انسان فى يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما
بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق
ولا تشطط ولا تجر فى الحكومة وقرئ ولا تشطط اى ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من

معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخى بالدين
او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هى الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية
والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ فى المقصود وقرئ تَسع وتَسعون بفتح التاء ونِعجة بكسر النون فقال
اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى وعزنى فى
الخطاب وغلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده او فى مغالبته اياى فى الخطبة يقال
خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى اى غالبنى وعَزَنى
على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة فى
انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعى والسؤال
مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول اخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء
الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغى ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة
وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين
امنوا وعملوا الصلحت وقليل ما هم اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وظن
داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا
ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اى مصليا كانه احرم بركعتى الاستغفار
واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما فى هذه الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له
امثاله فنبهه الله تعالى بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وما روى ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى
تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما
بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل
فتزوجها فهزؤ وافتراء ولذلك قال على رض من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين
وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم
فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك
اى ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع فى الجنة يا داود انا جعلناك
خليفة فى الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم
بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق
المدعى وتظليم الاخر قبل مسئلته فيضلك عن سبيل الله دلائله التى نصبها على الحق ان الذين يضلون
عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان
تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا

لا حكمة فيه او ذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين والباطل
الذى هو متابعة الهوى بل الحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة
الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين
امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين
الحزبين التى هى من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله ام نجعل المتقين كالفجار كانه انكر
التسوية اولا بين المومنين والكافرين ثم بين المتقين من المومنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون
تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين اخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والاية تدل على
صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون فى الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضى الحكمة فيه
او فى غيرها وذلك يستدعى ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع و
قرى بالنصب على الحال ليدبروا اياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة
والمعانى المستنبطة وقرى ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اى انت وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب
وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته
بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما يستقل به
العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثانى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اى نعم العبد
سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ
عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشى بعد الظهر الصافنات الصافن
من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد يكون
الا فى العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود بالركض وقيل
جمع جيد روى انه عليه السلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة
فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم
لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى اصل احببت ان يعدى
بعلى لانه بمعنى اثرت لكن لما انيب مناب انبت عدى تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل
البعير السوء اذا احبا اى برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته
ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة
حتى توارت بالحجاب اى غربت الشمس شبه غروبها بتوارى المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة
العشى عليه ردوها على الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق

اى بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها
حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كموقن وعن ابى عمرو بالسؤوق وقرى بالساق
اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما
قيل فيه ما روى مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة تاتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله
ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة جاءت بشق رجل فوالذى نفس محمد بيده لو قال
ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه
فى السحاب فما شعر به الا ان القى على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل انه
غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على
ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن فى
ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المراة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد
اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان
اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع اليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فى نسائه
وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على
البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة فى بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم
فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا
الجسد صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال
اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال رب اغفر لى وهب لى
ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى او لا ينبغى
لاحد ان يسلبه منى بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد
من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى لاحد مثله فيكون منافسة وتقديم
الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة انك
انت الوهاب المعطى ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرى الرياح
تجرى بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمامور المنقاد حيث اصاب
اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل
منه واخرين مقرنين فى الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم فى الاعمال
الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم
شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران

سوال ان اجسامهم لطيفة ولذلك لا نراهم فكيف يمكن تقييدهم
فاجاب بان اللطافة بمعنى السخيف لا ينافى الصلابة المصححة للتقييد ١٢

فى الصفد وهو القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده و
اصفده اعطاه عكس وعد واوعد وفى ذلك نكتة هذا عطاؤنا اى هذا الذى اعطيناك من الملك
والبسطة والتسلط على مالم يسلط به غيرك عطاؤنا فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت
بغير حساب حال من المستكن فى الامر اى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك
او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض ومعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة
الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم فى القيد وان له عندنا لزلفى فى
الآخرة مع ماله من الملك العظيم فى الدنيا وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ايوب بن
عيص بن اسحاق صلوات الله عليهم وامرأته ليا بنت يعقوب اذ نادى ربه بدل
من عبدنا وايوب عطف بيان له انى مسنى بانى مسنى وقرأ حمزة باسكان الياء واسقاطها فى الوصل الشيطن
بنصب بتعب وعذاب الم وهو حكاية لكلامه الذى ناداه به ولولاه لقال انه مسه والاسناد الى
الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم
فلم يغثه او كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون
اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم
او لان المراد بالنصب والعذاب ماكان يوسوس اليه فى مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة
ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرى بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد
وبضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به اى اضرب برجلك الارض هذا مغتسل بارد
وشراب اى فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اى تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك و
ظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له اهله
بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى
كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولى الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج
بالصبر واللجاء الى الله فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة
من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث روى ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم
ابن يوسف ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهى رخصة
باقية فى الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه فى النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من
الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه فى الدين
نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
وقرأ ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له و

واسحق

واسحق ويعقوب عطف عليه اولى الايدى والابصار اولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين او اولى الاعمال
الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها
اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين
لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هى ذكرى الدار تذكرهم للآخرة دائما فان خلوصهم فى الطاعة بسببها
وذلك لان مطمح نظرهم فيما ياتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك فى الآخرة واطلاق
الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان او
لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من
امثالهم المصطفين عليهم فى الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات فى جمع ميت
او ميت واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام
فيه كما فى قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرأ حمزة والكسائى والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع
من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف فى نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبى من بنى
اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلوة
وكل اى وكلهم من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر
وهو القرآن ثم شرع فى بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب جنت عدن
عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده وانتصب عنها
مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على
الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان
متعاقبان او متداخلان من الضمير فى لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استئناف
لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض
التلذذ فان التغذى للتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن
اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه
من التراب فانه يمسهم فى وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول
الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ماله من نفاد انقطاع
هذا اى الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها
حال من جهنم فبئس المهاد المهد او المفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم
محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اى ليذوقوا هذا فليذوقوه
او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره حميم وغساق وهو على الاولين

خبر محذوف اى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ حمزة
والكسائى وحفص غسّاق بتشديد السين وآخر اى مذوق او عذاب آخر وقرأ البصريان واخرى اى
مذوقات او انواع عذاب اخرى من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب فى الشدة وتوحيد الضمير على
انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهى لغة ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له
او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين
اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم فى الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم
دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال اى مقولا فيهم لا مرحبا اى ما اتوا بهم رحبا وسعة
انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اى الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق
بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا للرؤساء انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب او الصلى
لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتموه من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا
اى الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار مضاعفا اى ذا ضعف وذلك
ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اى الطاغون
ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم
اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار
على انفسهم وتوبيخ لها فى الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى سُخريا بالضم وقد سبق مثله فى المؤمنين
ام زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفى رؤيتهم لغيبتهم
كانهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اى الامرين
فعلنا بهم الاستسخار منهم او تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهم او منقطعة
والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة
حالهم ان ذلك الذى حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار
وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر
انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد الذى لا يقبل الشركة والكثرة فى ذاته القهار لكل شئ
رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذى لا يغلب اذا عاقب
الغفار الذى يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفى هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد
ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو هو الانذار قل هو اى
ما انبأتكم به من انى نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد فى الالوهية وقيل ما بعده
من نبأ آدم عليه السلام نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادى غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن

مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لى من علم بالملأ
الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما وردت فى الكتب المتقدمة
من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحى فاذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى
ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين اى لانما كانه لما جوز ان الوحى يأتيه بين ذلك ما هو المقصود به تحقيقا
لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ بالكسر على الحكاية اذ قال ربك للملائكة انى
خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التى دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول
الملائكة وابليس فى خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر فى البقرة غير انها اقتصرت اكتفاء
بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبى صلى الله عليه وسلم
بمثل ما حاق بابليس على استكباره على آدم عليه السلام هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله تعالى اياهم
بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى والملائكة فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من
روحى واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة
وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه فى البقرة فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان
وصار من الكافرين باستنكافه عن امر الله تعالى واستكباره عن المطاوعة او كان منهم فى علم الله تعالى
قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى خلقته بنفسى من غير توسط كاب وام وتثنية لما فى خلقه
من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعى
للتعظيم او بانه الذى تشبث به فى تركه وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله
مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق
وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها
او بمعنى الاخبار قال انا خير منه ابداء للمانع وقوله تعالى خلقتنى من نار وخلقته من طين دليل عليه
وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او السماء او من الصورة الملكية فانك رجيم
مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه فى الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الضلال
او اخلصوا قلوبهم لله تعالى على اختلاف القراءتين قال فالحق والحق اقول اى فاحق الحق واقوله
وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير
للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اى الحق يمينى او قسمى او الخبر اى انا الحق وقرئ

مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم فى الاول وحكاية
لفظ المقسم به فى الثانى للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شاركه الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثانى وتخريجه
على ما ذكرنا والضمير فى منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل
للثقلين واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما اسئلكم عليه من اجر اى على القران او تبليغ الوحى وما انا
من المتكلفين المتصنعين بما لست من اهله على ما عرفتم من حالى فانتحل النبوة واتقول القران ان هو
الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيان
ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عليه السلام عشر حسنات وعصمه
ان يصر على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادى الاية وآيها خمس وسبعون او اثنان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتب خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول صلة
التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة
وعلى الثانى القران وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم انا انزلنا اليك الكتب
بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا
له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد
الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به موكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه
فقال الا لله الدين الخالص اى الا هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات
الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة
والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق
عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او ان الله يحكم
بينهم وهو متعين على الثانى وعلى هذا يكون القول المضمر بما فى حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى
مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به الهتهم ونعبدهم
بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة
ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله لا يهدى لا يوفق
للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا
لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود
واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام

الولد له ثم قرر ذلك بقوله تعالى سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم
للوحدة الذاتية وهى تنافى المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة
والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافى قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله تعالى
خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشى كل واحد منهما الاخر
كانه يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا
متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته
الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شئ الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما فى هذه
الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها نوع استدلال اخر
بما اوجده فى العالم السفلى مبدوءا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره
ثلث دلالات خلق ادم اولا من غير اب وام ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما
وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اى من نفس وحدت ثم جعل منها
زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الايتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج
من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منه حواء وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول
من السماء حيث كتب فى اللوح او احدث لكم باسباب نازلة منها كاشعة الكواكب والامطار من الانعام
ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضأن والمعز يخلقكم فى بطون امهاتكم بيان لكيفية
خلق ما ذكر من الاناسى والانعام اظهارا لما فيها من عجائب القدرة غير انه غلب اولى العقل او خصهم
بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية
من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف فى ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم
والبطن ذلكم الذى هذه افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو
اذ لا يشاركه فى الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان الله غنى
عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم
لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع فى رواية وابو عمرو والكسائى باشباع ضمة الهاء لانها صارت
بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابى عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر
اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور
فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع العقل
فى الدلالة على ان مبدأ الكل منه ثم اذا خوله اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار
نعمة منه من الله نسى ما كان يدعو اليه اى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذى

كان يتضرع اليه وما مثله الذي في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا
ليضل عن سبيله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة
جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع
تشهي لا سند له واقناط للكافرين من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على
سبيل الاستيناف للمبالغة امن هو قانت قائم بوظائف الطاعات آناء الليل ساعاته وام متصلة
بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت كمن هو بضده وقرأ الحجازيان
وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل له اندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير قانت و
قرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه في موضع
الحال او الاستيناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين
باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي كما
لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا الالباب
بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم بلزوم
طاعته للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي للذين احسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة
في الآخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه الدنيا بيان
لمكان حسنة وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث
يتمكن منه انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها اجرهم
بغير حساب اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيمة لاهل
الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى
يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل
قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت
بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص او لانه
اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة
والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزمه
من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في
الاخلاص والبدأ بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك
الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والريا عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد
مخلصا له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه

مامورا

مامورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله
فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران الذين
خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم
جمعوا وجوه الخسران وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم
وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في
خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من
فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هي ظلل للآخرين ذلك يخوف
الله به عباده ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا
لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين
بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ان يعبدوها
بدل اشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل
والملائكة عند حضور الموت فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه
الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق
والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك الذين هديهم الله لدينه واولئك هم اولوا
الالباب العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل
الله وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة
على محذوف دل عليه الكلام تقديره انت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه
فكررت الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة
على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم
في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستانفة للدلالة
على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق
بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض تجري من تحتها الانهار اي من تحت تلك الغرف وعد
الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله
محال الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع في الارض هي عيون ومجار
كائنة فيها او مياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر او الحال ثم
يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما
ثم يهيج ييبس فانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله

حطاماً فتاتا ان فى ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لابد من صانع حكيم دبّره وسوّاه وبانه مثل الحيوة
الدنيا فلا يغتر بها لاولى الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح الله صدره للاسلام حتى
تمكن فيه بيسر عبّر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متابية عنه من حيث ان الصدر
محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابل للاسلام فهو على نور من ربه يعنى المعرفة والاهتداء
الى الحق وعنه عليه السلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار
الخلود والتجافى عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله وخبره من محذوف دل عليه فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسى من اجل الشيء
اشد تابيا من قبوله من القاسى عنه بسبب اخر وللمبالغة فى وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر
شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليه اولئك فى ضلل مبين يظهر
للناظر بادنى نظر والاية نزلت فى حمزة وعلى وابى لهب وولده الله نزّل احسن الحديث يعنى القرآن روى
ان اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملّة فقالوا له حدثنا فنزلت وفى الابتداء باسم الله
وبناء نزّل عليه تاكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزّل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من
احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه فى الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع
العامة مثانى جمع مثنى او مثنى او مثنى على ما مر فى الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن
سور وايات والانسان عظام وعروق واعصاب او جعل تمييزا من متشابها كقولك رايت رجلا
حسنا شمائل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل فى شدة الخوف
واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا
كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق
للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون
والاطمينان وذكر القلوب لتقدم الخشية التى هى من عوارضها ذلك اى الكتاب او الكائن من الخشية
والرجاء هدى الله يهدى به من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من
الضلال افمن يتقى بوجهه يجعله درقة يتقى به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقى
الا بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كمن هو امن منه فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وقيل للظلمين
اى لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون
اى وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التى
لا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزى الذل فى الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل
والسبى والاجلاء ولعذاب الاخرة اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم

والنظر

والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر فى امر دينه
لعلهم يتذكرون يتعظون به قرانا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءنى زيد
رجلا صالحا او مدح له غير ذى عوج لا اختلال فيه بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واختص بالمعانى وقيل الشك
استشهادا بقوله وقد اتاك يقين غير ذى عوج من الله وقول غير كذب وهو تخصيص له ببعض مدلوله
لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا للمشرك والموحد رجلا فيه شركاء متشاكسون
ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعى كل واحد من معبوديه عبوديته و
يتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهامهم المختلفة فى تحيره وتوزع قلبه
والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس
الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرى بفتح السين وكسرها مع سكون العين
وثلاثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذا ورجل سالم اى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه
افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرى مثلين للاشعار
باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان فى الوصفين على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل
ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق
بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد
الموت وفى عداد الموتى وقرى مائت ومائتون لانهما مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب
يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق فى التوحيد وكانوا على الباطل فى التشريك
واجتهدت فى الارشاد والتبليغ ولجوا فى التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا
وجدنا اباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم فى الدنيا فمن
اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد عليه السلام اذ جاءه
من غير توقف وتفكر فى امره اليس فى جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام
تحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص
بمن فاجأ ما علم مجىء الرسول به صلى الله عليه وسلم بالتكذيب والذى جاء بالصدق وصدق به للجنس
ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم المتقون وقيل هو النبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه
كما فى قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتب لعلهم يهتدون وقيل الجائى هو الرسول صلى الله عليه وسلم
والمصدق ابو بكر وذلك يقتضى اضمار الذى وهو غير جائز وقرى وصدق بالتخفيف اى صدق
به الناس فاداه اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول
لهم ما يشاءون عند ربهم فى الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا

خص

حضّ الاسوء للمبالغة فانه اذا كفّر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم
مقصّرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر اسوء ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيّئ كقولهم
الناقص والاشجّ اعدلا بني مروان وقرئ اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي
كانوا يعملون فتعدّ لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف
عبده استفهام انكار للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده
قرأة حمزة والكسائي عباده وفسّر بالانبياء ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فانهم قالوا له
انا نخاف ان يخبلك آلهتنا لعيبك اياها وقيل انه بعث خالدا ليكسر العزّى فقال له سادنها احذركها ان لها
شدّة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزّل تخويف خالد منزلة تخويفه عليه السلام لانه الآمر له بما خوّف عليه ومن
يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوّفه بما لا ينفع ولا يضرّ فما له من هاد يهديهم الى الرشاد ومن يهد
الله فما له من مضلّ اذ لا رادّ لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله لوضوح البرهان على تفرّده بالخالقية قل افرايتم
ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضرّ هل هنّ كاشفات ضرّه اي ارأيتم بعد ما تحققتم ان خالق
العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله ان يصيبني ضرّا هل يكشفنه او ارادني برحمة بنفع هل هنّ ممسكات
رحمته فيمسكنها عني وقرأ ابو عمرو كاشفات ضرّه وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضرّه ورحمته قل حسبي
الله كافيا في اصابة الخير ودفع الضرّ اذ تقرّر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير
او شرّ روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها
به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل منه تعالى قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ
مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه
تعالى يزيده على مرّ الايام قوة ونصرة ولذلك توعّدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحلّ عليه عذاب مقيم
دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم
ومعادهم بالحقّ ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه اي نفع به نفسه ومن ضلّ فانما يضلّ عليها فان وباله
لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكّلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلّغت الله
يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرّفها
فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت
فلا يردّها الى البدن وقرأ حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع ويرسل الاخرى اي

٥٥ قال الزعفراني نافلا عن الامام النفس الانسانية جوهر مشرق روحاني اذا تعلق بالبدن حصل ضوءه في جميع الاعضاء وهو الحيوة ففي وقت الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وباطنه وذلك هو الموت واما في وقت النوم فينقطع ضوءه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه ولا ينقطع عن باطنه فثبت ان النوم والموت من جنس واحد لكن الموت انقطاع تام والنوم انقطاع ناقص

النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمّى وهو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روي عن ابن
عباس رض ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي
بها النفس والحيوة فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان في ذلك من
التوفي والامساك والارسال لآيات دالّة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون
في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها
من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفي آجالها
ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا
يعقلون ايشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة
جميعا لعله ردّ لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقرّبون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة
كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقلّ بها ثم قرّر ذلك فقال له ملك السموات والارض
فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيكون
الملك له ايضا حينئذ واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
انقبضت ونفرت واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم
حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة
وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غمّا حتى ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا المفاجأة قل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة التجئ الى الله تعالى بالدعاء لما تحيّرت في امرهم وعجزت في عنادهم وشدّة
شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
به من سوء العذاب يوم القيمة وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد وبدا لهم سيّآت
ما كسبوا سيّآت اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم
جزاؤه فاذا مسّ الانسان ضرّ دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله
وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبيب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون
بذكر الآلهة فاذا مسّهم ضرّ دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض
مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خوّلناه نعمة منّا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به قال
انما اوتيته على علم على علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطاه لما لي من استحقاق او من الله بي وباستحقاقي
والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء منها بل هي فتنة امتحان له

٥٦ قوله على علم خبر ان جعل ما موصولة وحال من المرفوع او المنصوب ان جعل ما كافة ١٢

ليشكر ام يكفر وسورد لما قاله وتانيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم
قارون وقومه فانه قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فاصابهم
سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا
الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض سيصيبهم
سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم
بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم
بسط لهم سبعا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله بوسط او غيره قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه
بالمؤمنين على ما هو عرف القران لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا
ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه
فيما عدا الشرك قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على
المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي
من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن
القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم
الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه
عليه السلام قال ما احب ان لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة
ثم قال الا ومن اشرك ثلث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس
بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد
بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له
من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق
تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا احسن ما انزل اليكم
من ربكم القران او المامور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ
ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون
بمجيئه فتتداركوا ان تقول نفس كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول
الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا يا حسرتا وقرئ بالياء على الاصل على
ما فرطت بما قصرت في جنب الله في جانبه اي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في
جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروة والندى في قبة ضربت

على

على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر
الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين باهله ومحل وان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت
وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين الشرك والمعاصي او تقول
حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من
هذه الاقوال تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت
من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه
يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية
ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه
كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله
بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل
والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى مقام
للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ وينجي
بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص لها باهم اقسامه وبالسعادة والعمل
الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها
للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استيناف لبيان المفازة
الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد
السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها
مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد
او مقلاد من قلدته اذا لزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه
انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده
واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على
كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات
والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي
الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير
النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين ان خسروا انفسهم والتصريح
بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد بايات الله دلائل قدرته واستبداده بامر
السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم ذو حظ من الرحمة والثواب

قل افغير الله تامرونى اعبد ايها الجاهلون اى افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتامرونى اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامرونى اعبد لانه بمعنى تعبدوننى على ان اصله تامروننى ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله احضر الوغا ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تامروننى باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك اى من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به فى قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته فى انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التى تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شىء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة فى حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد واعلى من هذه قدرته وعظمته من اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء ونفخ فى الصور يعنى المرة الاولى فصعق من فى السموات ومن فى الارض خر ميتا او مغشيا عليه الا من شاء الله قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فانه يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهى تدل على ان المراد بالاول ونفخ فى الصور نفخة واحدة كما صرح به فى مواضع واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم فى الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفى الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة

ولذلك اضافه الى نفسه ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال فى ايدى العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف وجىء بالنبيين والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضى بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شىء من افعالهم ثم فصل التوفية وقال تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض على تفاوت اقدامهم فى الضلالة والشرارة جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة وهى الجمع القليل حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافى اشعاره بان مثواهم فى النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة فاذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم فى الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة يفتح لهم قبل مجيئهم غير منتظرين وقرأ الكوفيون وفتحت بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم عن دنس المعاصى فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصى بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اى يتبوأ كل منا فى اى مقام اراده من جنته الواسعة مع ان فى الجنة مقامات

معنوية لا يتأثر داردوها فنعم اجر العملين الجنه وترى الملئكة حافين محدقين من حول العرش
اى حوله ومن من يدة اولابتداء والحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة
للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفى جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم
هو الاستغراق فى صفات الحق وقضى بينهم بالحق اى بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنه او
بين الملائكة باقامتهم فى منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العلمين اى على ما قضى بيننا
بالحق والقائلون هم المومنون من المقضى بينهم او الملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا وعن
عائشة رضى الله عنها انه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

سورة المومن مكية وآيها خمس وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم حم اماله ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر وصحح
ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرى بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين او النصب باضمار
اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتانيث او لانها على زنة اعجمى كقابيل وهابيل تنزيل الكتب من الله العزيز
العليم لعل تخصيص الوصفين لما فى القران من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة
البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب
والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص
واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال
وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول
التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون الذنب
باقيا وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها
والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفى توحيد صفة العقاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها
لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلى على عبادته اليه المصير فيجازى المطيع والعاصى ما يجادل فى ايت الله
الا الذين كفروا لما حققوا امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق كقوله تعالى
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ
به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام ان جدالا فى القران كفر بالتنكير مع انه
ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم فى البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم فى دنياهم وتقلبهم
فى بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم ماخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال عز وجل
كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح
كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها لياخذوه ليتمكنوا من اصابته

بما اراد وامن تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به
فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهمهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وتقرير فيه تعجيب
وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحب النار بدل من
كلمة ربك بدل الكل والاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله
الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفوفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية
عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم فى نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء
من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به
اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين
امنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش فى معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم
وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة فى الايمان توجب النصح والشفقة
وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المومنون اخوة ربنا اى يقولون ربنا وهو بيان
ليستغفرون او حال وسعت كل شىء رحمة وعلما اى وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق فى
وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح
بعد اشعار للتوكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم جنت عدن التى وعدتهم اياها ومن صلح
من اباءهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اى ادخلهم معهم هؤلاء ليتم سرورهم او الثانى لبيان
عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز الذى لا يمتنع عليه
مقدور الحكيم الذى لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيات العقوبات
او جزاء السيات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصى فى الدنيا لقوله ومن تق السيات
يومئذ فقد رحمته اى ومن تقها فى الدنيا فقد رحمته فى الاخرة كانهم طلبوا السبب بعد ما سالوا المسبب
وذلك هو الفوز العظيم يعنى الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال
لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اى لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء
اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثانى
لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة الا ان يأول بنحو الصيف ضيعت اللبن
او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين امانتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم
صيرتنا امواتا عند انقضاء اجالنا فان الاماتة جعل الشىء عادم الحيوة ابتداء او تصييرا كالتصغير والتكبير
ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مفعوليه

تصيير وصرف له عن الاخر واحييتنا اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام
الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء ان هما فى القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة
بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا
وانكارهم للبعث فهل الى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط
قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله تعالى ذلكم الذى انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعى الله
وحده متحدا او يوحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه فى الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا
بالاشراك فالحكم لله المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلى الكبير من ان يشرك به
ويسوى بغيره حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته فى استحقاق
العبادة هو الذى يريكم اياته الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم
وينزل لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالايات التى هى كالمركوزة
فى العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك فى التقليد واتباع الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار
بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشىء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك
ولو كره الكفرون اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران اخران للدلالة على علو
صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده فى الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله
بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذى هو اصل العالم الجسمانى فى قبضة قدرته لا يصح ان يشرك
به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرى
رفيع بالنصب على المدح يلقى الروح من امره خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره
باظهار اثارها وهو الوحى وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحى ومن امره بيانه لانه امر بالخير او مبدؤه
والامر هو الملك المبلغ على من يشاء من عباده يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية لينذر غاية الالقاء
والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد الثانى يوم التلاق يوم القيمة فان فيه يتلاقى
الارواح والاجساد واهل السماء والارض والمعبودون والعباد والاعمال والعمال يوم هم بارزون
خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شىء او ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشى الابدان او اعمالهم وسرائرهم
لا يخفى على الله منهم شىء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو
ما يتوهمونه فى الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسئل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به او
لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيأت
توجب لذتها والمها لكنها لا تشعر بها فى الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق

وادركت

قوله وتحقيقه الخ لما ظهر انه تكلف ... لان الظاهر ان الباء فى بما كسبت صلة لتجزى
فيقتضى ان يكون عين ما كسبت جزاء وكذلك ان تحمل الباء على السببية او المقابلة فتامل ١٢

وادركت لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله
شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الازفة اى القيمة سميت بها لازوفها اى قربها
او الخطة الازفة وهى مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق
بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على
الاضافة او منها او من ضميرها فى لدى وجمعه لذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم
لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما للظلمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع
ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظلمين موضع ضميرهم للدلالة على
اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق
النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفى الصدور من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من
خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضى بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشىء الا وهو حقه
والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضى او لا يقضى وقرأ
نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه
بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا فى الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود
كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جىء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من
للمعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر اشد منكم بالكاف واثارا فى الارض مثل القلاع والمدائن
الحصينة وقيل المعنى اكثر اثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله
من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينت بالمعجزات او الاحكام
الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوى متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب
دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعنى المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة ظاهرة والعطف
لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا
ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو اشد الذين
كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه
واستحيوا نساءهم اى اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كى يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد الكفرين
الا فى ضلل اى فى ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون
ذرونى اقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذى تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك
عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا فى اهون شىء دليل على انه تيقن انه نبى فخاف

من قتله او ظن انه لو جادله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه اني اخاف
ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادتي وعبادة الاصنام كقوله ويذرك
والهتك او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل
دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر
والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى اى لقومه لما سمع كلامه اني عذت
بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدّر الكلام بانّ تأكيدا واشعارا على ان السبب
المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافه اليه واليهم
حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره
لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت
فيه وفي الدخان بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق
بقوله يكتم ايمانه والرجل اسرائيلي او غريب موحد كان ينافقهم أتقتلون رجلا أتقصدون قتله
ان يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتأمل في امره ربي الله وحده وهو في الدلالة على
الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات
من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذ
بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه
الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في
التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصيبكم ما يعدكم من عذاب
الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك
امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات
ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله فاهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى
الاول وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب
وطريق النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا
من بأس الله ان جاءنا اى فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا
منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح
لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت
من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه

فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى
الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب
مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح و
عاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد
ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد
من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة
ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار
كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون
عن الموقف مدبرين منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه
ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على
نسبة احوال الآباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات
فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى
تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ
ان لن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله في العصيان
من هو مسرف في عصيان مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في
آيات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد او بشبهة داحضة
اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ
وخبره كبر على حذف مضاف اى وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر كذلك
اى كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استئنافا للدلالة على الموجب
لجدالهم وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عيني
وسمعت اذني او على حذف مضاف اى على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا
بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب السموات بيان لها وفي
ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ
حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب
التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه
او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى
الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله تعالى وكيفية استنبائه واني

لاظنه

لا أظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن
السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبالتوسط
الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه
التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب اى خسار وقال الذى آمن يعنى مومن
آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود
وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغى يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة
زوالها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على
ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال
وجعل الجزاء اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان
حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى
الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون
به نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما
بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل
والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لى به بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار
بان الالوهية لابد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع
لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة
والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما تدعونني
اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اى حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات
ليس لها ما يقتضي الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب
وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته
وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة
الوهية الاصنام اى لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد
وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار
ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة و
افوض امرى الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم وكأنه جواب توعدهم
المفهوم من قوله فوقيه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى وحاق بآل فرعون

بفرعون

بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المومن من قومه فانه فر الى
جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق والقتل
والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان
او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون
مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به
وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا
الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم
تقوم الساعة اى هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل فرعون
اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائى
ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار واذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم
فيها ويحتمل عطفه على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا تباعا كخدم
في جمع خادم او ذى تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع
او الحمل ونصيبا معمول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغنى عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم
فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض
المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف
المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اى لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل
او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف
عنا يوما قدر يوم من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب
بيانه قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم الحجة وتوبيخهم على اضاعتهم
اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن لنا في الدعاء
لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب انا لننصر رسلنا
والذين آمنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اى في الدارين
ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد
كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمومنين
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم

فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد
آتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع وأورثنا بني إسرائيل الكتب
وتركنا عليهم بعده من ذلك التوراة هدى وذكرى هداية وتذكرة أو هاديا أو مذكرا لأولي الألباب
لذوي العقول السليمة فاصبر على أذى المشركين إن وعد الله حق بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى
وفرعون واستغفر لذنبك وأقبل على أمر دينك وتدارك فرطاتك بترك الأولى والاهتمام بأمر العدى بالاستغفار
فإنه تعالى كافيك في النصر وإظهار الأمر وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل
صل لهذين الوقتين إذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا إن الذين يجادلون في آيات الله
بغير سلطان أتاهم عام في كل مجادل مبطل وإن نزلت في مشركي مكة أو اليهود حين قالوا لست صاحبنا
بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار إن في صدورهم إلا كبر إلا تكبر عن الحق وتعظم
عن التفكر والتعلم أو إرادة الرياسة أو أن النبوة والملك لا يكونان إلا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات
أو المراد فاستعذ بالله فالتجئ إليه إنه هو السميع البصير لأقوالكم وأفعالكم لخلق السموات والأرض
أكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها أولا من غير أصل قدر على خلق الإنسان ثانيا من أصل
وهو بيان لأشكل ما يجادلون فيه من أمر التوحيد ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأنهم لا ينظرون ولا
يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم أهواءهم وما يستوي الأعمى والبصير الغافل والمستبصر والذين
آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء فينبغي أن يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما
بعد البعث وزيادة لا في المسيء لأن المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني
عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود أو الدلالة بالصراحة
والتمثيل قليلا ما يتذكرون أي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس أو الكفار وقرأ الكوفيون
بالتاء على تغليب المخاطب أو الالتفات أو أمر الرسول عليه الصلوة والسلام بالمخاطبة إن الساعة لآتية
لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها وإجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون
لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني أستجب لكم
أثب لكم لقوله إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وإن فسر الدعاء
بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة أو المراد بالعبادة الدعاء فإنه من
أبوابها وقرأ ابن كثير وأبو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
لتستريحوا فيه بأن خلقه باردا مظلما ليؤدي إلى ضعف المحركات وهدوء الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه
أو به وإسناد الإبصار إليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل إلى الحال إن الله لذو فضل
على الناس لا يوازيه فضل وللإشعار به لم يقل لمفضل ولكن أكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم

واعقالهم

وإغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية
الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو أخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب
على الاختصاص فيكون لا إله إلا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للأوصاف المذكورة فأنى تؤفكون فكيف ومن
أي وجه تصرفون من عبادته إلى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون أي كما أفكوا
أفك عن الحق كل من جحد بآيات الله تعالى ولم يتأملها الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء
استدلال ثان بأفعال أخر مخصوصة وصوركم فأحسن صوركم بأن خلقكم منتصب القامة بادي البشرة
متناسب الأعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات
اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فإن كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال
هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية لا إله إلا هو إذ لا موجود يساويه أو يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه
فاعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين له قل إني
نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات أو من الآيات
فإنها مقوية لأدلة العقل منبهة عليها وأمرت أن أسلم لرب العالمين أن أنقاد له وأخلص له ديني
هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا أطفالا والتوحيد لإرادة الجنس
أو على تأويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا أشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم
لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام
شيوخا بضم الشين وقرئ شيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة أو بلوغ الأشد
ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى هو وقت الموت أو يوم القيمة ولعلكم تعقلون ما في ذلك
من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فإذا أراده فإنما يقول له كن فيكون فلا يحتاج
في تكوينه إلى عدة وتجشم كلفة والفاء الأولى للدلالة على أن ذلك نتيجة ما سبق من حيث إنه
يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى
يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل أو المجادل فيه أو للتوكيد الذين كذبوا
بالكتاب بالقرآن أو بجنس الكتب السماوية وبما أرسلنا به رسلنا من سائر الكتب أو الوحي والشرائع
فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم إذ الأغلال في أعناقهم ظرف ليعلمون إذ المعنى على الاستقبال والتعبير
بلفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على الأغلال أو مبتدأ خبره يسحبون في الحميم والعائد محذوف أي
يسحبون بها وهو على الأول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية
على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى إذ الأغلال في أعناقهم بمعنى أعناقهم في الأغلال وإضمار الباء و
تدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون يحرقون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق

كأنه

كانه يسجر بالحب اى ملئ والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم اينما كنتم
تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد
منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اى بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم
ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا
الى شئ ينفعهم فى الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون
فى الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون فى الفرح
والعدول الى الخطاب للمبالغة فى التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها
مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن
لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفار حق كائن
لا محالة فاما نرينك فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا يلحق مع ان وحدها
بعض الذى نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم
باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم
فى حيوتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع فى
هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل
عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم اشخاص معدودة وما كان لرسول ان ياتى
باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار فى ايثار
بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب فى الدنيا والآخرة قضى بالحق بانجاء
المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها
الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون فان من جنسها ما يوكل كالغنم
ومنها ما يوكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا
عليها حاجة فى صدوركم بالمسافرة عليها وعليها فى البر وعلى الفلك فى البحر تحملون وانما قال على الفلك
ولم يقل فى الفلك للمزاوجة وتغيير النظم فى الاكل لانه فى حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش و
التلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين
والمنفعة ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته فاى آيات الله اى آية
من تلك الآيات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اى اذ لو قدرته متعلقا بضميره
كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء فى اى اغرب منها فى الاسماء غير الصفات لابهامه افلم يسيروا
فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا فى الارض

ما بقى منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار اقدامهم فى الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية
مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم
واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله تعالى بل ادارك علمهم فى
الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم
او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به
ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادى جهل الكفار وسوء
عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا
باسنا شدة عذابنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان
قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى
عنهم والباقيتان لان رؤية الباس مسببة عن مجئ الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية سنة
الله التى قد خلت فى عباده اى سن الله ذلك سنة ماضية فى العباد وهى من المصادر المؤكدة وخسر
هنالك الكافرون اى وقت رؤيتهم الباس اسم مكان استعير للزمان عن النبى صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وهى ثلث او اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلته مبتدأ فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف
او مبتدأ لتخصيصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل
افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة فى النظم والمعنى
واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنياوية فصلت آياته ميزت
باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اى فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعانى او فصلت
بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه
لقوم يعلمون لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او لفصلت
والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة
لكتاب او الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة وقالوا
قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفى آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر
ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث

٥٧ الصمم محركة انسداد الاذن وثقل السمع ١٢ قاموس

استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم
ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون
على ديننا او في ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا
لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة
في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا في افعالكم
متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة
والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله سبحانه الذين
لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالآخرة هم كافرون حال مشعرة
بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للآخرة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل
نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع
ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها
اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا
ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات
ومربيها وجعل فيها رواسي استيناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها
مرتفعة عليها لتظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها
واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوانات وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل
نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم
فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشر والى الكوفة
في خمس عشرة ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين والتصريح على
الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل
حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره
هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين
ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره
والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها

ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة
التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابرزا ما اودعتكما
من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او
الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه
او ليأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة وآتيا من المؤاتاة اي ليوافق
كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب
وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين
بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع و
اجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه
الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين فقضاهن سبع
سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال
على الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة
واوحى في كل سماء امرها شأنها وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها
باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها وحفظا اي
وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قال وخصصنا السماء
الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا
عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع
كأنه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته
الصاعقة صعقا فصعق صعقا اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة
او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة
او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم
في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود
وصالح عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى
يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ان لا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء
ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم
بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها
بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل

منهم بنزع الصخرة فيقتلعها بيده أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة قدرة فإنه قادر بالذات
مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا بآياتنا يجحدون يعرفون أنها حق وينكرونها
وهو عطف على فاستكبروا فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد
الذي يصر أي يجمع ويقبض أو شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في أيام نحسات جمع نحسة من نحس
نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف أو النعت على فعل أو الوصف
بالمصدر وقيل كن آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء لنذيقهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا أضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة
أخزى وهو في الأصل صفة المعذب وإنما وصف به العذاب على الإسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم وأما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وإرسال الرسل وقرئ ثمود
بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا
الضلالة على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فأهلكتهم وإضافتها إلى
العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة على الهدى ونجينا الذين
آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر أعداء الله إلى النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو
الله عز وجل وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب أعداء فهم يوزعون يحبس أولهم على
آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة أهل النار حتى إذا ما جاؤها إذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال
الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بأن ينطقها الله أو يظهر
عليها آثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ أو
تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء أي ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله
الذي أنطق كل شيء أو ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي أنطق كل شيء ولو أول الجواب والنطق بدلالة
الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون يحتمل أن يكون تمام كلام الجلود
وأن يكون استئنافا وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم أي كنتم تستترون
عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها
وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق أن لا يمر عليه حال إلا وعليه رقيب ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا
مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم إشارة إلى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم الذي
ظننتم بربكم أرداكم خبران له ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأرداكم خبرا فأصبحتم من الخاسرين إذ صار
ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء المنزلين فإن يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها
وإن يستعتبوا يسألوا العتبى وهي الرجوع إلى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين إليها ونظيره

قوله

قوله تعالى حكاية أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي إن يسألوا أن
يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء أخدانا من الشياطين
يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة
فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر الآخرة وإنكاره وحق عليهم
القول أي كلمة العذاب في أمم في جملة أمم كقوله إن تك عن أحسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد أفكوا
وهو حال من الضمير المجرور قد خلت من قبلهم من الجن والإنس وقد عملوا مثل أعمالهم إنهم كانوا خاسرين
تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
وعارضوه بالخرافات أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال
لغي يلغى ولغا يلغو إذا هذى لعلكم تغلبون أي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا
المراد بهم هؤلاء القائلون أو عامة الكفار ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون سيئات أعمالهم وقد سبق
مثله ذلك إشارة إلى الأسوأ جزاء أعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء أو خبر محذوف لهم
فيها في النار دار الخلد فإنها دار إقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها
على أن المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ينكرون الحق أو يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب
اللغو وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس يعني شيطاني النوعين الحاملين
على الضلالة والعصيان وقيل هما إبليس وقابيل فإنهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن
عامر ويعقوب وأبو بكر والسوسي أرنا بالتخفيف كفخذ في فخذ وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء
نجعلهما تحت أقدامنا ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الأسفل ليكونا من الأسفلين
مكانا أو ذلا إن الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته وإقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل
وثم لتراخيه عن الإقرار في الرتبة من حيث إنه مبدأ الاستقامة أو لأنها عسر قلما تتبع الإقرار وما روي
عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الإيمان وإخلاص العمل وأداء الفرائض فجزئياتها
تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن أو عند الموت
أو الخروج عن القبر أن لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وأن مصدرية أو مخففة
مقدرة بالباء أو مفسرة وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن أولياؤكم
في الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفي الآخرة
بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها في الآخرة ما تشتهي أنفسكم من اللذائذ ولكم
فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو أعم من الأول نزلا من غفور رحيم حال مما
تدعون للإشعار بأن ما تتمنون بالنسبة إلى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن أحسن قولا ممن

دعا

دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين تفاخرا به واتخاذا للاسلام
دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والاية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتاكيد
النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن
الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف
اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي اذا
فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقيها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان
الا الذين صبروا فانها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقيها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل
الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته لانها تبعث على ما لا ينبغي كالدفع
بما هو اسوء وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله
من شره ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك ومن اياته الليل والنهار
والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مامووران مثلكم واسجدوا لله الذي
خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار
ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند
ابي حنيفة رح اخر الاية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملئكة
يسبحون له بالليل والنهار اي دائما لقوله تعالى وهم لا يسئمون لا يملون ومن اياته انك ترى الارض
خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت
وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت اي زادت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير
من الاحياء والاماتة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في اياتنا بالطعن والتحريف والتاويل
الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الحادهم افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا
يوم القيمة قابل الالقاء في النار بالاتيان امنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد
انه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين
يلحدون في اياتنا او مستانف وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر
القران وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتاتى ابطاله وتحريفه لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية
والامور الاتية تنزيل من حكيم حميد اي حكيم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال
لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك

الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون المقول
بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرانا اعجميا جواب
لقولهم هلا نزل القران بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت اياته بينت بلسان نفقهه ءاعجمي و
عربي اكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر للتخصيص والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه وكلامه وهذه قراءة ابي بكر
بتسهيل الثانية وقرئ اعجمي وهو منسوب الى العجم وقرا هشام اعجمي على الاخبار وعلى
هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب
والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور والدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت في الايات
كيف جاءت قل هو للذين امنوا هدى الى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون
مبتدا خبره في اذانهم وقر على تقدير هو في اذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه
وتعاميهم عما يريهم من الايات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك على الذين امنوا هدى اولئك
ينادون من مكان بعيد اي هم وهو تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة
ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القران ولولا كلمة
سبقت من ربك وهي العدة بالقيمة وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الاجال لقضي بينهم باستيصال
المكذبين وانهم وان اليهود او الذين لا يؤمنون لفي شك منه من التورية او القران مريب موجب
للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم
ما ليس له ان يفعله اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج
من ثمرة من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرا نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع
وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان يكون موصولة معطوفة على
الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا
حسب تعلقه به ويوم يناديهم اين شركاءي بزعمكم قالوا اذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم
بالشركة اذ تبرانا عنهم لما عاينا الحال فيكون السوال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل
هو قول الشركاء اي ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل
لا ينفعهم او لا يرونهم وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسام الانسان
لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر الضيقة فيؤس قنوط
من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ في ياسه
من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور اثر الياس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته
بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة

تقوم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى اى ولئن قامت على التوهم كان لى عند الله الحالة الحسنى
من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين
كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم
التفصى عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد
عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب فى قوله تعالى فى جنب الله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض
كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين
فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل ارأيتم اخبرونى ان كان اى القران من عند الله ثم كفرتم به
من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو فى شقاق بعيد اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الصلة
شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم اياتنا فى الافاق يعنى ما اخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم به من الحوادث
الاتية واثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على
وجه خارق للعادة وفى انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما فى بدن الانسان من عجائب الصنع
الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقران او الرسول او التوحيد او لله اولم يكف بربك
اى اولم يكف ربك والباء مزيدة للتاكيد كانه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد فى الفاعل الا مع كفى
انه على كل شىء شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شىء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار
الايات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم او لم يكف الانسان رادعا
عن المعاصى انه تعالى مطلع على كل شىء لا يخفى عليه خافية الا انهم فى مرية شك وقرئ بالضم وهى لغة كخفية
وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شىء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها
لا يفوته شىء منها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهى ثلث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعد ايتين وان كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم
وقرئ حم سق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اى مثل ما فى هذه السورة من
المعانى او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية
للدلالة على استمرار الوحى وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى
خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم
صفتان له مقررتان لعلو شان الموحى به كما مر فى السورة السابقة او بالابتداء كما فى قراءة نوحى بالنون
والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى

العظيم

العظيم خبران له وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائى بالياء
يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر
التانيث وهو نادر من فوقهن اى يبتدى الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم
الايات وادلها على علو شانه من تلك الجهة وعلى الثانى ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل
الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملئكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض بالسعى فيما
يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر
بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة
الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ عظيم من رحمته والاية على الاول زيادة تقرير
لعظمته وعلى الثانى دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار
الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب
على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وكذلك اوحينا
اليك قرانا عربيا الاشارة الى مصدر يوحى او الى معنى الاية المتقدمة فانه مكرر فى القران فى مواضع جمة
فيكون الكاف مفعولا به وقرانا عربيا حال منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهى مكة ومن حولها من العرب
وتنذر يوم الجمع يوم القيمة يجمع فيه الخلائق او الارواح والاشباح او العمال والاعمال وحذف ثانى مفعولى
الاول واول مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقران لا ريب فيه اعتراض
لا محل له فريق فى الجنة وفريق فى السعير اى بعد جمعهم فى الموقف يجمعون اولا ثم يفترقون والتقدير منهم
فريق والضمير للمجموع لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اى وتنذر يوم جمعهم متفرقين
بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين فى دارى الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين
او ضالين ولكن يدخل من يشاء فى رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولى ولا
نصير اى ويدعهم بغير ولى ولا نصير فى عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة فى الوعيد اذ الكلام فى الانذار
ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولى جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء
بحق فالله هو الولى بالحق وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم
انتم والكفار فيه من شىء اى من امر من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق من
المبطل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل ما اختلفتم فيه من تاويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله
ذلكم الله ربى عليه توكلت فى مجامع الامور واليه انيب ارجع فى المعضلات فاطر السموات والارض
خبر اخر لذلكم او مبتدا خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله
من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا اى وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق

من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو
الضمير على الاول للناس والانعام على تغليب المخاطبين العقلاء فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام
ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه
والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فاذا نفي عمن يناسبه
ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب
الطاهر لداته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه آكد لما ذكرناه وقيل مثله
صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنها
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته انه بكل شيء عليم فيفعله على ما ينبغي
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرائع عليهم الصلوة والسلام وهو الاصل
المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله
النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل
من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء يجتلب
اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا
يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم
العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول او اسباب العلم من
الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك
بالامهال الى اجل مسمى هو يوم القيمة او اخر اعمارهم المقدرة لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين
افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول
صلى الله عليه وسلم او المشركين الذين اورثوا القران من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا لفي شك منه
من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القران مريب مقلق او مدخل في الريبة فلذلك
فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع
لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل واستقم كما امرت واستقم
على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب يعني جميع الكتب
المنزلة لا كالكفار الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والحكومات
والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل

ومتولى

ومتولى امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكل مجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة
اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه
المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الاية ما يدل على متاركة الكفار راسا حتى يكون منسوخة
باية القتال والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا
فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب
بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم
ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل
او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس
او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها
فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى
جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها استهزاء والذين امنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب ويعلمون انها
الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت
ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن
الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءه
الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف من البر لا يبلغها الافهام يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء فيخص
كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي
لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك
قيل الدنيا مزرعة الاخرة والحرث في الاصل القاء البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه
فنعطه بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له
وما له في الاخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير
والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا بالتزيين لهم من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث
والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها
لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم ولولا كلمة الفصل اي القضاء
السابق بتاجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين
او المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا
كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الاخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب

الاخرة

الآخرة ترى الظالمين في القيامة مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم أي وباله لاحق بهم
أشفقوا أو لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في أطيب بقاعها وأنزهها
لهم ما يشاؤن عند ربهم أي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك إشارة إلى ما للمؤمنين هو الفضل
الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره قل لا أسألكم عليه على ما أتعاطاه من التبليغ
والبشارة أجرا نفعا منكم إلا المودة في القربى أن تودوني لقرابتي منكم أو تودوا قرابتي وقيل
الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجرا قط ولكن أسألكم المودة في القربى وفي القربى حال منها أي إلا المودة
ثابتة في ذوي القربى متمكنة في أهلها أو في حق القرابة ومن أجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض
في الله روي أنه لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم علينا قال علي وفاطمة
وابناهما وقيل القربى التقرب إلى الله أي إلا أن تودوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح
وقرئ إلا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول صلى الله عليه وسلم
وقيل نزلت في أبي بكر ومودته لهم نزد له فيها في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد أي يزد
الله تعالى وحسنى وهو مصدر كبشرى إن الله غفور لمن أذنب شكور لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه
بالزيادة أم يقولون بل أيقولون افترى على الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة أو القرآن فإن يشأ الله
يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله بالإشعار على أنه إنما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه
جاهلا بربه فأما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال إن يشأ الله خذلانك يختم على قلبك
لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عنه أو يربط عليه بالصبر فلا تشق عليك
أذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور استئناف لنفي الافتراء عما يقوله
بأنه لو كان مفتريا لمحقه إذ من عادته تعالى محو الباطل وإثبات الحق بوحيه أو بقضائه
أو بوعده بمحق باطلهم وإثبات حقه بالقرآن أو بقضائه الذي
لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الإنسان وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى إلى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى
الأخذ والإبانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب
الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقة
مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها
وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون فيجازي ويتجاوز عن إتقان وحكمة وقرأ حمزة والكسائي وحفص

ما تفعلون بالتاء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في وإذا كالوهم
والمراد إجابة الدعاء أو الإثابة على الطاعة فإنها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه السلام أفضل
الدعاء الحمد لله أو يستجيبون لله بالطاعة إذا دعاهم إليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا
واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض لتكبروا وأفسدوا فيها بطرا أو لبغى بعضهم على بعض
استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب وأصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية أو كيفية
ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ما اقتضته مشيئته إنه بعباده خبير بصير يعلم خفايا أمرهم
وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روي أن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا إذا
أخصبوا تحاربوا وإذا أجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص
بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا أيسوا منه وقرئ بكسر النون
وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده بإحسانه
ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن آياته خلق السموات والأرض فإنها بذاتها وصفاتها
تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات أو الخلق من دابة من حي على إطلاق
اسم المسبب على السبب أو مما يدب على الأرض وما يكون في أحد الشيئين يصدق أنه فيهما في الجملة وهو
على جمعهم إذا يشاء في أي وقت يشاء قدير متمكن منه وإذا كما يدخل الماضي يدخل المضارع وما أصابكم
من مصيبة فبما كسبت أيديكم فبسبب معاصيكم والفاء لأن ما شرطية أو متضمنة معناه ولم
يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب
عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم فلأسباب أخر منها تعريضه للأجر العظيم بالصبر
عليه وما أنتم بمعجزين في الأرض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولي
يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر كالأعلام كالجبال قالت
الخنساء وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار إن يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد
على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل من وكل همته وحبس
نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في الآية أو لكل مؤمن كامل فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف
شكر أو يوبقهن أو يهلكهن بإرسال الريح العاصفة المغرقة والمراد إهلاك أهلها لقوله بما كسبوا
وأصله أو يرسلها فيوبقهن لأنه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير
إذ المعنى أو يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف
ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم أو على الجزاء ونصب

نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانها ليست غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستيناف وقرئ
بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين ما لهم من
محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تمتعون
به مدة حيوتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة
الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رض تصدق ابو بكر رض بماله كله فلامه جمع فنزلت والذين
يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين بما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح
منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضمير هم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائي
كبير الاثم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك
من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير
والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم
بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة
الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار
بالمنع عن التعدي وجزاء سيئة سيئة مثلها وهي الثانية للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن عفى واصلح
بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدئين
بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم
من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار او يطلبون
ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن
صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم
السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله
اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل
اي الى رجعة الى الدنيا وتريهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل متذللين
متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم
ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون اذا رأوهم
على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من

اولياء

اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهداية او النجاة استجيبوا لربكم
من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله تعالى بعد ما حكم به ومن صلة مرد وقيل صلة يأتي اي من قبل
ان يأتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه
مدون في صحائف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا
او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس
لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر
البلية ويعظمها ولم يتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم
فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية
بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة
على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف
شاء يخلق ما يشاء من غير لزوم ومجال اعتراض يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم
ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد
مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم
آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق
به مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب
قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث
لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة
انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما
خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما
المشافه به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور
ولكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل
المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا
فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ اليه وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي
الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال
نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت احوالا وقرأ نافع او يرسل
برفع اللام انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط
اما عيانا واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب

يحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلنا اليك بالوحى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى قبل الوحى وهو دليل
على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ولكن جعلناه
اى الروح او الكتاب او الايمان نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك لتهدى
الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدى اى ليهديك الله صراط الله بدل من الاول الذى له ما فى
السموات وما فى الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد
ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن يصلى عليه الملائكة ويستغفرون
له ويسترحمون

سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسئل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن على انه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع
لتناسب المقسم والمقسم عليه كقول ابى تمام * وثناياك انها اغريض * ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد
بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه فى الديانة
او بين للعرب يدل على انه تعالى صنعه كذلك لعلكم تعقلون لكى تفهموا معانيه وانه عطف على انا
فى ام الكتاب فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب
بالكسر لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلى رفيع الشان فى الكتب السماوية لكونه معجزا من بينها حكيم
ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفى ام الكتاب متعلق بعلى واللام لا تمنعه او حال منه
ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده ونبعده عنكم مجاز من
قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة * اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس * والفاء
للعطف على محذوف اى انهملكم فنضرب عنكم الذكر صفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض
او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولى الشئ صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده
انه قرئ صفحا وح يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على
خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما مسرفين اى لان كنتم وهو فى الحقيقة علة مقتضية
لترك الاعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائى إن بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا
لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزءون تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اى من القوم المسرفين لانه
تعالى صرف الخطاب عنهم الى الرسول عليه السلام مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين وسلف فى القرآن قصتهم
العجيبة وفيه وعد للرسول عليه السلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة

عليهم وكانهم قالوا الله كما حكى عنهم فى مواضع اخر وهو الذى من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون
مقولهم وما بعده استئناف الذى جعل لكم الارض مهدا فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيين
مهادا بالالف وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكى تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة
الصانع بالنظر فى ذلك والذى نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا مال عنه
الماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون من قبوركم
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء وضم الراء والذى خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات
وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدى بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت
فى السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال لتستووا على ظهوره
اى ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين
بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه
واصله وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه السلام
انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى
سخر لنا هذا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة
العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغى للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا له من
عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا
الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد
الحق فى ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين لظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله
لانها من فرط الجهل به والتحقير لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين معنى الهمزة فى ام للانكار
والتعجيب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته اجزاء اخس مما اختير لهم
وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمهم به كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا
بالجنس الذى جعله له مثلا اذ الولد لا بد وان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود فى الغاية لما يعتريه
من الكآبة وهو كظيم مملو قلبه من الكرب وفى ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر فى
الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا او من ينشؤا
فى الحلية اى او جعلوا له او اتخذ من يتربى فى الزينة يعنى البنات وهو فى الخصام فى المجادلة غير مبين
مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الراى ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اى او من هذا
حاله ولده وفى الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ
اى يربى وقرئ ينشأ وينشأ بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين

هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم
رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان والبصري عند على تمثيل زلفاهم وقرئ أنثا وهو جمع
الجمع أشهدوا خلقهم أحضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل
وتهكم بهم وعن نافع أأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآأشهدوا بمدة بينهما برواية قالون
ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة ويسألون اي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ
سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان لله جزءا وان له بنات وهن الملائكة ويساءلون
من المساءلة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا
بنفي مشيته عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشية ترجيح بعض الممكنات
على بعض مأمورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا
يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى كأنه لما ابدى وجوه فسادها
وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم
سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه
فهم به مستمسكون بذلك الكتاب متمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم
مهتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم
وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة
صرفهم عن النظر الى التقليد قل أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اي اتتبعون آباءكم ولو
جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحي الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى
اقناط للنذير من ان ينظروا ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد
وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه انني براء مما
تعبدون بريء من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر
والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما يعم اولي العلم
وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها
غير الذي فطرني فانه سيهدين سيثبتني على الهداية او سيهديني الى ما وراء ما هداني اليه وجعلها كلمة
باقية وجعل ابراهيم عليه السلام او الله كلمة التوحيد باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله
ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون

قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون

يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء وآباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش
وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى
اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القرآن
ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم الحق لينبههم
عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به
فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين من احدى
القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة
منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل
والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية أهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه
تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهم
عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا امر النبوة التي هي
اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل
بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا نقص
في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك
هذه يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا
ان يكون الناس امة واحدة ولولا ان يرغبوا في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم
الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج
وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل
الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت
وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون
اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة وان كل
ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا
وان نافية وقرئ به مع ان وما والآخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم
هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان
وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الآخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها
كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه

في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي اذا كان في بصره آفة وعشي اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج
وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب
بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفعه وانهم ليصدونهم عن السبيل عن
الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له
ويحسبون انهم مهتدون الضمائر الثلثة الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي
وقرأ الحجازيان وابو عمرو وابو بكر جاءانا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي للشيطان يا ليت
بيني وبينك بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس القرين
انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم
انكم في العذاب مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه
ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب معا وتعاونهم
في تحمل اعبائه وتقسمهم مكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول افانت
تسمع الصم او تهدي العمي انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر
واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله يتعب نفسه في دعاء قومه
وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه
اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم
وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة فانا منهم منتقمون بعذاب في الدنيا والآخرة
او نرينك الذي وعدناهم او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب وقرأ يعقوب برواية رويس
او نرينك باسكان النون وكذا نذهبن فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذي اوحي
اليك من الآيات والشرائع وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم لا عوج له
وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف تسألون اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه واسأل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا اي سل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة
الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع
ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا موسى بآياتنا
الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام
الى التوحيد فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون فاجؤوا وقت ضحكهم منها اي استهزؤوا بها اول
ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى درجات

الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا
بعضهم افضل من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري او الا وهي
مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان
والجراد لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايه الساحر نادوه بذلك في تلك الحال لشدة
شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا ادع لنا ربك اي تدعو الله لنا فيكشف عنا العذاب
بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد
عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم
ينكثون فاجؤوا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم او فيما بينهم
بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل
ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني
والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك وتجري حال منها او واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري
خبرها افلا تبصرون ذلك ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير
لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما
منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى
افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون اني خير منه فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي اليه
مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بسوار وطوق من ذهب اساورة
جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهي جمع
سوار وقرئ اساور جمع اسورة والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة
مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف
قومه وطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين
فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان منقول من اسف
اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار
يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وقرأ حمزة والكسائي بضم السين
واللام جمع سليف كرغف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع
سلفة اي ثلة سلفت ومثلا للآخرين وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم
مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون

عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك
قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به
وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان
نحو يعكف ويعكف وقالوا ءالهتنا خير ام هو اي الهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فليكن الهتنا
معه او الهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت الهتنا اولى بذلك او الهتنا
خير ام محمد فنعبده وندع الهتنا وقرأ الكوفيون ءالهتنا بتحقيق الهمزتين والف بعدهما ويعقوب برواية روح
ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم
خصمون شداد الخصومة حراص على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل
امرا عجبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم
يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض يخلفون ملائكة يخلفونكم في الارض
والمعنى ان حال عيسى عليه السلام وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة
مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية
والانتساب الى الله سبحانه وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به
دنوها او لان احياءه الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا
وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فياتي
بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به وقيل الضمير للقران فان
فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا هداي او شرعي او رسولي
وقيل هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم امر ان يقوله هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل
سالكه ولا يصدنكم الشيطن عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم عن الجنة و
عرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينت بالمعجزات او بايات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم
بالحكمة بالانجيل او الشريعة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق
بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام انتم اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله واطيعون
فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد
بالشرائع هذا صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى او استيناف من الله يدل
على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او اليهود
والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة

هو يوم القيامة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون
الا اتيان الساعة بغتة فجاءة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء
الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا
للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة ابد الاباد يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بغير الياء
الذين امنوا باياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو اي الذين امنوا مخلصين غير ان هذه
العبارة اكد وابلغ ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره
اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف
بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له
وفيها وفي الجنة ما تشتهيه الانفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته
وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم زائل موجب
لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون
وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ
والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك والتي خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون
وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون بعضها تاكلون لكثرتها
ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القران وهو حقير بالاضافة الى سائر
نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم
المؤمنين بالايات وحكي عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم خالدون خبر ان او خالدون خبر والظرف
متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه
في العذاب مبلسون ايسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظلمين مر مثله غير مرة وهم فصل
ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا او مضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون
تادية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقض علينا ربك والمعنى سل ربك ان يقضي علينا من قضى عليه
اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص لكم
بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب
منه وكانه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب
النفس وادات الجوارح ام ابرموا امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون
امرا في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم للحق او ام احكم المشركون امرا

من لدنهم بالوصول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجويهم وتناجيهم بلى نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمة لهم يكتبون ذلك

قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبي يكون اعلم بالله وبما يصح له وبما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان هنا لا يشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له او الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد فانا اول الموحدين له من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم

سبحن رب السموت والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما اتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقدر لانه مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموت والارض وما بينهما كالهواء

وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها واليه ترجعون للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالياء على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملئكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم سألت العابدين او المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون من عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقديره وقيله يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم

وقل سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المامور بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وهي سبع او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتب المبين القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مبركة في ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية انا كنا منذرين استيناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة تستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مبركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل اي يفرقه الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امر او ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وان يكون المراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه بمعنى آمرين او مامورا به انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اي انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اي يفصل فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من شاننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموت والارض وما بينهما خبر آخر او استيناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او انكنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم ورب آبائكم الاولين وقرئا بالجر بدلا بل هم في شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تاتي السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة

الدخان من ضعف بصره اولان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار اولان العرب تسمى
الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك
يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود فى اشراط الساعة لما روى انه عليه السلام لما قال اول الايات
الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن فيصيبه كهيئة الزكام
واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخره واذنيه ودبره او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى
الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله تعالى هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون
مقدر بقول وقع حالا وانا مومنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم
وكيف يتذكرون بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها فى ايجاب الاذكار
من الايات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف وقال
اخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا
قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقى من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو
من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد اربعين فريثما يكشفه عنهم
يرتدون ومن فسره بما فى القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر
ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان يحجز عنه او بدل من يوم تاتى وقرى نبطش اى نجعل
البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرى بالتشديد
للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله او على المومنين او فى نفسه لشرف نسبه وفضل
حسبه ان ادوا الى عباد الله بان ادوا الى وارسلوهم معى او بان ادوا الى حق الله من الايمان وقبول الدعوة
يا عباد الله ويجوز ان تكون ان مخففة ومفسرة لان مجئ الرسول يكون برسالة ودعوة انى لكم رسول امين
غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لايتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله
ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولى فى وجهها انى اتيكم بسلطان مبين
علة النهى ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لا يخفى وانى عذت بربى وربكم
التجات اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذونى ضربا او شتما او ان تقتلونى وقرى عت بالادغام
وان لم تومنوا لى فاعتزلون فكونوا بمعزل منى لا على ولا لى ولا تتعرضوا لى بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم
الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعد ما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم
بذكر ما استوجبوه ولذلك سماه دعاء وقرى بالكسر على اضمار القول فاسر بعبادى ليلا اى فقال اسر

او فقال ان كان الامر كذلك فاسر وقرا نافع وابن كثير بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون
وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته
ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرى بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا
كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم
كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرى فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك واورثناها
عطف على الفعل المقدر او على تركوا قوما اخرين ليسوا منهم فى شئ وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا
الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت
عليهم السماء وكسفت بمهلكهم الشمس فى نقيض ذلك ومنه ما روى فى الاخبار ان المومن ليبكى عليه مصلاه
ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين
ممهلين الى وقت اخر ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم
من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه فى التعذيب او حال من المهين
بمعنى واقعا من جهته وقرى من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لينكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان
عاليا متكبرا من المسرفين فى العتو والشرارة وهو خبر ثان اى كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير فى
عاليا اى كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بنى اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك
او مع علم منا بانهم يزيغون فى بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمى زمانهم واتيناهم
من الايات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر ان
هؤلاء يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم فى الاصرار
على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة
الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل
لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هى الا موتتنا الاولى
اى ما الموتة التى من شانها ذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا باباءنا خطاب لمن وعدهم
بالنشور من الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين ان كنتم صادقين فى وعدكم ليدل عليه اهم خير فى القوة
والمنعة ام قوم تبع تبع الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مومنا
وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه السلام ما ادرى اكان تبع نبيا او غير نبى وقيل لملوك اليمن
التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استيناف
بمال قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استونف
به انهم كانوا قوما مجرمين بيان للجامع المقتضى للاهلاك وما خلقنا السموات والارض وما بينهما

قوله صفة على القراءتين كذا قيل لكن المصرح في اخر الملائكة حكم بعدم صحة بناء يوم اذا كان صدر المضاف اليه مضارعا اختيارا

وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها ما خلقناهما
الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة
نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه
ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اي ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل
يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل مولى من قرابة او
غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام
الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء انه
هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرت الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى
الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل
وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت يغلي في البطون وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على
ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليانا مثل غليه
خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرأ
الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم
كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف
العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم
اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك او عذاب
انك ان هذا اي ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين في مقام في
موضع اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم امين يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال في جنت وعيون بدل
من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب يلبسون من سندس
واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ
منه معرب او مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او اتيناهم
مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين
واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون
من الفواكه ولا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان امنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة
والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها او الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت
وكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقيهم عذاب الجحيم

وقرئ ووقيهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل
ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه
بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به فلما لم يتذكروا فارتقب
فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة
جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتب ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل
الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من
الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموت والارض
لايت للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم
وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان
بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار ايت لقوم يوقنون
محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلف الليل
والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها
يبسها وتصريف الريح باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح ايت لقوم
يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف على العاملين في والابتداء او ان الا ان يضمر في او ينصب ايات
على الاختصاص وترفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور
تلك ايت الله اي تلك الآيات دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به
او ملتبسة به فباي حديث بعد الله واياته يؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم
كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن كقوله تعالى نزل الله احسن الحديث واياته دلائله
المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وابو عمرو وحفص وروح يؤمنون بالياء ليوافق
ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع ايت الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره
مستكبرا عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها
كان لم يسمعها اي كأنه فخفف وحذف ضمير الشأن والجملة في موضع الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره
بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم واذا علم من اياتنا شيئا واذا بلغه شيء وعلم انه منها
اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزو والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع
كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشيء لانه بمعنى الآية اولئك
لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم

ولا يغنى عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله
اولياء اى الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القران ويدل عليه قوله والذين
كفروا بايت ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب
الله الذى سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه
لتجرى الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص فيه والصيد وغيرها
ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما فى السموت وما فى الارض جميعا بان خلقها نافعة لكم
منه حال من ما اى سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اى هى جميعا منه او لما فى السموت وسخر لكم
تكرير للتاكيد او لما فى الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازى
او خبر محذوف ان فى ذلك لايت لقوم يتفكرون فى صنائعه قل للذين امنوا يغفروا حذف المقول
لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون
وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التى وقتها الله لنصر المؤمنين
وثوابهم ووعدهم بها والاية نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه غفارى فهم ان يبطش به وقيل انها
منسوخة باية القتال ليجزى قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون
او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى بالنون وقرئ ليجزى قوما اى ليجزى الخير والشر او الجزاء اعنى ما يجزى
به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد اتينا بنى اسراءيل الكتب
التورية والحكم والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم
يكثر فى غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العلمين حيث اتيناهم
ما لم نوت غيرهم واتيناهم بينت من الامر ادلة فى امر الدين ويندرج فيه المعجزات وقيل ايات
من امر النبى صلى الله عليه وسلم مبينة لصدقه فما اختلفوا فى ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم
بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك
الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له
ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظلمين بعضهم اولياء بعض
اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولى المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة
هذا اى القران او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلال و

ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين امنوا
وعملوا الصلحت مثلهم وهو ثانى مفعولى نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول
لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حيوتهم ومماتهم سيان فى البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل
عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير فى الكاف او المفعولية
والكاف حال وان كان للثانى فحال منه او استيناف يبين المقتضى للانكار وان كان لهما فبدل او حال
من الثانى وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات فى الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا فى
الرزق والصحة فى الحيوة او استيناف مقرر لتساوى محيا كل صنف ومماته فى الهدى والضلال وقرئ ومماتهم
ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموت والارض
بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضى للعدل يستدعى انتصار المظلوم من
الظالم والتفاوت بين المسىء والمحسن فاذا لم يكن فى المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف
على بالحق لانه فى معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسميته ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان
ظلما كالابتلاء والاختبار افرايت من اتخذ الهه هويه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه
يعبده وقرئ الهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه واضله الله
وخذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالى بالمواعظ ولا يتفكر
فى الايات وجعل على بصره غشوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائى
غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هى ما الحيوة
او الحال الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها نموت ونحيى اى نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد ذلك
او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعض او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء
ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور
الزمان وهو فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعنى نسبة الحوادث
الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل
لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم اياتنا بينت واضحات
الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا
ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صدقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم
تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشىء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم

على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة
والحكمة اقتضت الجمع للمجازات على ما قرر مرارا والوعد المصدق بالايات دل على وقوعها واذا
كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن
اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السموت والارض
تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اى ويخسر يوم تقوم ويومئذ
بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهى الجماعة او باركة مستوفزة على الركب
وقرئ جاذية اى جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها
وقرأ يعقوب كل على انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول
هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم
بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون
اعمالكم فاما الذين امنوا وعملوا الصلحت فيدخلهم ربهم فى رحمته التى من جملتها الجنة ذلك هو
الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب واما الذين كفروا افلم تكن اياتى تتلى عليكم اى
فيقال لهم الم يأتكم رسلى فلم تكن اياتى تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود و
استغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين قوما عادتكم الاجرام واذا قيل
ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد
للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندرى ما الساعة اى شئ الساعة استغرابا لها ان
نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرف النفى والاستثناء لاثبات الظن ونفى ما عداه كانه قال ما
نحن الا نظن ظنا او لنفى ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اى لامكانه
ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من ابائهم وما تليت عليهم من الايات فى امر الساعة
وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وهو الجزاء وقيل اليوم ننسكم نترككم فى العذاب ترك ما ينسى
كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر
الى ظرفه وماوكم النار وما لكم من نصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا
استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون
منها وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى
يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموت ورب الارض اذ ظهر فيهما اثارها وهو العزيز الذى
لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم

الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية واىها اربع او خمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا
السموت والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة
على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازات على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهى
اليه الكل وهو يوم القيامة او كل واحد وهو اخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما انذروا من
هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله قل
ارءيتم ما تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموت اى اخبرونى
عن حال الهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها مدخل فى انفسها فى خلق شئ من اجزاء العالم فتستحق به العبادة
وتخصيص الشرك بالسموت احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة فى ايجاد الحوادث السفلية ائتونى بكتب
من قبل هذا قبل هذا الكتب يعنى القران فانه ناطق بالتوحيد او اثرة من علم او بقية من علم بقيت عليكم
من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم صدقين فى دعواكم وهو
الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اى
مناظرة فان المناظرة تثير المعانى واثرة اى شئ اوثرتم به واثرة بالحركات الثلث فى الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة
للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يوثر ومن اضل ممن
يدعوا من دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع
المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم
الى يوم القيمة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون
باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كفرين مكذبين
بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا
بينت واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفى شانه والمراد به الايات ووضعه موضع ضميرها
ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة لما جاءهم
حين ما جاءهم من غير نظر وتامل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم
اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لى من الله شيئا اى ان
عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شئ منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسى للعقاب من غير توقع
نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح فى اياته كفى به شهيدا
بينى وبينكم يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو
الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وامن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت

بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لا يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات
كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اى ذا بدع وما ادرى ما يفعل
بى ولا بكم فى الدارين على التفصيل اذ لا علم لى بالغيب ولا لتاكيد النفى المشتمل على ما يفعل بى وما اما
موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اى يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الى اى لا اتجاوزه وهو جواب
عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا
الا نذير عن عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل ارايتم ان كان من
عند الله اى القران وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز ان يكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو فى قوله تعالى
وشهد شاهد من بنى اسرائيل الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام
وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما فى التورية من نعت الرسول على مثله مثل القران وهو ما فى التورية
من المعانى المصدقة للقران المطابقة له او مثل ذلك وهو كونه من عند الله فامن اى بالقران لما راه من
جنس الوحى مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدى القوم الظلمين استيناف مشعر بان
كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا
للذين امنوا لاجلهم لو كان خيرا الايمان او ما اتى به محمد ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموالى
ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود
حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك
قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله اى من قبل القران وهو خبر لقوله كتب موسى
ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتب مصدق لكتاب موسى ولما بين يديه وقد قرئ به لسانا
عربيا حال من ضمير كتاب فى مصدق او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار
بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحى وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول
مصدق اى يصدق ذا لسان عربى باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله
او الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزى بخلاف عنه ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف
على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور
التى هى منتهى العمل وثم للدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق
مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحب الجنة خالدين فيها
جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن فى اصحاب وجزاء مصدر
لفعل دل عليه الكلام اى جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرا الكوفيون احسانا وقرئ
حسنا اى ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرا الحجازيان

وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة
حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى
به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلثون شهرا
كل ذلك بيان لما تكابده الام فى تربية الولد مبالغة فى التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل
ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقى ذلك
وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع
بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبى الا بعد اربعين
قال رب اوزعنى الهمنى واصله اولعنى من اوزعته بكذا وقرا البزى بفتح الياء ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى
يعنى نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روى انها نزلت فى ابى بكر لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه
من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضيه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضاء
الله عز وجل واصلح لى فى ذريتى واجعل لى الصلاح ساريا فى ذريتى راسخا فيهم ونحوه يجرح فى عراقيبها
نصلى انى تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك وانى من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين نتقبل
عنهم احسن ما عملوا يعنى طاعتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرا حمزة
والكسائى وحفص بالنون فيهما فى اصحب الجنة كائنين فى عدادهم او مثابين او معدودين فيهم
وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان نتقبل ونتجاوز وعد الذى كانوا يوعدون اى فى الدنيا
والذى قال لوالديه اف لكما مبتدا خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها فى عبد الرحمن بن
ابى بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفى اف قراآت ذكرت فى سورة بنى اسرائيل
اتعدانى ان اخرج ابعث وقرا هشام اتعدانى بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلى فلم يرجع
واحد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك او يسالانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك
امن اى يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا
اساطير الاولين اباطيلهم التى كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول
فى عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه فى امم قد خلت من قبلهم
كقوله تعالى فى اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خسرين تعليل للحكم على الاستيناف
ولكل من الفريقين درجت مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات
غالبة فى المثوبات وههنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرا نافع وابن عامر وحمزة
والكسائى وابن ذكوان بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها
وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اى يقال لهم اذهبتم

وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرآن
بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم في حياتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء
فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم
تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله تعالى وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد
يعني هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف
الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل
من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض ان لا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا
او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم
قالوا اجئتنا لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك ان كنت
من الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به
وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ
ولكني اراكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين فلما
رأوه عارضا سحابا عرض في افق من السماء مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية
وكذا في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي يأتينا بالمطر بل هو اي قال هود بل هو ما استعجلتم به من
العذاب وقرئ قل بل ريح هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله
تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته
وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك
فيكون العائد محذوفا او الهاء في ربها ويحتمل ان يكون استينافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقضيا
لا يتقدم ولا يتأخر وتكون الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح
فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائي لا يرى الا مساكنهم
بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين
في الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت
عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما ههنا
لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد
مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه وتعرض
دون اداه الخطوب والاول اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا
وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها

فما

فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو القليل اذ كانوا يجحدون بآيات الله
صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق
بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى
قوم لوط وصرفنا الآيات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون
الله قربانا آلهة فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله واول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل او عطف بيان
او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم
وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره صرفهم
عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اي جعلهم آفكين وآفكهم اي قولهم الافك اي
ذو الافك وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه
انفار يستمعون القرآن حال محمولة على المعنى فلما حضروه اي القرآن او الرسول قالوا انصتوا قال
بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير
الرسول ولوا الى قومهم منذرين اي منذرين اياهم بما سمعوا روي انهم وافوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين
يديه يهدي الى الحق من العقائد والى طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا
به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان
ويجركم من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة رضه باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب
لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني آدم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي
منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من
هذا شانه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى
ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الآباد بقادر على ان يحيي الموتى اي قادر ويدل عليه
قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله
بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق
المبدأ اراد ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله أليس
هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا
ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد

منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحٰب الشرائع اجتهدوا في تاسيسها
وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى
وقيل الصابرون على بلاء الله تعالى كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار
وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على
الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة
وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم في وقته لا محالة
كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا
حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول
ويؤيده انه قرئ بلّغ وقيل مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا
بلغوه وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفسقون
الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب
القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال وهي مدنية وقيل مكية وايها تسع او ثمان وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا
عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه وهم المطعمون يوم بدر او شياطين قريش
او المصرون من اهل الكتب او عام في جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم
وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضائعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن
او ضلالا حيث لم يقصد وابه وجه الله تعالى او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله
واظهار دينه على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصلحت يعم المهاجرين والانصار والذين امنوا من اهل
الكتب وغيرهم وامنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان
الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة الحصر
وحقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر
عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتاييد
ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره بان الذين كفروا اتبعوا
الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهو تصريح
بما اشعر به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم
احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار

والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمومنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة
فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول
ضما الى التاكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير
له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق
فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا او
تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر
الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند ابي حنيفة رح او مخصوص
بحرب بدر فانهم قالوا بتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها و
اثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها
والمعنى حتى يضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او للشد او للمن والفداء او للمجموع
بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى
عليه السلام ذلك اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم بالاستيصال
ولكن ليبلوا بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المومنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا
الثواب العظيم والكافرين بالمومنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن
الكفر والذين قاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل
اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت
هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما
استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم
من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يايها الذين امنوا ان تنصروا الله
ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة
مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها
من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه واضل
اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القران لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه
واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقران للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره
اشعارا بانه يلزم الكفر به ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم دمر الله عليهم استاصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكفرين
من وضع الظاهر موضع المضمر امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل

عليها والسنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين
لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله موليهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك
ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون
ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل
ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على
المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم
وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية
كالنبي والمؤمنين كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه
فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره
كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد في النار او امثل الجنة كمثل
جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصوير المكابرة
من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر
محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين له وما بينهما
اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة فيها انهار من ماء غير آسن
استيناف لشرح المثل وحال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه
وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا
وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار
تأنيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من
عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة
بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها او ينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها
ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف
او مبتدأ خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع
امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا
يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم
اي لعلماء الصحابة ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا اليه اذهانهم
تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف
بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم

واتبعوا

واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزؤا بها وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى اي زادهم الله بالتوفيق
والالهام او قول الرسول صلى الله عليه وسلم وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم
جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله
فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم والمعنى
ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم
اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اذا
علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس
باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم
والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم
وانها جنس آخر فان الذنب ماله تبعة ما بترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد
من قطعها ومثواكم في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم ويقول الذين
آمنوا لولا نزلت سورة هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها
وذكر فيها القتال اي الامر به رأيت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون
اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل لهم افعل من الولي وهو القرب او فعلى
من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤل اليه امرهم طاعة وقول معروف استيناف اي امرهم
طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر اي جد وهو
لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله اي فيما زعموا من الحرص
على الجهاد او الايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم وقرأ نافع بكسر السين
ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا في الارض وتقطعوا
ارحامكم تناحرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور والمقاتلة مع
الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم
ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا في الارض
وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة
الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله
لافسادهم وقطعهم الارحام فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون
القرآن يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي ام على قلوب اقفالها لا يصل
اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض

منهم او للاشعار بانها لابهام امرها فى القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها
للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان
الذين ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة
والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم
على الشهوات من السول وهو التمنى وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك
التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اى كيد الشيطان سول لهم
واملى لهم اى ومد لهم فى الآمال والامانى او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب واملى
لهم اى وانا املى لهم فيكون الواو للحال او للاستيناف وقرأ ابو عمرو واملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير
الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اى قال اليهود للذين كفروا بالنبى بعد
ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم فى بعض الامر فى بعض
اموركم او فى بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة فى الخروج معهم ان اخرجوا والتضافر
على الرسول صلى الله عليه وسلم والله يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذى افشاه الله عليهم وقرأ حمزة
والكسائى وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ
توفاهم وهو يحتمل الماضى والمضارع المحذوف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم
بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك اشارة الى التوفى الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله
من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان
والجهاد وغيره من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله
ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم
باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم التى نسمهم بها واللام لام الجواب كررت فى المعطوف ولتعرفنهم
فى لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل
للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال
بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
على مشاقها ونبلوا اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم
المؤمنين فى صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلثة بالياء لتوافق ما قبلها وعن يعقوب و
نبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول
من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم
وصدهم او لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته

وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكائدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم
ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم
بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات
بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام فى كل
من مات على كفره وان صح نزوله فى اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره
سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه
باضمار ان وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر السين وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم
ولن يتركم اعمالكم ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم
فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات
لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم جميع
اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر والعشر ان يسألكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب
الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استاصله تبخلوا فلا تعطوا
ويخرج اضغانكم ويضغنكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير فى يخرج لله تعالى ويؤيده
القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء اى انتم يا
مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا فى سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء
على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل
على الآية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضرر البخل عائدان اليه والبخل
يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق والله الغنى وانتم الفقراء
فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على
وان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقم مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم فى التولى والزهد
فى الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه السلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا
وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم
كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية نزلت فى مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضى لتحققه او بما اتفق له فى تلك السنة كفتح خيبر
وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح
وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل

في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية آية عظيمة وهي انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت
بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول
عليه السلام في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اي قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك
الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس
الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدي الظلمة ما تقدم من ذنبك وما
تاخر جميع ما فرط منك مما يصح ان يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة
ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه
عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة هو الذي انزل السكينة الثبات والطمانينة في قلوب
المؤمنين حتى تثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم
برسوخ العقيدة واطمينان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر ولله جنود السموات والارض يدبر امرها
فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما
فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها علة لما بعده
لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين
ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلهم الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا
او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها
ولا يظهرها وكان ذلك اي الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع
او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على
يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء
وهو ان لا ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه و
يتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان
المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر
وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الاخرة على ما استوجبوه في الدنيا
والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل
في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا
حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتوقروه

بتقوية

بتقوية دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا
غدوة وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين
وتعزروه بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بالزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد له على
سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى
بما عاهد عليه الله وفى في مبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه بضم الهاء
وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والاية نزلت في بيعة الرضوان سيقول لك
المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من
مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ بالتشديد
للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار
والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم
من قتل او هزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم
نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه
بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم ان المشركين يستاصلونهم واهلون
جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين
ذلك في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء
الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما تظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة
وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا
اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله
ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله
ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله
غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث
الالهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني
مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل
المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا نتبعكم يريدون
ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر

وقيل قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكلم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة
والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل
تهيؤهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا
لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول
رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات
لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا
بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي باس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة
او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل
على امامة ابي بكر رض اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك
كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فان
تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل
عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج
ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن
يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق
رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع
من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع
فبعث عثمان بن عفان رض فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا
وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة
او سدرة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمأنينة وسكون النفس
بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة
يأخذونها يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم
كثيرة تأخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف
ايدي الناس عنكم ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي قريش بالصلح ولتكون
هذه الكفة او الغنيمة آية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول عليه السلام
في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على

محذوف

محذوف هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتأخذوا والعلة لمجموع وفي مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما
هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله
بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة
قد احاط الله بها استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته
ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا
ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه
سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي
كف ايديهم عنكم ايدي كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم
اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به
على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله
وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ ابو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي
معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ الهدي وهو
فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز
ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي
المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين
ان تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا وطأ على حنق وطأ المقيد نابت الهرم وقال عليه السلام
ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بطائف وكان آخر وقعة النبي صلى الله عليه وسلم بها واصله الدوس
وهو بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضمير هم في تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه
كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم
مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اي تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا
محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين
بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي من
اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير
او الاسلام من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا
الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوا
في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على

رسوله وعلى المؤمنين انزل عليهم الوقار والثبات وذلك ما روى انه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو
وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان تخلي له قريش مكة من القابل ثلثة ايام
فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا
اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك
عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون
فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة
التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اختارها لهم او الثبات
والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرها واهلها
والمستاهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا رأى
محمد صلى الله عليه وسلم انه واصحابه دخلوا مكة امنين وقد حلقوا وقصروا وافقص الرؤيا على اصحابه
ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا البيت
فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما راه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل
ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت
على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد
الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية تعليما للعباد واشعارا
بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبي لاصحابه امنين حال من الواو والشرط
معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا اخرون لا تخافون حال مؤكدة
او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تاخير ذلك فجعل من دون ذلك من
دون دخولكم المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان
يتيسر الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين
الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا
او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تاكيد لما وعده من الفتح
وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود
به ويجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ والذين معه معطوف
عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم
يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم لقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
تراهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا

الثواب والرضاء سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى
من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة
الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها
ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستانف او تفسير او
مبتدأ وكزرع خبره اخرج شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية
ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة
الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة
وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره كأجر في آجر فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى
على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته
وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى
امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصلحت منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك
ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

يايها الذين امنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك
لان المقصود نفي التقدم راسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب
لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين
ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله في التقديم
او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم يايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي اي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب
ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول
وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الايقاظ والدلالة على استقلال المنادى له
وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن
الفعل المعلل باعتبار التادية لان في الجهر والرفع استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك
اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان في اذنه وقر وكان

جهورياً فلما نزلت تخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت
اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملى قد حبط فقال عليه الصلوة والسلام
لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان
الذين يغضّون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهى
وقيل كان ابوبكر وعمر بعد ذلك يسرّانه حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جرّبها
للتقوى ومرّنها عليها او عرّفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف
او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر
الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميّز ابريزه من خبثه لهم مغفرة
لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استيناف
لبيان ما هو جزاء الغاضّين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة
المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة فى الاعتداد
بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء
وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد ان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات
بفتح الجيم وسكونها وثلثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل
حجرة وهى فعلة بمعنى المفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبى صلى الله عليه وسلم وفيها كناية
عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم
تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذى ناداه عيينة بن حصين
والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت
الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به
او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضى حسن الادب ومراعاة الحشمة
سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اى ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى
تخرج فان ان وان دلت بما فى حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل
وحتى تفيد ان الصبر ينبغى ان يكون مغيّا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشئ فى نفسه ولذلك تقول اكلت
السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغى
ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه
من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روى انهم وفدوا

شافعين فى اسارى بنى العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على
النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روى انه عليه السلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه
وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد
ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم بعده خالد بن الوليد فوجدهم منادين
بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبين
على فسق المخبر يقتضى جواز قبول قول العدل من حيث ان المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه
وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما
بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا اى فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا
كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين مغتمين غما
لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلثة دائر مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله
ان بما فى حيزه ساد مسد مفعولى اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم فى كثير من الامر
لعنتم فانه حال من احد ضميرى فيكم ولو جعل استينافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله
على حال يجب تغييرها وهى انكم تريدون ان يتبع رايكم فى الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اى لوقعتم
فى الجهد من العنت وهو الجهد والهلاك وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببنى المصطلق وقوله ولكن الله حبب
اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان
عذرهم وهو انهم من فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة
من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون
اى اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوى وكره معدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا
شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول آخر والكفر تغطية
نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا من الله
ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان
مسببا من فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام والله عليم
باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى
حكم الله تعالى فان بغت احديهما على الاخرى تعدت عليها فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى امر الله ترجع
الى حكمه وما امر به وانما اطلق الفئ على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار

الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله تعالى وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا فى كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه السلام بالسعف والنعال وهى تدل على ان الباغى مومن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء فى الحديث لانه فيء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة انما المومنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المامورين للمبالغة فى التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ اخوتكم واخوانكم واتقوا الله فى مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم

يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اى لا يسخر بعض المومنين والمومنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع فى الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب فى المجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهى ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهى على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم ولا يعب بعضكم بعضا فان المومنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدع بعضكم بعضا باللقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اى بئس الذكر المرتفع للمومنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المومنين خصوصا اذ روى ان الآية نزلت فى صفية بنت حيى اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابى هارون وعمى موسى وزوجى محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهى عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب

يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا على جانب منه وابهام الكثير ليحتاط فى كل ظن ويتأمل حتى يعلم من اى القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمومنين وما يباح كالظن فى الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستانف

للامر والاثم الذنب يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو لانه يثم الاعمال اى يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذى هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل عنه عليه الصلوة والسلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة فى التواب لانه بليغ فى قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما مالى ارى خضرة اللحم فى افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت

يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من ادم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالاباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مومن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم

قالت الاعراب امنا نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تومنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به

لو كان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهى عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اى ولكن قولوا اسلمنا ولم يواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم شيئا لا ينقصكم من اجورها من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لا يألتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله فى طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا فى ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم امنا والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شىء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى انه لما نزلت الاية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهى النعمة التى لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا على اسلامكم اى باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اى فلله المنة عليكم وفى سياق الاية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما فى الاية من الغيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهى خمس واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقران المجيد الكلام فيه كما مر فى ص والقران ذى الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله تعالى محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة

والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل فى الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا اى انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اى بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تاكل من اجساد موتاهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعنى النبوة الثابتة بالمعجزات او النبى او القران لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم فى امر مريج مضطرب من مرج الخاتم فى اصبعه اذا جرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى اثار قدرة الله فى خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسى جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات اشجارا او ثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذى من شانه ان يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بلدة ميتا ارضا جدبة لا ماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط سماهم اخوانه لانهم كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع سبق فى الحجر والدخان كل كذب الرسل اى كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليه وعيدى وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عى بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم فى لبس من خلق جديد اى هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد

ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت
الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوّت بكذا او للانسان ان جعلت
مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من
حبل الوريد تجوّز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال والموت ادنى
لي من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها
متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان مقدر
باذكر ومتعلق باقرب اى هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اى يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه
ايذان بانه غني عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة
اقتضته وهي ما فيه من تشديد يثبط العبد من المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء
والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد اى عن اليمين قعيد وعن الشمال
قعيد اى مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقوله فاني وقيار بها لغريب وقيل
يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به
من فيه الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد معدّ حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب
او عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا
فاذا عمل سيئة قال لصاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت
سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم
ملاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة
الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة
الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق
له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها الشدة التي اقتضت الزهوق او لاستعقابها
له كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ
سكرات الموت ذلك اى الموت ما كنت منه تحيد تميل وتفر عنه والخطاب للانسان ونفخ في الصور
يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اى وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى
مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله او ملك
جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه
والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة لقد
كنت في غفلة من هذا على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن

الاخرة

الآخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات
والالف بها وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقيل
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي
وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر
التاء والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو
مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكي عتيد لجهنم هيأته
لها باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر
بعد خبر او خبر محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار
او لواحد وتثنية الفاعل منزلة منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر
وان تدعاني احم عرضا ممنعا او الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه
قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة
وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد متعد مريب شاك
في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه في العذاب
الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد قال قرينه اى الشيطان المقيض له وانما استونفت كما يستانف
الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغاني
فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما
في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد فاعنته عليه فان
اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراي مائلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا
ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اى الله لا تختصموا لدي اى في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف
مثل الاول وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال
فيه تعليل للنهي اى لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم
ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدي اى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا
ان ابدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على
تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلأت و
تقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة
والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملأن او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ
او انها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرأ نافع

وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون
ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وأزلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا
غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيئا غير بعيد او على زنة المصدر او لان
الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرأ
ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشي الرحمن
بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه
لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها على تأويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب
حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او العقاب
بعد غيب او هو غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه
او بانهم خشوا خشيته مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام
سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود
كقوله ادخلوها خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد
وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت
فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه
هل من محيص اي لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم في بلاد
القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ
فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف
مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب اي قلب واع يتفكر في حقائقه
او القى السمع اي اصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ
بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر كلا قلب
ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب من تعب
واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم
السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق
العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه
عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل
طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه

بعض

بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع دبر وقرأ الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر من ادبرت الصلوة
اذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل طلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل
العشاءان والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع لما اخبرك به
من احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادي المناد اسرافيل او جبريل فيقول ايتها العظام البالية
والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء من
مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب
بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة
والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد انا
نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء في الآخرة يوم تشقق تتشقق وقرئ تشق وقرأ
عاصم وحمزة والكسائي وخلف وابو عمرو بالتخفيف الارض عنهم سراعا مسرعين
ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم
القادر لذاته الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار
بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت و
سكراته

سورة والذاريات مكية وآيها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب او غيره او النساء الولود فانهن يذرين الاولاد او الاسباب
التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات
وقرا فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا
على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية في مهابها
او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة
التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح تقسم
الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها
من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو
حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين
لواقع جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره
على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات

ای الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التی هی مسیر الکواکب او المعقولة التی یسلکها النظار ویتوصل
بها الی المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزینها کما تزین الموشی طرائق الوشی جمع حبیکة کطریقة وطرق
او حباک کمثال ومثل وقری الحبک بالسکون کالقفل والحبک کالابل والحبک کالسلک والحبک کالجبل
والحبک کالنعم والحبک کالبرق انکم لفی قول مختلف فی الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه
ساحر وتارة انه مجنون او فی القران او القیمة او امر الدیانة ولعل النکتة فی هذا القسم تشبیه اقوالهم فی
اختلافها وتنافی اغراضها بطرائق السموات فی تباعدها واختلاف غایاتها یوفک عنه من افک یصرف
عنه والضمیر للرسول صلی الله علیه وسلم او القران او الایمان من صرف اذ لا صرف اشد منه وکانه لا صرف
بالنسبة الیه او یصرف من صرف فی علم الله وقضائه ویجوز ان یکون الضمیر للقول علی معنی یصدر افک
من افک عن القول المختلف وبسببه کقوله ینهون عن اکل وعن شرب ای یصدر تناهیهم عنهما وبسببهما
وقری افک بالفتح ای من افک الناس وهم قریش کانوا یصدون الناس عن الایمان قتل الخراصون الکذابون
من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجری مجری اللعن الذین هم فی غمرة فی جهل
یغمرهم ساهون غافلون عما امروا به یسالون ایان یوم الدین ای فیقولون متی یوم الجزاء ای وقوعه
وقری ایان بالکسر یوم هم علی النار یفتنون یحرقون جواب للسؤال ای یقع یوم هم علی النار یفتنون او
هو یوم هم علی النار یفتنون وفتح یوم لاضافته الی غیر متمکن ویدل علیه انه قری بالرفع ذوقوا فتنتکم
ای مقولا لهم هذا القول هذا الذی کنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذی کنتم به تستعجلون
ویجوز ان یکون هذا بدلا من فتنتکم والذی صفته ان المتقین فی جنت وعیون اخذین
ما اتهم ربهم قابلین لما اعطاهم راضین به ومعناه ان کل ما اتاهم حسن مرضی متلقی
بالقبول انهم کانوا قبل ذلک محسنین قد احسنوا اعمالهم وهو تعلیل لاستحقاقهم ذلک کانوا قلیلا
من الیل ما یهجعون تفسیر لاحسانهم وما مزیدة ای یهجعون فی طائفة من اللیل او یهجعون هجوعا
قلیلا او مصدریة او موصولة ای فی قلیل من اللیل هجوعهم او ما یهجعون فیه ولا یجوز ان یکون نافیة
لان ما بعدها لا یعمل فیما قبلها وفیه مبالغات لتقلیل نومهم واستراحتهم ذکر القلیل واللیل الذی هو
وقت السبات والهجوع الذی هو الغرار من النوم وزیادة ما وبالاسحار هم یستغفرون ای انهم مع قلة
هجوعهم وکثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا فی الاستغفار کانهم اسلفوا فی لیلهم الجرائم وفی بناء الفعل
علی الضمیر اشعار بانهم احقاء بذلک لوفور علمهم بالله وخشیتهم منه وفی اموالهم حق نصیب یستوجبونه
علی انفسهم تقربا الی الله واشفاقا علی الناس للسائل والمحروم للمستجدی والمتعفف الذی یظن غنیا
فیحرم الصدقة وفی الارض ایت للموقنین ای فیها دلائل من انواع المعادن والحیوان او وجوه دلالات
من الدحو والسکون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها فی الکیفیات والخواص والمنافع

تدل علی وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفی انفسکم ای وفی انفسکم ایات اذ ما فی العالم شیء الا
وفی الانسان له نظیر یدل دلالته مع ما انفرد به من الهیئات النافعة والمناظر البهیة والترکیبات العجیبة
والتمکن من الافعال الغریبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الکمالات المتنوعة افلا تبصرون
تنظرون نظر من یعتبر وفی السماء رزقکم اسباب رزقکم او تقدیره وقیل المراد بالسماء السحاب وبالرزق
المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها
مکتوبة مقدرة فی السماء وقیل انه مستانف خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلی هذا فالضمیر لما
وعلی الاول یحتمل ان یکون له ولما ذکر من امر الایات والرزق والوعد مثل ما انکم تنطقون
ای مثل نطقکم کما انه لا شک لکم فی انکم تنطقون ینبغی ان لا تشکوا فی تحقق ذلک ونصبه علی الحال
من المستکن فی لحق او الوصف لمصدر محذوف ای انه لحق حقا مثل نطقکم وقیل انه مبنی علی الفتح لاضافته الی
غیر متمکن وهو ما ان کانت بمعنی شیء وان بما فی حیزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع علی انه صفة لحق ویؤیده
قراءة حمزة والکسائی وابی بکر بالرفع هل اتک حدیث ضیف ابرهیم فیه تفخیم لشان الحدیث وتنبیه
علی انه اوحی الیه والضیف فی الاصل مصدر ولذلک یطلق للواحد والمتعدد قیل کانوا اثنی عشر ملکا
وقیل ثلثة جبریل ومیکائیل واسرافیل وسماهم ضیفا لانهم کانوا فی صورة الضیف المکرمین ای
مکرمین عند الله وعند ابرهیم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا علیه ظرف للحدیث او الضیف
او المکرمین فقالوا سلما ای نسلم علیکم سلاما قال سلم ای علیکم سلام عدل به الی الرفع بالابتداء
لقصد الثبات حتی یکون تحیته احسن من تحیتهم وقرئا مرفوعین وقرا حمزة والکسائی قال سلم وقری
منصوبا والمعنی واحد قوم منکرون ای انتم قوم منکرون وانما انکرهم لانه ظن انهم بنو ادم
ولم یعرفهم او لان السلام لم یکن تحیتهم فانه علم الاسلام وهو کالتعرف عنهم فراغ الی اهله
فذهب الیهم فی خفیة من ضیفه فان من ادب المضیف ان یبادر بالقری حذرا من ان یکفه
الضیف او یصیر منتظرا فجاء بعجل سمین لانه کان عامة ماله البقر فقربه الیهم بان وضعه
بین ایدیهم قال الا تاکلون ای منه وهو مشعر بکونه حنیذا والهمزة فیه للعرض والحث علی الاکل
علی طریقة الادب ان قاله اول ما وضعه وللانکار ان قاله حیث ما رای اعراضهم فاوجس منهم
خیفة فاضمر منهم خوفا لما رای اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاءوه لشر وقیل وقع فی نفسه انهم
ملائکة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله وقیل مسح جبریل العجل بجناحه فقام یدرج حتی لحق
بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحاق علیم یکمل علمه اذا بلغ فاقبلت امراته
سارة الی بیتها وکانت فی زاویة تنظر الیهم فی صرة فی صیحة من الصریر ومحله النصب علی الحال
او المفعول ان اول فاقبلت باخذت فصکت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب

وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم اى انا عجوز عاقر فكيف
الد قالوا كذلك مثل ذلك الذى بشرنا به قال ربك وانما نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم
فيكون قوله حقا وفعله محكما **قال فما خطبكم ايها المرسلون** لما علم انهم ملائكة وانهم
لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط
لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة من اسمت الماشية
او معلمة من السومة وهى العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد فى الفجور فاخرجنا من
كان فيها فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين ممن
آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على
اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضى الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه
وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة وتركنا
فيها آية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهى تلك الاحجار او صخر منضود
فيها او ماء اسود منتن وفى موسى عطف على وفى الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا فى موسى
كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا
فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده
وهو اسم لما يركن اليه الشئ ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر اى هو ساحر او مجنون
كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد فى انه حصل ذلك باختياره وسعيه
او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فاغرقناهم فى البحر وهو مليم آت بما يلام عليه
من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير فى فاخذناه وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها
عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهى الدبور او الجنوب او النكباء
ما تذر من شئ اتت عليه مرت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفى ثمود
اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا
عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اى العذاب بعد الثلث وقرأ الكسائى الصعقة وهى المرة من
الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا
فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين
منه وقوم نوح اى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على
محل فى عاد ويؤيده قراءة ابى عمرو وحمزة والكسائى بالجر من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم
كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا

لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين
الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها فنعم الماهدون اى نحن ومن كل شئ
من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات
وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة
الطاعة انى لكم منه اى من عذابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله
بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه انى لكم
منه نذير مبين تكرير للتوكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثانى على الاشراك كذلك
اى الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا
وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه
باتى او ما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا به اى كان الاولين والآخرين منهم
اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصى جامعهم
لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض
عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما
بذلت جهدك فى البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله
ايمانه او من آمن فانها تزداده بصيرة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة
الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه
لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لامرهم بالعبادة او ليكونوا
عبادا لى ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اى ما اريد ان اصرفهم فى تحصيل رزقى
فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين به والمراد ان يبين ان شانه مع عباده ليس شان
السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون
بمعنى قوله قل لا اسالكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه
ايماء باستغنائه عنه وقرئ انى انا الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة
للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا اى للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب
نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من
مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملو فلا يستعجلون جواب لقولهم
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون من يوم
القيمة او يوم بدر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات

قوله البسا من المتعارف فعلى هذا لا يكون ارادة القران من كتاب مسطور باعتبار كتابته
فى الاوراق المتعارفة بل بالكتابة فى قلب الملك او الرسول صلى الله عليه وسلم او موضع
اخر من السماء ١٢ ج

بعد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا **سورة الطور مكية وآيها ثمان او تسع واربعون**

بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله
تعالى والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب
مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القران او ما كتبه الله تعالى فى اللوح المحفوظ
او الواح موسى او فى قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة فى رق منشور الرق الجلد
الذى يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم او الاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما
بين الناس والبيت المعمور يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو فى السماء الرابعة
وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المومن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع
يعنى السماء والبحر المسجور اى المملو وهو المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت روى ان الله
تعالى يجعل يوم القيمة البحار نارا يسجر بها جهنم او المختلط من السجر وهو الخليط ان عذاب ربك
لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل
على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء
مورا تضطرب والمور تردد فى المجئ والذهاب وقيل تحرك فى تموج ويوم ظرف وتسير الجبال
سيرا اى تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اى اذا وقع ذلك فويل لهم
الذين هم فى خوض يلعبون اى فى الخوض فى الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون
اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار
وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول
مقدر محكيه هذه النار التى كنتم بها تكذبون اى فيقال لهم ذلك افسحر هذا اى كنتم تقولون
للوحى هذا سحر افهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم
لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت
ابصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا
تصبروا اى ادخلوها على اى وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم
اى الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب
الوقوع كان الصبر وعدمه سيين فى عدم النفع ان المتقين فى جنات ونعيم فى اية جنات واى
نعيم او فى جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما اتاهم ربهم وقرئ فكهين
وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على اتاهم ان جعل
ما مصدرية او فى جنات او حال باضمار قد من المستكن فى الظرف او الحال او من فاعل اتى او مفعوله

او منهما كلوا واشربوا هنيئا اى اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه
بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون
اى جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما فى التزويج من معنى
الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما فى التزويج من معنى الالصاق والقرن
ولذلك عطف والذين امنوا على حور اى قرناهم بازواج حور ورفقاء مومنين وقيل انه مبتدأ خبره
الحقنا بهم وقوله تعالى واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم
بالجمع وضم التاء للمبالغة فى كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو
واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما
وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفى للالحاق المتابعة فى اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم فى دخول الجنة
او الدرجة لما روى مرفوعا انه عليه السلام قال ان الله تعالى يرفع ذرية المومن فى درجته وان كانوا دونه
لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم
من عملهم من شئ بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الاباء او باعطاء الابناء بعض
مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من التنالت
وعنه لتناهم من لات يليت والتناهم من التى يولت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد
كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله تعالى فان عمل صالحا فكها والا اهلكها
وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اى وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعم
يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كاسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير
فى قوله تعالى لا لغو فيها ولا تاثيم اى لا يتكلمون بلغو الحديث فى اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم
به فاعله كما هو عادة الشاربين فى الدنيا وذلك مثل قوله تعالى لا فيها غول وقرأهما ابن كثير
والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اى بالكاس غلمان لهم اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم
اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه
عليه السلام والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل فى
اهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا
بالرحمة او التوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا
بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك فى الدنيا ندعوه نعبده او نسأله الوقاية انه
هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائى انه بالفتح الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير

ولا

ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر
نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه
قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تأمرهم احلامهم عقولهم
بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون
ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم
طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون
فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القران ان كانوا صادقين في زعمهم
اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون ردا للتقول فان
سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك
لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا
انفسهم ولذلك عقبه بقوله تعالى ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الايات منقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذ سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله
اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من
شاؤا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته ام هم المصيطرون الغالبون على الاشياء
يدبرونها كيف شاؤا وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين
الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين
فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان
مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا
رأيه لا يعد من العقلاء فضلا ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسألهم اجرا
على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك
ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا
وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص
فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون
هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد
من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم
او شركة ما يشركونه به وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم
سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء

فذرهم

فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون
على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء في رد العذاب
ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك
اي دون عذاب الاخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن
اكثرهم لا يعلمون ذلك واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا في حفظنا
بحيث نراك ونكلأك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين
تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلوة ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس
وابعد عن الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر
الليل وقرئ بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه عليه السلام من قرأ سورة والطور كان حقا
على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وآيها احدى او اثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه
اذا هوى اذا غرب او انتثر يوم القيمة او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب
وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القران اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض او اذا نمى
وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد صلى الله عليه وسلم عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش
وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقران
عن الهوى ان هو ما القران او الذي ينطق به الا وحي يوحى اي الا وحي يوحيه الله تعالى اليه واحتج
به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه
وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل
عليه السلام فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها
وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورأيه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية
التي خلقه الله تعالى عليها قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة
في السماء ومرة في الارض وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق السماء
والضمير لجبريل ثم دنى من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول
صلى الله عليه وسلم وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنى من الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون اشعارا
بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقرير لشدة قوته فان التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة
ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدوالي للثمر المعلق فكان جبريل كقولك هو مني معقد
الازار او المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود

تمثيل لملكة الاتصال وتحقيق لاستماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل الى عبده عبد الله
واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله تعالى ما ترك على ظهرها ما اوحى جبريل وفيه تفخيم للموحى به
او الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله تعالى هو الرزاق ذو القوة
المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس ما كذب الفؤاد ما راى
ما راى ببصره من صورة جبريل او الله سبحانه اي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية
تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا
لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره او ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل
عليه انه عليه السلام سئل هل رايت ربك فقال رايته بفؤادي وقرأ هشام ما كذّب اي صدّقه ولم
يشك فيه افتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة فان
كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ الكوفيون غير عاصم ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه في المراء
من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري
والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد رآه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام
المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئي
والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن
المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من فوقها
ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا
انها في السماء السابعة عندها جنة المأوى الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى
السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها
الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله
عليه وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب
التي امر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي والله لقد رأى الكبرى من آياته
وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان يكون الكبرى
صفة للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا من آيات ربه او من مزيدة افرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة
وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب
اللاتّ بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة
لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها

واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون
عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة وهي مفعلة من النوء فانهم يستمطرون الانواء عندها تبركا بها
وقوله تعالى الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله تعالى يطير بجناحيه او الاخرى من التأخر في الرتبة الكم
الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل
الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه
وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا وقرأ
ابن كثير بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار
الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة
التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها
باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها
بالقرابين سميتموها انتم وآباؤكم بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به
ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى الانفس
وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة
وقولهم لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
ونحوها فلله الآخرة والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم
من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا
من بعد ان يأذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى
ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة
اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموهم بنات وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة
او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذي هو حقيقة الشيء
لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة
اليها فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان
من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده
الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم
لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور همتهم بالدنيا وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن
ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب

فلا تتعب نفسك فى دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما فى السموات وما فى الارض خلقا
وملكا ليجزى الذين اساءوا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة
لما دل عليه ما قبله اى خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدى وحفظ احوالهم لذلك
ويجزى الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهو الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى
الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب
الحد وقرأ حمزة والكسائى وخلف كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر
خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب
على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر
باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين
ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى هو اعلم بكم
اعلم باحوالكم منكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة فى بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف
اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق ادم وحينما صوركم فى الارحام فلا تزكوا انفسكم
فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصى والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه
يعلم التقى وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب ادم عليه السلام افرأيت الذى تولى عن اتباع
الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية
وهى الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله
فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقى اعنده
علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى وفر
اتم ما التزم او امر به او بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار
نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى فى النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشى
كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهى توريته كانت
اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هى المخففة من الثقيلة وهى بما بعدها فى محل الجر
بدلا مما فى صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما فى صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ
احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد
فى الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل
بها الى يوم القيامة فان ذلك للدلالة والتسبب الذى هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى

الا سعيه اى كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء فى الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان
الميت فلكون الناوى له كالنائب عنه وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الاوفى اى يجزى العبد
سعيه بالجزاء الاوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه
بيجزى والجزاء بدله وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما فى
الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء
غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق فى الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه
النشأة الاخرى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا
مصدر نشأه وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهى ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف
الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى يعنى العبور وهو اشد ضياء من
الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول صلى الله عليه وسلم وخالف قريشا فى عبادة الاوثان
ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابى كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه السلام وان وافق
ابا كبشة فى مخالفتهم خالفه ايضا فى عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم
هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة
ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرأ نافع وابو عمرو عاد لولى بضم اللام بحركة الهمزة وبادغام التنوين
فى اللام وقرأ قالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة فى موضع الواو وثمودا عطف على عادا لان ما بعده
لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا عطف
عليه من قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون
عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة والقرى التى ائتفكت باهلها اى انقلبت وهى قرى قوم
لوط اهوى بعد ان رفعها فقلبها فغشيها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباى الاء ربك تتمارى
تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما لكن سماها الاء
من قبل ما فى نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا نذير من النذر
الاولى اى هذا القران نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين
الاولين ازفت الازفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها من
دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او الان بتاخيرها
الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها
مصدر كالعافية افمن هذا الحديث يعنى القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون

الكشف كالضرب والكاشفة الاظهار ورفع شئ عما يواريه ويغطيه ١٢ قاموس

نحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع راسه
او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اى واعبدوه
دون الآلهة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد
وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل
معناه سينشق القمر يوم القيمة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل
من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله وان يروا آية يعرضوا عن تأملها والايمان بها ويقولوا سحر
مستمر مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك
او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر الشئ اذا اشتدت
مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد
ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من
خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة وسعادة في الآخرة فان الشئ اذا انتهى الى غاية ثبت و
استقر وقرئ بالفتح اى ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على
الساعة ولقد جاءهم في القرآن من الانباء انباء القرون الخالية او انباء الآخرة ما فيه مزدجر ازدجار
من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والزاء للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء
وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما
فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام انكار
اى فاى غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم
لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى
كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر الى شئ نكر
فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيمة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر
بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اى يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم
من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ
ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم
لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا كانهم
جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم
اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك

فكذبوا

له قوله فتكون الجملة حالا لكن الاكتفاء بالضمير في الجملة الاسمية
الواقعة حالا غير فصيح كما تقدم في اول الاعراف ١٢ ح

فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن
مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وزجر عن
التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه انى
بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبني قومي فانتصر فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم
فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر
ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون
منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماءان
لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله في الازل من غير تفاوت
او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل من السماء على قدر ما اخرج من الارض او على امر قدره
الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير
جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها
تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اى محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اى فعلنا ذلك جزاء
لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال
الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اى للكافرين ولقد تركناها اى السفينة او الفعلة آية يعتبر بها اذ
شاع خبرها واستمر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام
فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد
يسرنا القرآن سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا
فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت عاد
فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت في يوم نحس شؤم مستمر استمر شؤمه او استمر
عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احد او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء
آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روى انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم
الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض
وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتانيث
في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم
في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا

ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات والمواعظ
او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ
بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم نتبعه انا
اذا لفي ضلال وسعر كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون
ومنه ناقة مسعورة أألقي الذكر الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب
اشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من
الكذاب الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح عليه السلام ام من كذبه وقرأ
ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر
في حذر والاشر اى الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها
فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء
قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته
او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها
فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا
عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المنكسر الذي يتخذه من يعمل
الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء
اى كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط
بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر
وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا
بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين
ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها بسائر الوجه
روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فاعماهم فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم
ذوقوا على ألسنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها
اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتضى لنزول
العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستينافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم
السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما
ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا باياتنا كلها يعني

الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا معشر العرب خير من
اولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله ام لكم براءة في الزبر ام نزل لكم
في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من العذاب ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر
ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم
الجمع ويولون الدبر اى الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل واحد يولي دبره وقد وقع
ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي الله عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم
موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه والساعة ادهى اشد والداهية امر
فظيع لا يهتدى لدوائه وأمر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا
وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر اى يقال
لهم ذوقوا حر النار وألمها فان مسها سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار
وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر اى انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة
او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء
وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق
بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة
الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر
في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم
اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة
وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى
باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون والهاء جمع نهر كأسد واسد في مقعد صدق في مكان
مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث
ابهمه ذووا الافهام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه كالقمر
ليلة البدر

سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وآيها ست او سبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية
والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله و
تعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها
مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما يميز به

عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وإفهام الغير لما أدركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم
الشرع وإخلاء الجمل الثلث التي هي أخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد الشمس والقمر
بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف
الفصول والأوقات ويعلم به السنون والحساب والنجم والنبات الذي ينجم أي يطلع من الأرض ولا ساق
له والشجر والذي له ساق يسجدان ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين
طوعا وكان حق النظم في الجملتين أن يقال وأجرى الشمس والقمر وأسجد النجم والشجر أو الشمس والقمر بحسبانه
والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على
الاتصال إشعارا بأن وضوحه يغنيه عن البيان وإدخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على أن
ما يحس به من تغيرات أحوال الأجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها
مرفوعة محلا ومرتبة فإنها منشأ أقضيته ومتنزل أحكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء
ووضع الميزان العدل بأن وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم أمر العالم
واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والأرض أو ما يعرف به مقادير الأشياء
من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث إنها مصدر القضايا والأقدار
أراد وصف الأرض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب ألا
تطغوا في الميزان لأن لا تطغوا فيه أي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الإنصاف وقرئ لا تطغوا على إرادة القول
وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فإن من حقه أن يسوى لأنه المقصود من وضعه
وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها
وفتحها على أن الأصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل والأرض وضعها خفضها مدحوة
للأنام للخلق وقيل الأنام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الأكمام أوعية التمر جمع
كم أو كل ما يكم أي يغطى من ليف وسعف وكفرى فإنه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والثمرة والحب ذو العصف
كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم أو
الرزق من قولهم خرجت أطلب ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان أي وخلق الحب
والريحان أو أخص ويجوز أن يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض
وما عدا ذلك بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلب الواو ياء وأدغم ثم خفف وقيل روحان قلبت واوه ياء
للتخفيف فبأي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للأنام وقوله أيها الثقلان
خلق الإنسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد
خلق الله آدم من تراب ونحوه وخلق الجان الجن أو أبا الجن من مارج من صاف من الدخان من نار

بيان لمارج فإنه في الأصل للمضطرب من مرج إذا اضطرب فبأي آلاء ربكما تكذبان مما أفاض عليكما
في أطوار خلقتكما حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين مشرقي
الشتاء والصيف ومغربيهما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء
واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه إلى غير ذلك مرج البحرين أرسلهما من مرجت
الدابة إذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما أو بحري
فارس والروم يلتقيان في المحيط لأنهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله تعالى أو من الأرض
لا يبغيان لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما فبأي
آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الأحمر وإن
صح أن الدر يخرج من الملح فعلى الأول إنما قال منهما لأنه يخرج من مجتمع الملح والعذب أو لأنهما لما اجتمعا
صارا كالشيء الواحد فكأن المخرج من أحدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج
ونخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ
بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا أربع حسان وأربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع
أو المصنوعات وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن
الأمواج أو السير في البحر كالأعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل فبأي آلاء ربكما تكذبان
من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها وكيفية تركيبها وإجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها
وجمعها غيره كل من عليها من على الأرض من الحيوانات أو المركبات ومن للتغليب أو من الثقلين
فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها
إلا وجه الله أي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال والإكرام ذو الاستغناء المطلق
والفضل العام فبأي آلاء ربكما تكذبان أي مما ذكرنا من قبل من بقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء
رحمة وفضلا أو مما ترتب على إفناء الكل من الإعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في
السموات والأرض فإنهم مفتقرون إليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد
بالسؤال ما يدل على الحاجة إلى تحصيل الشيء نطقا كان أو غيره كل يوم هو في شأن كل وقت يحدث
أشخاصا ويجدد أحوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع
قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود إن الله لا يقضي يوم السبت شيئا فبأي آلاء ربكما
تكذبان أي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم
أيها الثقلان سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فإنه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد
مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك فإن المتجرد للشيء كان أقوى عليه وأجد فيه وقرأ حمزة

والكسائي بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد لكم ايها الثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما
على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فباي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن
والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات
والارض هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا
بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا
لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم فباي آلاء ربكما تكذبان
اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية
فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال رضي كضوء
سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ
ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فباي آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف
والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا انشقت السماء فكانت وردة
حمراء اي كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة
تحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل
هو الاديم الاحمر فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما يكون بعد ذلك فيومئذ اي فيوم تنشق السماء
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون
الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون
في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة فباي آلاء ربكما تكذبان اي
مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن
فيؤخذ بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى فباي آلاء
ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار يحرقون بها وبين
حميم ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا
بالحميم فباي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه
على احوالهم من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب
تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل
اللعين جنتان جنة للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما
او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها
واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا كل ما جاء مثنى بعد فباي آلاء ربكما تكذبان

ذواتا

ذواتا افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجر
وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان
حيث شاءوا في الاعالي والاسافل قيل احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما
من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على
فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين
مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع
وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان جنتان تدل
على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين
والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم
ولا جان لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم
الميم فباي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان اي في حمرة الوجنة وبياض البشرة
وصفائهما فباي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب وهو
الجنة فباي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون تينك الجنتين الموعودتين
للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان
خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات
والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت
فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف
به الاوليين وكذا ما بعده فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة
بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة رح على ان من حلف
لا ياكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات اي خيرات فخففت
لان خير الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ به على الاصل حسان حسان الخلق والخلق فباي آلاء ربكما
تكذبان حور مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة
اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن في الخيام فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا
جان كحور الاوليين وهم لاصحاب الجنتين فانهما تدلان عليهم فباي آلاء ربكما تكذبان
متكئين على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد
يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن
فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فباي آلاء ربكما

تكذبان

تكذب تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية

وآيها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيمة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اى لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحيوتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اى فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج فاصحب الميمنة ما اصحب الميمنة واصحب المشئمة ما اصحب المشئمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابى النجم انا ابو النجم وشعرى شعرى او الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون في جنت النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين اى هم كثير من الاولين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليه السلام وقليل من الآخرين يعنى امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتى يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقى هذه الامة وتابعوا هذه الامة اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في اصحب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافى اكثرية احدهما وروى مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر

والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب اناء لا عروة له ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وكاس من معين من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاى وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اى لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اى يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اى وفيها او ولهم حور وقرأ حمزة والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اى هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون اى يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم اى لا يقال لهم اثمتم الا قيلا الا قولا سلما سلما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحب اليمين ما اصحب اليمين في سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثنى اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب او مصبوب سائل كانه لما شبه حال السابقين في التنعم باكمل ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله انا انشأناهن انشاء اى ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروى عن نافع وعاصم مثله اترابا فان كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن لاصحب اليمين متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهى على الوجه الاول خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم من

دخانٍ اسود يفعول من الحممة لا باردٍ كسائر الظل ولا كريمٍ ولا نافع نفى بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المواخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف برّ فيها وتحنث اذا تأثم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله او آباؤنا الاولون للدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بانّ والهمزة قل ان الاولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقّت به الدنيا وحدّ من يوم معين عند الله معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على معنى الشجر ولفظه وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب الهيم الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله وبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة أفرأيتم ما تمنون اي ما تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها أأنتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى معنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون في خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس أفرأيتم ما تحرثون

قوله صفات اي كيفيات من الالوان والاشكال وغيرها ١٢

تبذرون حبه أأنتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر ءانا على الاستفهام بل نحن قوم محرومون حرموا رزقنا او محدودون لا مجدودون أفرأيتم الماء الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب أأنتم انزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية أفرأيتم النار التي تورون تقدحون أأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس او في الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عدها من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه انه قرئ فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تاثيره وبمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائي بموقع وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة انه لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح المحفوظ لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم

قوله الذين خلت بطونهم اي من الفقراء او مزاودهم اي من المسافرين ١٢

والالهام تنزيل من رب العلمين صفة ثالثة او رابعة للقران وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اى
نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعنى القران انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن فى الامر اى يلين
جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اى شكر رزقكم انكم تكذبون اى بمانحه
حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم اى وتجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به وتكذبون
اى بقولكم فى صفة القران انه سحر وشعر او فى المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اى النفس
وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب ونحن اعلم
اليه الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون
كنه ما يجرى عليه فلولا ان كنتم غير مدينين اى مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه
اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف
والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهى بما فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم
غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله تعالى وتكذيبكم باياته ان كنتم صدقين فى اباطيلكم
فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين اى ان كان المتوفى
من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحيوة المرحوم وبالحيوة
الدائمة وريحان ورزق طيب وجنت نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
يا صاحب اليمين من اصحب اليمين اى من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين الضالين
يعنى اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل
من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد فى القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اى الذى ذكر
فى السورة او فى شان الفرق لهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه
بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مدنية وقيل مكية واٰيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات والارض ذكرهنا وفى الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ
المضارع اشعارا بان من شان ما اسند اليه التسبيح ان يسبحه فى جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف
الحالات ومجئ المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شئ
وفى كل حال وانما عدى باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له فى نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله
وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح له ملك السموات والارض فانه
الموجد لها والمتصرف فيها يحيى ويميت استيناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور فى له وهو على كل شئ
من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات من حيث انه

قوله المبدأ للتسبيح يعنى المبدأ العلمى الواسطة فى التصديق فان العزة تدل على كمال القدرة والحكمة على كمال العلم والعقل نحكم بان الموصوف بهما منزه عن كل نقص ١٢ ح

موجدها ومحدثها والاخر الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذى
تبتدئ منه الاسباب والاخر الذى تنتهى اليه المسببات او الاول خارجا والاخر ذهنا والظاهر والباطن الظاهر
وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شئ والعالم بباطنه والواو
الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسط للجمع بين المجموعين وهو بكل شئ عليم يستوى عنده
الظاهر والخفى هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى
الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو
معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل
تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه
كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور
بمكنوناتها امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التى جعلكم الله
خلفاء فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم او التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها والتصرف
فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد
فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر
ووصفه بالكبر وما لكم لا تؤمنون بالله اى وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما
والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اى عذر لكم فى ترك الايمان
والرسول يدعوكم اليه بالحجج والايات وقد اخذ ميثاقكم اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل
وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ ابو عمرو على البناء للمفعول
ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذى ينزل على عبده ايت بينت
ليخرجكم اى الله او العبد من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم
لرءوف رحيم حيث نبهكم بالرسل والايات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا
تنفقوا واى شئ لكم فى ان لا تنفقوا فى سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات والارض
يرث كل شئ فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب
كان اولى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت المنفقين باختلاف
احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحرى الحاجات حثا على تحرى الافضل منها بعد الحث على الانفاق
وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز
الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق اولئك اعظم درجة من الذين
انفقوا من بعد اى من بعد الفتح وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى اى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة

الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون
خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في ابي بكر فانه اول من آمن وانفق في
سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
من ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم
المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اي يعطي اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم
اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ عاصم
فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى وكأنه قال أيقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن
كثير يضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب يضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف
لقوله تعالى وله او فيضاعف او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين
ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات اي
يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اي المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة يوم
يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة
كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم
وقرأ حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا
وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها
او الى الموقف فانه من ثم يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا او هو تهكم
بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب
يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب
من جهته لانه يلي النار ينادونهم ألم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم
فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين
وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان
او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا
ظاهرا او باطنا مأواكم النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه
مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي
مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار

للذين

للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته يقال أنى الامر يأني أنيا وأنا وإنا اذا جاء إناه و
قرئ بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى أنى يأني ولما يأن روي ان المؤمنين كانوا مجدبين
بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القرآن
وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع وحفص
ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع
وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله تعالى فطال عليهم الامد
فقست قلوبهم اي فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم
وقرئ الامدّ وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم
من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر
والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الآيات لعلكم
تعقلون كي يكمل عقولكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات
وقد قرئ بها وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا
الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين اصّدقوا او صدقوا وهو
على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم
معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين
آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي اولئك عند الله تعالى بمنزلة
الصديقين والشهداء او هم المبالغون في الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله تعالى ورسله
عليهم السلام والقائمون بالشهادة لله تعالى ولهم او على الامم يوم القيمة وقيل والشهداء عند ربهم
مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء عليهم الصلوة والسلام من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم
ولكنه من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب
يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا وهي ما لا يتوصل
به الى الفوز الآجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم
جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة
والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله

الجد وهي المطر العام او الذي لا يعرف اقصاه والعطية ١٢ امامور
والمراد هاهنا المنفعة مجازا ١٢

لمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها
وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة
الدنيا ولان المومن اذا راى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به
فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اى يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الاخرة بقوله تعالى وفي الاخرة
عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اى لمن اقبل عليها ولم يطلب الاخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة
السابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم اى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض
اى عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله تعالى فذو دعاء
عريض اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في
استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله
ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب
وعاهة ولا في انفسكم كمرض وافة الا في كتب الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله تعالى من قبل ان
نبراها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض والانفس ان ذلك ان ثبته في كتب على الله يسير
لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تاسوا اى ثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم
الدنيا ولا تفرحوا بما اتيكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرا
ابو عمرو بما اتيكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت
وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم
لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل
من يثبت نفسه حالي الضراء والسراء الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان
المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني
الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض
عن شكره ولا ينتفع بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرا
نافع وابن عامر فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اى الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى
الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان
ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال تعالى ليقوم الناس بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر
باعداده وقيل انزل الميزان الى نوح ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء
كما قال تعالى وانزلنا الحديد فيه باس شديد فان الات الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ

ما من صنعة الا والحديد التها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف
على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اى انزله ليعلم الله بالغيب حال
من المستكن في ينصره ان الله قوى على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد
لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب
بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتاب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل
اليهم وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول
عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا على اثارهم برسلنا
وقفينا بعيسى ابن مريم اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابرهيم
ومن ارسل اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية واتينه الانجيل
وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة وقرئ
رافة على فعالة ورحمة ورهبانية اى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها
من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو
المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع
راهب كراكب وركبان ما كتبنها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع
اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم
بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضات
الله وهو يخالف قوله تعالى ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى
استحدثوها واتوا بها اولا لا انهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها اى فما رعوا فيها
جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه السلام ونحوها
اليه فاتينا الذين امنوا اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد عليه السلام
منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير منهم فسقون خارجون عن حال الاتباع يايها الذين
امنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وامنوا برسوله محمد عليه السلام يؤتكم
كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم
السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم
نورا تمشون به يريد المذكور في قوله يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم
والله غفور رحيم لئلا يعلم اى ليعلم ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون
في الياء اهل الكتب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيئا

عماد وهو من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله

فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصوا بها من ارادوا وان الفضل بيد الله يؤتيه

من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي

والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون ان الفضل عطفا على لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه

ان الهمزة حذفت وادغم النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة

الفتح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي والباقي مدني وآيها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله روي ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها

اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه

فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول او المجادلة

يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو

على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظهرون منكم من نسائهم الظهار

ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي

منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة

والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم اي على الحقيقة ان امهاتهم

الا اللائي ولدنهم فلا يشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول وعن عاصم

امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا

من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن الحق فان المرأة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف

منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اي الى قولهم بالتدارك

ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك المظاهر عنها

في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينقض

به وعند ابي حنيفة رض باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن

بالجماع او بالظهار في الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون في الجاهلية

وهو قول الثوري او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او بمعنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابي مسلم او الى المقول

فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء

للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا

٥٩ قوله وهو اقل الخ اي الامساك المذكور اقل ما ينتقض به الحرمة التي يقتضيها الظهار فيجب الحمل عليه لتعينه ١٢

قياسا على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ

ومقتضى التشبيه او ان يجامعا وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اي ذلكم الحكم بالكفارة

توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه

خافية فمن لم يجد اي الرقبة والذي غاب ماله واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا

فان افطر بغير عذر لزم الاستئناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا

لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابي حنيفة ومالك فمن لم يستطع اي الصوم لهرم او مرض مزمن

او شبق مفرط فانه رخص للاعرابي المفطر ان يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد

رسول الله عليه السلام وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل من المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة يعطى

كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع

الآخرين او لجوازه في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة ذلك اي ذلك البيان او التعليم للاحكام

ومحله النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في

قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين اي

الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون

الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعاديين في حد غير حد الآخر او يضعون او يختارون حدودا

غير حدودهما كبتوا اخزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم يعني

كفار الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب

مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع

احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم بما عملوا اي على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم

احصاه الله احاط به عددا لم يغب منه شيء ونسوه لكثرته او تهاونهم به والله على كل شيء

شهيد لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض كليا وجزئيا ما يكون

من نجوى ثلاثة ما يقع من تناجي ثلاثة ويجوز ان يقدر مضاف او يأول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة

صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل

احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم في الاطلاع عليها

والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين

اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر والثلاثة

اول الاوتار او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ

ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اكثر

مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع
عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى ان جعلت لا لنفي الجنس اينما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب
مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقون
من الجزاء ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على سواء الم تر الى الذين نهوا
عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون
باعينهم اذا راوا المومنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول اى بما هو اثم وعدوان للمومنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروى
عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك
او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم
لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها
فبئس المصير جهنم يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول
كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن خير المومنين والاتقاء
عن معصية الرسول واتقوا الله الذي اليه تحشرون فيما تاتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى
اى النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين امنوا بتوهمهم
انها في نكبة اصابتهم وليس الشيطان او التناجي بضارهم بضار المومنين شيئا الا باذن
الله الا بمشيته وعلى الله فليتوكل المومنون ولا يبالوا بنجويهم يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم
تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اى تنح وقرئ تفاسحوا
والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا
يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح
فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلوة
او جهاد او ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين
امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وايواءهم غرف الجنان في الاخرة والذين اوتوا العلم
درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي
للعمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل
العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل
الامر او استكرهه يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة
فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول وانفاع الفقراء والنهي عن الافراط

في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب
لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب
الله اية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول
بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روى انه لم يبق الا عشرا
وقيل الا ساعة ذلك اى ذلك التصدق خير لكم واطهر اى لانفسكم من الزينة وحب المال وهو
يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم لمن لم يجده حيث رخص له في المناجاة
بلا تصدق ادل على الوجوب أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات اخفتم الفقر من
تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او
لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب
تجاوز الله عنه لما راى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة
واتوا الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط
في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر الى الذين تولوا والوا قوما غضب الله عليهم
يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب
وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل
على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى انه عليه السلام كان في حجرة من حجراته
فقال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق
وكان ازرق فقال عليه السلام له علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت
اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل
واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اى التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اى ايمانهم الذي اظهروه جنة وقاية دون
دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط
فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة لن
تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم
الله جميعا فيحلفون له اى لله على انهم مسلمون ويقولون كما يحلفون لكم في الدنيا انهم لمنكم
ويحسبون انهم على شيء لان تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل اليهم في الاخرة ان الايمان الكاذبة تروج
الكذب على الله كما تروج عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب بحيث
يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من
حذت الابل وحزتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل فانسيهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم

ولو بالسنتهم اولئك حزب الشيطن جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطن هم الخسرون لانهم فوتوا على انفسهم
النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين فى جملة
من هو اذل خلق الله تعالى كتب الله فى اللوح لاغلبن انا ورسلى بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلى بفتح الياء ان الله
قوى على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه فى مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله اى لا ينبغى ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغى ان يوادوهم ولو كانوا
اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اى
الذين لم يوادوهم كتب فى قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم
الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم بروح
منه اى من عند الله وهو نور القلب او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب
لحيوة القلب ويدخلهم جنت تجرى من تحتها الانهر خلدين فيها رضى الله عنهم بطاعتهم
ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان حزب الله
هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبى عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من
حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وايها اربع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموت وما فى الارض وهو العزيز الحكيم روى انه عليه السلام لما قدم المدينة صالح
بنى النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التورية بالنصرة فلما
هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان
فامر رسول الله عليه الصلوة والسلام اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة
ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر
والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل
الكتب من ديارهم لاول الحشر اى فى اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك
او فى اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام واخر حشرهم اجلاء عمر رض اياهم من خيبر او فى اول حشر الناس
الى الشام واخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق
فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى اخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم وظنوا
انهم مانعتهم حصونهم من الله اى ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر
واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة
بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتهم الله اى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء
وقيل الضمير للمومنين اى فاتاهم نصر الله وقرئ فاتاهم اى لعذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا

لقوة وثوقهم وقذف فى قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذى يرعبها اى يملؤها يخربون بيوتهم
بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من الالتها وايدى المومنين فانهم ايضا كانوا يخربون
ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المومنين مسبب
عن بغضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرأ ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو
ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشئ خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولى الابصار
فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله سبحانه واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه
امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه
فى الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم فى الدنيا بالقتل
والسبى كما فعل ببنى قريظة ولهم فى الاخرة عذاب النار استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب
الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد
العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم
من لينة اى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناه النخلة
الكريمة وجمعها اليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ
اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن فباذن الله فبامره ولیخزى الفسقين علة
لمحذوف اى فعلتم او اذن لكم فى القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روى انه عليه السلام لما امر
بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخيل وتحريقها فنزلت
واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله
وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته
وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بنى النضير او من
الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب
ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فى بنى النضير فان قراهم كانت
على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم
يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله
على من يشاء بقذف الرعب فى قلوبهم والله على كل شئ قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة
وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول
ولذى القربى واليتمى والمسكين وابن السبيل اختلف فى قسم الفئ فقيل يسدس لظاهر الاية
ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم

وتصرف الآن سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول
وقيل تخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك وتصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن
على الخلاف المذكور كيلا يكون اى الفيء الذى حقه ان يكون للفقراء وقرأ هشام فى رواية بالتاء دولة
بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة بمعنى
كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة يكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة اى كيلا
يقع دولة جاهلية وما آتاكم الرسول وما اعطاكم من الفيء او من الامر فخذوه لانه حلال لكم
او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه منه او اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله
فى مخالفة الرسول ان الله شديد العقاب لمن خالف للفقراء المهاجرين بدل من لذى القربى وما عطف
عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بنى النضير
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم
اولئك هم الصادقون الذين ظهر صدقهم فى ايمانهم والذين تبوؤا الدار والايمان عطف على المهاجرين
والمراد بهم الانصار الذين ظهر صدقهم فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى
تبوؤا دار الهجرة والايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او
تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانه مظهره و
مصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقرير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والايمان
يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون فى صدورهم فى انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة
كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطى المهاجرين من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم
ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم
ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهى فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما
يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب
الآجل والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد ما قوى الاسلام او التابعون باحسان وهم
المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اى لاخواننا فى الدين ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين
آمنوا حقدا لهم ربنا انك رؤف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة
لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم فى قتالكم او خذلانكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اى من

رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون
لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك
فان ابن ابى واصحابه راسلوا بنى النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن
نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنا
او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اى اشد مرهوبية
مصدر للفعل المبنى للمفعول فى صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرون
نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله سبحانه ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة
الله سبحانه حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون
جميعا مجتمعين الا فى قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
جدار وامال ابو عمرو فتحة الدال بأسهم بينهم شديد اى وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد بأسهم
اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله سبحانه الرعب فى قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا
حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف
مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين
من قبلهم اى مثل اليهود كمثل اهل بدر او بنى قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم
الماضية قريبا فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة
كفرهم فى الدنيا ولهم عذاب اليم فى الآخرة كمثل الشيطان اى مثل المنافقين فى اغراء اليهود على القتال
اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور فلما كفر قال انى برئ منك تبرأ عنه
مخافة ان يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما فى
النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر
لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما
انهما الخبر لكان وخالدان على انه الخبر وفى النار لغو يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال
واتقوا الله تكرير للتأكيد او الاول فى اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثانى فى ترك المحارم
لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصى ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه
فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة
من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون فى الفسوق لا يستوى اصحاب النار واصحاب
الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على

ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القران على جبل
لرايته تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله خاشعا متصدعا من خشية الله
فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القران لقساوة قلبه و
قلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم
يتفكرون هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب عن الحس
من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق
العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس البليغ
في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر
وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ
لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر حالهم
بمعنى اصلحه المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون
اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا
من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء و
اخواتها فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني له ما في
السموات والارض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها
راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلث عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة
مولاة بني المطلب فنزل جبرئيل عليه السلام فبعث رسول الله عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد
وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه
منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثم جحدت فسل علي رضي الله عنه السيف فاخرجته
من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت
منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي فيهم من يحمي
اهلي فاردت ان اخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله وعذره
تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله بسبب
المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هي له ولا حاجة فيها الى ابراز الضمير

لانه مشروط في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون
الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا او استيناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم
بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان
ان كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب
الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استيناف معناه
اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي منكم
وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن يفعله منكم اي من يفعل الاتخاذ
فقد ضل سواء السبيل اخطأه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة
اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ما يسوؤكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون و
تمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادتهم حاصلة
وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة
يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله
سبحانه لمن يفر عنكم غدا وقرأ حمزة والكسائي بالتشديد وكسر الصاد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر يفصل
على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم وقرأ عاصم يفصل والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم
اسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابرهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال
من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا براء منكم
جمع بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم
او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم والهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا
بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك
استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان يأتسوا به فانه كان قبل النهي
او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع
استثناء جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر
من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا
فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا ما فرطنا ربنا انك انت العزيز
الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة
تكرير لمزيد الحث على التأسي بابرهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم
الاخر من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة

ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل
بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين و
تبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز وعده اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير
على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم اى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء
لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط اى العدل ان الله يحب
المقسطين العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر بهدايا
فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم
من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركى مكة فان بعضهم سعوا فى اخراج المؤمنين وبعضهم
اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الولاية فى غير موضعها يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن
بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن فى الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما فى قلوبهن
فان علمتموهن مؤمنات العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات
وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم فى وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار الى ازواجهن الكفرة
لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاول لحصول الفرقة والثانى
للمنع عن الاستيناف واتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من
جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهى عنه لزمه رد مهورهن اذ روى انه عليه السلام
كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومى طالبا لها
فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر ولا جناح
عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا اتيتموهن اجورهن شرط
ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما يعتصم
به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصرى
ولا تمسّكوا بالتشديد واسئلوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور
ازواجهن المهاجرات ذلكم حكم الله يعنى جميع ما ذكر فى الاية يحكم بينكم استيناف او حال
من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما يقتضيه حكمته
وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شىء من ازواجكم احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع
شىء موقعه للتحقير والمبالغة فى التعميم او شىء من مهورهن الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من

من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر
يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة
ولا تؤتوه زوجها الكافر روى انه لما نزلت الاية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهور الكوافر فنزلت وقيل
معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة فاتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذى انتم به
مؤمنون فان الايمان به يقتضى التقوى منه يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله
شيأ نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ عن بيعة الرجال اخذ فى بيعة النسوان ولا يسرقن ولا يزنين ولا
يقتلن اولادهن يريد وأد البنات ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك
فى معروف فى حسنة تامرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول لا يامر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة
مخلوق فى معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله
ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعنى عامة الكفار او اليهود
اذ روى انها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من
الاخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التورية المؤيد
بالايات كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر
فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر ايأسهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون
والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مدنية وآيها اربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها الذين امنوا لم تقولون
ما لا تفعلون روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله سبحانه لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا
فانزل الله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر
وما الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما فى الدلالة على
المستفهم عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة
على ان قولهم هذا مقت خالص كبر عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة فى المنع عنه ان الله يحب الذين
يقاتلون فى سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كانهم بنيان مرصوص فى تراصهم من غير
فرجة حال من المستكن فى الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى
لقومه مقدر باذكر او كان كذا يا قوم لم تؤذوننى بالعصيان والرمى بالادرة وقد تعلمون انى
رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه
ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل
الى الصواب والله لا يهدى القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال

عيسى بن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني رسول الله
اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا في حال تصديقي لما تقدمني
من التورية وتبشيري برسول يأتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار
لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد يعني محمدا عليه السلام والصلوة والمعنى ديني التصديق
بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم
المرسلين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة
ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب
وهو يدعى الى الاسلام اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضي له خير الدارين
فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسله وتسمية اياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي
الثابت وقرئ يدّعي يقال دعاه وادّعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم
الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة
تاكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله يعني دينه او كتابه
او حجته بافواههم بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقران
او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان ولو كره المشركون
لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم
وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم استيناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به
الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول
عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان
ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة الى ما ذكر من المغفرة
وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض
بانهم يؤثرون العاجل على الاجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من
الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل
او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين

منوا

امنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما
وعدتهم عليهما اجلا وعاجلا يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام
لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها
الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الاخر
لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم
كما قال عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون من الحور وهو البياض حين قال لهم عيسى من انصاري
الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من امن به وكانوا اثني عشر رجلا فامنت طائفة من بني اسرائيل
وكفرت طائفة اي بعيسى فايدنا الذين امنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى فاصبحوا
ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له
ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات
الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون
رسولا منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة
ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والشريعة
او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان
الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها واخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب
في يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه تعم الجميع لما يلحقوا بهم لم
يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم
في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء
تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الاخرة او نعيمهما
مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها
كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل
او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله اي مثل الذين كذبوا
وهم اليهود المكذبون بايات الله الدالة على نبوة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون الذين صفة
للقوم والمخصوص بالذم محذوف والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا
ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه

فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم
ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم
على اعمالهم قل ان الموت الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا
باعمالكم فانه ملاقيكم لاحق بكم لا تفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم
يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة اذا اذن
لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وكانت العرب تسميه العروبة
وقيل سماه كعب بن لوي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام
بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه
مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلوة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها
وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الاخرة
خير وابقى ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة
اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل
الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور
جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة
لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه عليه السلام كان
يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها
المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم
من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل
تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله
من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما والله
خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وايها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود
به وكذبهم في الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف

في التوكيد

في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء
ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء
اعمالهم او الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم امنوا بسبب انهم امنوا
ظاهرا ثم كفروا سرا او امنوا اذا راوا اية ثم كفروا حينما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم
حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رأيتهم
تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان
ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله في جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغي الى كلامهم
كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور في لقولهم اي تسمع لما يقولون مشبهين باخشاب منصوبة
مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها
شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف
او على انه كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم وهلعهم والهاء منهم
فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون صلتها والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل
وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله
دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون
كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم عطفوها اعراضا
واستكبارا عن ذلك وقرأ نافع بتخفيف الواو ورأيتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم
مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر
ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر
والنفاق هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين
لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابي راسه بخشبة فشكى الى ابن
ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل
عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون
ونصب الاعز والاذل على هذه القراءات مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن
المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم

عن

قوله كخروج على الاولى واخراج على الاخريين ان كان النصب على المصدر ومثل على القراءات الثلث ان كان النصب على الحالية ١٢

عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكّرة للمعبود والمراد نهيهم
عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اي اللهو بها وهو الشغل فاولئك
هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للآخرة
من قبل ان يأتي احدكم الموت اي يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل قريب
امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء
وما بعده وقرأ ابو عمرو واكون فيكون عطفا بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها
آخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثمان عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه
له الملك وله الحمد قدّم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل
شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي
خلقكم فمنكم كافر مقدّر كفره موجّه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدّر ايمانه موفق لما يدعوه اليه
والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوّركم
فاحسن صوركم فصوّركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زيّنكم بصفوة اوصاف الكائنات
وخصّكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا
سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون
والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه
الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه
بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم ايها الكفار نبؤ الذين كفروا
من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه
الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الآخرة ذلك
اي المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب ان الشان كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا
بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني
عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم
ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى المفعولين وقد قام مقامهما ان بما في حيزه قل بلى اي بلى تبعثون
وربي لتبعثن قسم اكّد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير

لقبول

لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد عليه السلام والنور الذي انزلنا يعني
القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم
يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء
والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل
الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي
هو التغابن في امور الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر عنه
سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر بالنون
فيهما ذلك اشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار
وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كأنها
والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته
ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته
مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب
واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اي فان توليتم
فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم
بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم
عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا عن
ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم
فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم
فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي
لهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره
وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث
على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امره
قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب القلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة
واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعّفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور
يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم
تام القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة سورة

الطلاق

سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي
اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام
معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن
اي وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتاقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام
بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي
ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على
عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضه لما طلق امرأته حائضا امره عليه السلام
بالرجعة هو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل
العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا
يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين
دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان يأتين بفاحشة مبينة
مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني
فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك
حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب
لا تدري اي النفس او انت ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة
برجعة او استيناف فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة
وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا
لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع
وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي رحمه الله وجوبه في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود
عند الحاجة خالصة لوجهه ذلكم يوعظ به يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في
الآية من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه
صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله
وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله مخرجا مما في شان الازواج من المضايق
والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار
الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه
عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان

سالم

سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكى ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر
قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو
فاستاقها وفي رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد
وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء
قدرا تقديرا او مقدارا او اجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت
الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من
نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن ثلاثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت واللائي لم يحضن اي واللائي
لم يحضن بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات
والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا
بخلافه ثم ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجي ولانه متاخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام
على الخاص والاول راجح للوفاق عليه ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره يسرا
يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله
في احكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة
اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم من وجدكم من وسعكم اي مما تطيقونه وهو عطف
بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج وان
كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص
استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع
علقة النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف وليأمر بعضكم بعضا
بجميل في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى امرأة اخرى وفيه معاتبة
للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله اي فلينفق
كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها
وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكاين
من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا
شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة

وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا
لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المامور به في قوله
فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة
وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر جبرئيل لكثرة
ذكره او لنزوله بالذكر وهو القران او لانه مذكور في السموات او ذو ذكر اي شرف او محمدا عليه السلام
لمواظبته على تلاوة القران او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحي
اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القران ورسولا منصوب ب آيات الله مبينات حال من اسم الله او صفة
رسولا والمراد بالذين في قوله تعالى ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات الذين امنوا بعد انزاله اي ليحصل لهم ما هم عليه الان من الايمان
والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن
بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله
بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات
مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر
يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل
شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته و
علمه عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله عليه السلام

سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عليه السلام خلا بمارية في يوم عائشة او حفصة رض
فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت
عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل تبتغي مرضات ازواجك
تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان الداعي اليه والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز
تحريم ما احل الله رحيم رحمك حيث لم يواخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشية
حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من راى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا
وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه السلام اتى بلفظ اليمين
كما قيل والله مولاكم متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه
واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده
لابي بكر وعمر رض فلما نبأت به اي فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث واظهره الله عليه واطلع

النبي عليه السلام على الحديث اي على افشائه عرف بعضه عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض
عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعض بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف
فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول
فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب
لحفصة وعائشة رض على الالتفات للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة
وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان
تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن
يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه
ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص جبريل للتعظيم
والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة من ينصره
الله به عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل
على انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق
بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او
منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات
متعبدات او متذللات لامر الرسول سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او
مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات
على الثيبات والابكار يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم
بالنصح والتاديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين
نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي امرها وهم الزبانية
غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة
لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر
والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم
تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر
لا ينفعهم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح
نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة كانها تنصح ما خرق
الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت
تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل علي رض عن التوبة فقال يجمعها

ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم
على ان لا تعود وان تربى نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيأتكم
ويدخلكم جنت تجرى من تحتها الانهر ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل
والتوبة غير موجب وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزى الله النبى ظرف ليدخلكم
والذين امنوا معه عطف على النبى احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدأ خبره نورهم يسعى بين
ايديهم وبايمانهم اى على الصراط يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك
على كل شىء قدير وقيل يتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا يا ايها النبى جاهد
الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه
وماويهم جهنم وبئس المصير جهنم او ماواهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت
لوط مثل الله حالهم فى انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبى والمؤمنين من النسبة
بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صلحين يريد به تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم
يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما وقيل ادخلا النار اى لهما عند
موتهما او يوم القيمة النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء
وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأت فرعون شبه حالهم فى ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال اسية
ومنزلتها عند الله سبحانه مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله تعالى اذ قالت ظرف لمثل المحذوف
رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة قريبا من رحمتك او فى اعلى درجات المقربين ونجنى من فرعون
وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السىء ونجنى من القوم الظلمين من القبط التابعين له فى الظلم
ومريم ابنت عمرن عطف على امرأت فرعون تسلية للارامل التى احصنت فرجها من الرجال فنفخنا
فيه فى فرجها وقرئ فيها اى فى مريم او فى الحمل من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل
وصدقت بكلمت ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتابه وما كتب فى اللوح او جنس
الكتب المنزلة يدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى والانجيل
وكانت من القنتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر
عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فيكون من ابتدائية عن النبى عليه السلام
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع اسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه
عليه السلام من قرأ سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية
لانها تقى وتنجى قارئها من عذاب القبر وايها ثلثون

قوله وفضل عائشة لم يعطف عائشة على آسية بل ذكرت فى صورة جملة مستقلة تنبيها على اختصاصها لما امتازت به عن سائرهن ومثل بالثريد لانه افضل الطعام لانه مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة فى المضغ فمثل به ليؤذن بانها اعطيت مع حسن الخلق وحلاوة النطق وفصاحة اللهجة رزانة الراى فهى تصلح للتبعل والتحدث وحسبك انها عقلت ما لم يعقل غيرها من النساء ورويت ما لم يرو مثلها الرجال

بسم الله الرحمن الرحيم تبرك الذى بيده الملك بقبضة قدرته التصرف فى الامور كلها
وهو على كل شىء قدير على كل ما يشاء قدير الذى خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة
وازال الحسنا فيما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم
ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا
احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول
ثانيا الفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل بها وقوع الجملة خبرا
فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذى لا يعجزه من اساء
العمل الغفور لمن تاب منهم الذى خلق سبع سموت طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت
النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال
او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائى من تفوت ومعناهما
واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات
عنه بعض ما فى الاخر والجملة صفة ثانية لسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار
بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان فى ابداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب
فيها للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب اى قد نظرت
اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متأملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها
ما ينبغى لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين بعيدا عن اصابة
المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا
السماء الدنيا اقرب السموت الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها والتنكير
للتعظيم ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة فى سموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها وجعلنها
رجوما للشيطين وجعلنا لها فائدة اخرى هى رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه
وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمى به ما يرجم
به واعتدنا لهم عذاب السعير فى الاخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا وللذين كفروا بربهم
من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب
السعير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهى تفور تغلى بهم غليان المرجل بما فيه
تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية
كلما القى فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها الم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو
توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء ان انتم الا فى ضلل

كبير اي فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا في نسبتهم الى
الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة
او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى
قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية
للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون فيه وقالوا
لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات
او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم
فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر
والمراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم من رحمته والتغليب للايجاز
والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم
لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس بالمخفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم
واجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور
بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا وجهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته
حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه
وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روي ان المشركين
كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله به رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد
فنبه الله على جهلهم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها
في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل
له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا
من نعم الله واليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم ءامنتم من في السماء يعني
الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تاويل من في السماء امره وقضاؤه او على
زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى في السماء وعن ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام
ما قبلها وامنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابي عمرو ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم
فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد
في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي يمطر عليكم حصباء
فستعلمون كيف نذير كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد
كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول

وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن
اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار
به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل في الطيران والطاري عليه ما
يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص
هيأتهن للجري في الهواء انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا
الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا في امثال
هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم
من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم الهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج
مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا
خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور لا
معتمد لهم امن هذا الذي يرزقكم ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه
بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور
شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى يقال كببته فاكب وهو من
الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا
مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة
طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله امن يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط
مستقيم مستوي الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين
ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك
لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه
يعتسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا
الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار
لتنظروا صنائعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت لاجلها
قل هو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون للجزاء ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر
او ما وعد من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين يعنون النبي والمؤمنين قل انما العلم
اي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين والانذار يكفي له العلم بل الظن
بوقوع المحذر منه فلما راوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة اي قرب منهم سيئت
وجوه الذين كفروا بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون

قوله اي الوعد نبه بهذا الى ان الضمير المنصوب للوعد لكن لما كان قوله زلفة يابى عن هذا لانه يدل على انه لم يقع بعد بل قرب وقوعه والوعد ليس كذلك فانه قد وقع دفعه بان الوعد بمعنى الموعود وليس بمصدر ولا الاسم منه ودفع للاشكال ١٢

به تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء وكسبه تدعون ان لا تبعث فهو من الدعوى قل ارايتم

ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتاخير اجالنا فمن يجير الكفرين من

عذاب اليم اى لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون

قل هو الرحمن الذي ادعوكم اليه مولى النعم كلها امنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم

بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به فستعلمون من هو في

ضلال مبين منا ومنكم وقرأ الكسائي بالياء قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض

بحيث لا يناله الدلاء مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي

عليه السلام من قرأ سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس

او البهموت وهو الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشد سوادا من

النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف والقلم هو الذي خط اللوح او الذي يخط

به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل

فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئ بالفتح

والكسر كصاد وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثاني على

ارادة الجنس واسناد الفعل الى الالة واجراؤه مجرى اولي العلم لاقامته مقامهم او لاصحابه او للحفظة وما

مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة

وحصافة العقل والعامل في الحال معنى النفي وقيل مجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه

نظر من حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال او الابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك من

الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك

وسئلت عائشة رض عن خلقه صلعم فقالت كان خلقه القران الست تقرأ القران قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون

بايكم المفتون ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول

والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون افريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى في ايهما يوجد من يستحق هذا

الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفائزين

بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع

نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف

اى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اى ودوا لو تدهن فهم

يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون طمعا فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا

على انه جواب التمني ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الراى من المهانة وهي الحقارة همّاز

عيّاب مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان

والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الاثام عتل جاف غليظ من عتله

اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي ماخوذ من زنمتي الشاة وهما

المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده و

قيل الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا

قال اساطير الاولين اى قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره ولكن

العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اى

لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر ءان

كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اى الان كان ذا مال كذب

او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل

بالفقر في النهي عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اى لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى

فكانه شرطه في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره

وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على

الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة

يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام

ويترك لهم ما اخطاه المنجل او القته الريح او بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم

شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها وقت

الصبح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح

ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف

المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او لا

يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف

من ربك مبتدا منه وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق

فيه شيء عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم اى اخرجوا او بان اخرجوا

غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن

لمعنى الاستيلاء ان كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون فيما

بينهم وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين

ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه
من الدخول كقوله لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن
فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم
بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على
الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون
وقيل الحرد القصد والسرعة قال أقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اي غدوا قاصدين الى
جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما رأوها اول ما رأوها قالوا انا
لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن اي بعد ما تأملوا وعرفوا انها هي محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا
على انفسنا قال اوسطهم رأيا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه
من خبث نيتكم وقد قاله حيثما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين
او لولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجري في ملكه ما لا يريده
فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من
استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين
حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم
ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى
لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذي بلونا به اهل مكة
واصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا
عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اي في الآخرة او في جوار القدس جنات النعيم
جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح
انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم
كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج
رأي ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه
وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون
حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود
مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين
الى يوم القيامة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها حتى
نحكمكم في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم

لان

او ان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه
ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل
من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه
لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل
المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله سبحانه
نفى بهذا ان تكون مما يشركون الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف
الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت
به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير
عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء
الفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان
اليوم يوم القيمة او يدعون الى الصلوة لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب
وقته او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذل وقد كانوا يدعون الى
السجود في الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحوا العلل فيه فذرني ومن
يكذب بهذا الحديث كله الي فاني اكفيكه سنستدرجهم سنستدنيهم من العذاب درجة درجة
بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم
لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين واملي لهم وامهلهم ان كيدي متين لا يدفع بشيء وانما
سمي انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته ام تسألهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم من
غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون
منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك
عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا في الضجرة
فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل
وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لو ان كان يقال فيه تتداركه
لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو
حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بان رد الوحي اليه او استنبأه
ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان
عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد

الذين

الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هي المخففة من الثقيلة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم
ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني
اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد
عيانون فاريد بعضهم على ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل
الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق
كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي يهلكونك لما سمعوا الذكر اي القران اي ينبعث عند سماعه بغضهم
وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه
لاجل القران بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا عن
النبي عليه السلام من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وايها احدى وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق
وقوعها او التي تحق فيها الامور اي تعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء
على الاسناد المجازي وهي مبتدأ خبرها ما الحاقة واصله ما هي اي اي شيء هي على التعظيم لشانها والتهويل
لها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادريك ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي انك
لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان يبلغها دراية احد وما مبتدأ وادريك خبره كذبت ثمود وعاد
بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع
ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة
للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب
وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديد
الصوت او البرد من الصر او الصر عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا
ضبطها او على عاد فلم يقدروا ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة
جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب
سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات
حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا
او المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز
من صبح اربعاء الى غروب الاربعاء الاخرى وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد
توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها في مهابها
او في الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية متاكلة الاجواف

هل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرأ البصريان
والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات قرى
قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ فعصوا رسول ربهم
اي فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى
الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله حملناكم اي اباءكم
وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح لنجعلها لكم لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق
الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته وتعيها وتحفظها
وعن ابن كثير في الشواذ تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك
والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية من شانها ان تحفظ ما يجب حفظها بتذكره
واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته
تتسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة
لما بالغ في تهويل القيمة وذكر مال المكذبين بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما
حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد
الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال
رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة
فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا
ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها
وارض دكاء للمتسعة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيامة وانشقت السماء
لنزول الملائكة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك
على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى
اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك
فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم يومئذ
ثمانية ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة
اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته
بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ
تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة
الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب

وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها ها يا رجل وها يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية فهو في عيشة راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا وقرأ حمزة عني مالي عني سلطاني بحذف الهاءين في الوصل والباقون باثباتها في الحالين خذوه يقوله الله سبحانه لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة الاستيناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة

القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا يأكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطاء المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه ان القرآن لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله سبحانه وهو محمد او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تزعمون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعاني القرآن المنافية لطريق الكهنة ومعاني اقوالهم وقرأ ابن كثير ويعقوب وابن عامر بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه وان القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين لليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحي اليك عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او الرسول عليه السلام استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى سال واد بعذاب ومضي الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الآخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا

والبناء على هذا التضمن سأل بمعنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج ذي
المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم
او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة والروح
اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل
والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل
معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون
فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة
لان ما بين مركز الارض ومقعر سماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع
والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى
محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او سأل اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته
اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرئيل وافراده
لفضله او خلق عظيم من الملائكة وقرأ الكسائي يعرج بالياء فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب
قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء
للنصر او بسائل لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او
ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونريه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن
يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او دردي الزيت
وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت في الجو
والهواء اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن
كثير ولا يسأل على بناء المفعول اي لا يطالب من حميم حميم ولا يسأل منه حالهم يبصرونهم استيناف او
حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض
الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته
واخيه حال من احد الضميرين او استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب
الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب
يومئذ به لانه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم التي تؤويه
تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين او الخلائق ثم ينجيه عطف
على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء
لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او القصة ولظى مبتدأ خبره نزاعة

للشوى

للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص نزاعة بالنصب على الاختصاص
او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى المتلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس تدعوا
تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الريب مجاز من جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل تدعوا زبانيتها
وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع
المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر
الضر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ في الامساك والاوصاف الثلثة احوال
مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء
للموصوفين بالصفات المذكورة بعده من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها
من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة
وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشية من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين
هم على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوة والصدقات
الموظفة للسائل للذي يسأل والمحروم والذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم
الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين
والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض يدل
على انه لا ينبغي لاحد ان يامن عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سبق في سورة المؤمنين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك
هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم والذين هم
بشهاداتهم قائمون يعني لا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد وقرأ يعقوب و
حفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلوتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون
فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها
على غيرها وفي نظم هذه الصلة مبالغات لا تخفى اولئك في جنت مكرمون بثواب الله سبحانه فمال الذين
كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة
من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله عليه السلام حلقا حلقا
ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله
لنكون فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له
والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق
بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل

باخلاق الملائكة ١٢

فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين او استدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية
التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم لعدم ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب
انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلكم وهو خير
منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا
يومهم الذي يوعدون مر في آخر الطور يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كأنهم
الى نصب منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص نُصُب بالضم على انه تخفيف
نُصُب او جمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة مر تفسيره ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون

سورة نوح مكية وآيها تسع او ثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن
الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب
الآخرة او الطوفان قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في الشعراء
نظيره وفي ان يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم
به في الآخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل
الذي قدره الله اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات
الامهال والتأخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب
الحيوة كأنهم شاكون في الموت قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا
من الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم
الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في آذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا
ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة
الطلب للمبالغة واصروا واكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه
واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم
واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه
فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب
على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون
بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكأنهم لما امرهم
بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم

بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعد لهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم
وتمادى اصرارهم حبس الله سبحانه عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم الله بذلك
على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم
جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمدرار
كثير الدر ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله
وقارا لا تأملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم
ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن
الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار من حيث انها
موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا
ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة
اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق
فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في
السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة
الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشأكم منها فاستعير
الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر
اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر
كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض
بساطا مبسوطة تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل
معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا
واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة
وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد ادت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على
لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك
احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح عليه السلام وقالوا لا تذرن آلهتكم اي عبادتها
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اي ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء
رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت
الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم

وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او
للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل
المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين
في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم
اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين
الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير
النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة
من دون الله لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا وهو
مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال
والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرأ
احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ وشمخا
بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات
الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبي عليه السلام من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين
الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي وقرئ أحي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل وفاعله انه
استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية او الهوائية
وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام ما رآهم
ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله فقالوا انا سمعنا
قرآنا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة
يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به بالقرآن ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل
القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول
وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع و
ابو بكر الا في قوله وانه لما قام على انه استئناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان
من قولهم معطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي عظمته
من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالتعالي
عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ
جدا بالتمييز وجد بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه

من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو
البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشتط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله وانا ظننا ان لن
تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله سبحانه
وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا مكذوبا فيه ومن قرأ لن تقول
كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن فان الرجل اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم
فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم
والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والآيتان
من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام من الله سبحانه ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به
ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار
من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا
حراسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضيء المتولد
من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للرصد
والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اي شهابا
راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر
بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم
رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف
الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال
او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن
نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن
نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن آمنا به
فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها
به بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء نقص لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما
لان من حق الايمان بالقرآن ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق
الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب
واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اي ان الشان
لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق

وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه
لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القران
لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه
عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله وقرأ غير الكوفيين بالنون عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب
ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن
جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله
عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله
او آرابه السبعة او السجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي وانما ذكر لفظ العبد للتواضع
فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه وقرأ نافع وابو بكر بكسر الهمزة يدعوه يعبده
كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته
او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة
الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهو لغة وقرئ لبدا كسجد جمع لابد ولبدا كصبر بضمتين
جمع لبود قال انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم
على مقتي وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا
او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني
من الله احد ان اراد بي سوء ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا او ملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من قوله
لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه
ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله
بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على
فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا رأوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الآخرة
والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له و
عصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو او هم قل ان ادري ما ادري اقريب ما توعدون
ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا رأوا ما يوعدون قالوا متى يكون
انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع
على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من
رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون
بغير وسط وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة

بتوسط الانبياء فانه يسلك من بين يديه من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه
من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون
ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى
كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا و
كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل
مفتوحة الميم والمكسورها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي عليه السلام تهجينا لما كان
عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه كان يصلي متلففا
بمرط مفروش على عائشة رضي الله عنها فنزل او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل
او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ
بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه الاستثناء من الليل
ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص
عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون
التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت و
ان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص
عنه والزائد عليه ورتل القرآن ترتيلا اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من
قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة
ثقيل على المكلفين سيما على الرسول اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل التكليف
عليه بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل
على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل
تلقيه لقول عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض
عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستانف فان التهجد يعد
للنفس ما به يعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا
نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له والعبادة
التي تنشأ بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشأت
اذا ابتدأت هي اشد وطأ اي كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء اي مواطأة القلب اللسان
لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا او اثبت قراءة لحضور

القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان
مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر
اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا واذكر الله وذكر الله يتناول كل ما يذكر من تسبيح وتحميد
وتهليل وصلوة وقراءة قران ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك
عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف
او مبتدا خبره لا اله الا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف
القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة فان توحده بالالوهية تقتضي ان يوكل
اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم
وتكل امرهم الى الله كما قال وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم
اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا ان لدينا انكالا وجحيما
تعليل للامهال النكل القيد الثقيل وطعاما ذا غصة طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا
اليما ونوعا اخر من العذاب مولما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها
الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص
الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن التجلي بانوار القدس فسر العذاب
بالحرمان عن لقاء الله تعالى يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى
الفعل وكانت الجبال كثيبا مهيلا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من
هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة
والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى عليه السلام لم يعينه لان المقصود لم يتعلق به
فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ
لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب
يوم يجعل الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى
وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول السماء منفطر منشق والتذكير على تاويل السقف
او اضمار شيء به بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للالة كان وعده مفعولا
الضمير لله عز وجل او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الايات الموعدة تذكرة عظة
فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي يتقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه وقرأ هشام ثلثي
الليل وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك

ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان تقديم اسمه مبتدا
مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن تحصوه اي لن تحصوا تقدير الاوقات ولن
تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤا ما تيسر
من القران فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل
كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القران
بعينه كيف ما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص
والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله
والضرب في الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم واخرون يقاتلون في سبيل الله
فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة واتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا
يريد به الامر بسائر الانفاقات في سبيل الخير او باداء الزكوة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما
صرح به في قوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه
الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تاكيد او فصل لان افعل من
كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في مجامع
احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل
رفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

سورة المدثر مكية وايها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار روي انه عليه السلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني
وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني
فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هي اول سورة نزلت وقيل تاذى من قريش فتدثر مغتما فنزلت قم من مضجعك او قم
قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما
ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء
عقدا وقولا روي انه لما نزل كبر رسول الله عليه السلام وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يامر بذلك
والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن من شيء فكبر ربك او الدلالة على ان المقصود الاول
من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم
بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب في الصلوة محبوب
في غيرها وذلك بغسلها وحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض
العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنية فيكون امرا باستكمال
القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد

والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح
وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا نهى عن الاستغزار
وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته
والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ
مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه
من من بكذا او تستكثره بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون
الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي واحضر الوغى بالرفع ولربك ولوجهه او امره فاصبر فاستعمل
الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين فاذا نقر في الناقور في الصور فاعول
من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قال اصبر على
اذاهم فبين ايديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل
عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى
وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدل له او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت
وقوع يوم عسير غير يسير تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره
على المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزل في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اي
ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من
العائد المحذوف اي ومن خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله تعالى به تهكما
او ارادة انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا
كثيرا او ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع
بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج الى ان يرسلهم في مصالحه لكثرة
خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال
فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض
حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه
وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم
ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه كان لآياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع
على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال
بعد نزول الآية في نقصان ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو
مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه

كذلك

كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القران
وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان
يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك
روي انه مر بالنبي عليه السلام وهو يقرأ حم السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو
من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو
ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام
فناداهم فقال اتزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن
وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل
واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم
للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعده على اصلها ثم نظر اي في امر القران مرة بعد اخرى
ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر رسول الله عليه السلام وقطب في وجهه
وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى
ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر وقوله ان هذا
الا قول البشر بدل من سارهقه صعودا وما ادريك ما سقر تفخيم لشانها وقوله لا تبقي ولا تذر بيان لذلك
او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر
مسودة لاعالي الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة
يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة
والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة وكل صنف معذب بترك الاعتقاد والاقرار
والعمل انواعا من العذاب تناسبها على كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها
بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او صنف او ان الساعات اربعة وعشرون خمسة منها مصروفة في الصلوة
فتبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين
كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة كل عشير
جمع يعني نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين
فلا يرقون لهم ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبا لله روي ان ابا جهل لما سمع
عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر
عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى

هذا العدد

هذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد بالجعل القول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن
الذين اوتوا الكتب ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد وصدق القران لما رأوا ذلك موافقا لما فى
كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق اهل الكتب له ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتب والمؤمنون اى فى ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفى لما يعرض المتيقن
حيثما عراه شبهة وليقول الذين فى قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون فى المدينة
بعد الهجرة والكفرون الجازمون فى التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اى شىء اراد بهذا العدد
المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء ويهدى
من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين وما يعلم
جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها
وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هى وما سقر او عدة
الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها والقمر
واليل اذ دبر اى ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ ادبر على المضى والصبح
اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر لاحدى البلايا الكبر اى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة
منها وانما جمع كبرى على الكبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة
فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد نذيرا للبشر تمييز اى لاحدى
الكبر انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اى نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف
عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس
بما كسبت رهينة مرهونة عند الله سبحانه مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة
لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال
فى جنت لا يكتنه وصفها وهى حال من اصحاب اليمين او ضميرهم فى قوله يتساءلون عن المجرمين
اى يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اى دعوناه وقوله ما سلككم
فى سقر بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤلين والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلوة
الواجبة ولم نك نطعم المسكين ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا
نخوض مع الخائضين نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه
اى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيمة حتى اتنا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة
الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اى معرضين عن التذكير

يعنى القران او ما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم فى اعراضهم ونفارهم
عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اى اسد فعولة من القسر وهو القهر وقرأ نافع وابن عامر
بفتح الفاء بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبى
عليه السلام لن نتبعك حتى تاتى كلا منا بكتاب من السماء فيها من الله الى فلان اتبع محمدا كلا ردع عن اقتراحهم
الايات بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم
انه تذكرة واى تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله
ذكرهم او مشيتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله وقرأ
نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر
عباده سيما المتقين منهم عن النبى عليه السلام من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من
صدق محمدا وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية واياتها تسع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد شائع فى كلامهم كما قال امرؤ القيس
لا وابيك ابنة العامرى لا يدعى القوم انى افر وقد مر الكلام فى قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل
لاقسم بغير الف بعد اللام وكذا روى عن البزى ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التى تلوم
النفوس المقصرة فى التقوى يوم القيمة على تقصيرها او التى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة
او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روى انه عليه الصلوة والسلام قال ليس من نفس
برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت
ياليتنى كنت قصرت او نفس ادم فانها لم تزل تلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيمة لان المقصود
من اقامتها مجازاتها ايحسب الانسان يعنى الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب او الذى نزل
فيه وهو عدى بن ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيمة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك
اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء
للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوى بنانه نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها
ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوى بنانه الذى هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل
الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اى نحن قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون
استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم
على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسأل ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق
البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من
البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح وخسف القمر وذهب ضوءه

وقرئ على بناء المفعول وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف
فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع
باستتباع الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس
وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر اي الفرار يقوله قول
الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار
من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او
الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيته موضع قرارهم يدخل من شاء الجنة ومن شاء النار ينبؤ
الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة عمل بها بعده
من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها
لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو
جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير قياس كالمناكير فان قياسه
معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك يا محمد به بالقران لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتاخذه
على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك وقرانه واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل
للنهي فاذا قراناه بلسان جبرئيل عليك فاتبع قرانه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم ان علينا
بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض
بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف
بها في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى
انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا
بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قراناه فاتبع قراءته بالاقرار او بالتامل فيه ثم ان
علينا بيانه بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل
بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني ادم مطبوعون على الاستعجال و
ان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين
بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث
تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة
انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى
بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب
العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد

كلوجه

كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة
اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من
راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة
الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها
والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف
الآخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه الى الله تعالى وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله
اي فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب وتولى
عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله
يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي واصله اولاك الله ما تكرهه
واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او
فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان
ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة
تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون
في الآخرة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله وقرأ حفص يمنى بالياء
فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على ما قرر
مرارا ولذلك رتب عليه قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا قراها قال سبحانك بلى وعنه من قرأ سورة القيامة شهدت له انا وجبرئيل يوم القيمة
انه كان مؤمنا به

سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله أهل كقوله أهل رأونا
بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا
مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان
او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان من نطفة او آدم
بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وصف النطفة
به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك
يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء
المرأة اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه
في موقع الحال اي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء

فجعلناه

فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف
بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اي بنصب الدلائل وانزال الآيات اما
شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اي هديناه في حالتيه جميعا او مقسوما اليهما
بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر
مجاز وقرئ أما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا
بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما الماخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون
واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم
وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة
ان الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد يشربون من كاس من خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه
كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور
في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به عينا بدل من كافورا ان جعل
اسم ماء ومن محل من كاس على تقدير مضاف اي ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل
يفسره ما بعدها يشرب بها عباد الله اي ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من او الشرب
مبتدأ منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا يوفون بالنذر استيناف ببيان ما
رزقوا لاجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من
وفى بما اوجبه على نفسه لله تعالى كان اوفى بما اوجبه الله سبحانه عليه ويخافون يوما كان شره شدائده
مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن
عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام او الاطعام مسكينا
ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه عليه السلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول
احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك
انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة
للاجر وعن عائشة انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم
بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله سبحانه لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا
انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم ولا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب يوم عبوسا يعبس فيه
الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه
من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة فوقاهم
الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم

وجزاهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه
وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس
فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما صوم ثلث ان برءا فشفيا
وما معهم شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا
واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا
الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة
اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبرئيل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك
متكئين فيها على الارائك حال من هم في جزاهم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
يحتملها وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا
بارد موذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر
والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها حال او صفة اخرى
معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين لقوله ولمن
خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال او صفة وذللت قطوفها
تذليلا معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهل التناول لا تمتنع على
قطافها كيف شاؤا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب واباريق بلا عروة كانت قواريرا قواريرا
من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قواريرا من
نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها راس الآية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير قدروها
تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة
فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم
وقرئ قدروها اي جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون
فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب
الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب
سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به ان ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها
بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا
بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون دائمون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا
من صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض واذا رايت ثم
ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع رايت نعيما وملكا كبيرا

واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكبر
من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بانوار قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس
خضر واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم
او ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا
فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ ابن عامر وابو عمرو بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع
وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع
من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان
الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم
جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم
باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا
آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله عز وجل ووصفه بالطهورية
فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا
بلقائه باقيا ببقائه وهو منتهى درجة الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار ان هذا كان
لكم جزاء على اضمار القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه
غير مضيع انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد
لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم
آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة
على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي
على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي ان يكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما
فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره او دم على صلوة
الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد
به صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا
طويلا وتهجد له طائفة طويلة من الليل ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف
ظهورهم يوما ثقيلا شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم وشددنا
اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا
امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة
وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا

تقرب

تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤن الا ان يشاء الله وما تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتهم
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء ان الله كان عليما بما يستاهل كل احد حكيما
لا يشاء الا ما يقتضيه حكمته يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد
لهم عذابا اليما نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها
وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة
وحريرا

سورة والمرسلات مكية وآيها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسم
بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال امره ونشرن
الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل
فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد
عليه الصلوة والسلام فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق
والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة
الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين
الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب
والالسنة الا ذكر الله سبحانه او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو
ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال
قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتابعة
من عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف
او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين
بالعلية اي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم
التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائي
وحفص بالتخفيف انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجيء القيمة
كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محقت او اذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت واذا الجبال
نسفت كالحب ينسف بالمنسف واذا الرسل اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه
للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره
وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لاي يوم اخرت وضرب
الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه

بمعنى اعلمتنا يوم الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادريك ما يوم الفصل ومن اين تعلم كنهه
ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين اى بذلك وويل فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعله
عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين
كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الاخرين اى ثم نحن نتبعهم
نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الاخرين المتاخرين من المهلكين
كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل
يومئذ للمكذبين بايات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق فى الموضعين
بواحد لان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا للاهلاك فى الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع
فى كلام العرب الم نخلقكم من ماء مهين نطفة قذرة ذليلة فجعلناه فى قرار مكين هو الرحم
الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله للولادة فقدرنا فقدرنا على ذلك او فقدرناه و
يدل عليه قراءة نافع والكسائى بالتشديد فنعم القادرون نحن ويل يومئذ للمكذبين
بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا كافتة اسم لما يكفت اى يضم ويجمع
كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء
اجرى على الارض باعتبار اقطارها احياء وامواتا منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم
او لان احياء الانسان وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به
وهو الانس او بجعل على المفعولية وكفاتا حال او الحالية فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات
ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسى شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم والاشعار بان فيها
ما لم يعرف ولم ير واسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين
بامثال هذه النعم انطلقوا اى يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا وعن
يعقوب انطلقوا على الاخبار عن امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل يعنى ظل دخان جهنم كقوله
تعالى وظل من يحموم ذى ثلث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية
الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدى الى هذا العذاب
هو القوة الواهمة الحالة فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يساره ولذلك
قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ
الظل ولا يغنى من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمى بشرر كالقصر اى كل شررة
كالقصر فى عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر
بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب كانه جملت

جمالات وجمالة جمع جمل صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل
تضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط و
سرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها
وهى الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها فى امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم
لا ينطقون اى بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشىء من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى
بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون
عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن والاعتذار
عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم
عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير وبيان
للفصل فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم بالمؤمنين فى الدنيا واظهار
لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة لهم فى التخلص من العذاب ان المتقين من الشرك
لانهم فى مقابلة المكذبين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون فى انواع
الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اى مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزى المحسنين
فى العقيدة ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد كلوا
وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم ذلك
تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم
ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل واذا قيل لهم
اركعوا اطيعوا واخضعوا او صلوا واركعوا فى الصلوة اذ روى انه نزل حين امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبى فانها مسبة وقيل هو يوم القيمة حين يدعون
الى السجود ولا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل بها على ان الامر للوجوب وان الكفار
مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فباى حديث بعده بعد القران يؤمنون اذا لم
يؤمنوا به وهو معجز فى ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعانى الشريفة قال عليه السلام من قرأ سورة
والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبا مكية وآيها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون اصله عما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم
شان ما يتساءلون عنه كانه لفخامته خفى جنسه فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون
عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم
يتداعونهم ويتراءونهم اى يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبا العظيم بيان لشان المفخم

او صلة يتساءلون وعمّ متعلق بمضمر مفسّر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمّه الذي هم فيه مختلفون
بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار كلّا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا
سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني
في القيامة او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ألم نجعل
الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير لهم ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه تعالى الدالة على كمال
قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا اي انها لكم كالمهد للصبي
مصدر سمّي به ما يمهد لينوّم عليه وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن
الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت
واصله القطع ايضا وجعلنا الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا
وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به او حياة تبعثون فيه عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا
شدادا سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا وقادا
من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من
المعصرات السحاب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع
اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر
السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه
ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج
العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاحا ومثاجح الماء مصابه لنخرج به
حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع
لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق او لفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار
او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان في علم الله تعالى او في حكمه ميقاتا حدا
يؤقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم
الفصل فتأتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر روي انه عليه السلام سئل عنه فقال يحشر عشرة
اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون
على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم
يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون
على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران
لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكل الربا والجائرين في الحكم

والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان
والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء وشققت وقرأ الكوفيون
بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل ابواب او فصارت ذات ابواب و
سيرت الجبال اي في الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق
على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار
الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي
يضمر فيه الخيل او مجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على
التعليل لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح لبثين وهو ابلغ
احقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون
الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى
حقب تبعه آخر وان كان فمن طريق المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل
قوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون
احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز
ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى
لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار
او النوم وبالغساق ما يغسق اي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر
ليتوافق رؤوس الآي وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق
لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا
بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام
الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم
مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين
وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين
فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذّابا وهو
جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه
وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى
الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى
فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة

الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع
فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب
نساء فلكت ثديهن اترابا لدات وكاسا دهاقا ملأ وادهق الحوض ملأه لا يسمعون فيها لغوا ولا
كذابا وقرأ الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده
عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه تعالى شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا
من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك
رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء الرحمن
بالجر صفة له في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب ووافقهم حمزة والكسائي في جر رب ورفع الرحمن
على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي
لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون
عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق
واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف
يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او ليتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او
جبرئيل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه الى
ثوابه مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل
ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير او شر والمرء
عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم
وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول
الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر
سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة والنازعات مكية وآيها خمس وست واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات
ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار عن ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها
من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح المومنين برفق
من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق

البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المومنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيؤها
لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون
في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع
من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط من برج الى
برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فتسبق بعضها في السير لكونها
اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت
حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمي الاولى نزعا والثانية نشطا او
صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع
في القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من
المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى
الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون
بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم
فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر
وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة
ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد
حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التي ترجف الاجرام
عندها وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة
الثانية والجملة في موضع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي
صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى
القلوب يقولون أئنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت من
قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله
عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت
حفرا وهي حفرة ائذا كنا وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر عظاما نخرة بالية
وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص وروح نخرة وهو ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات
خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما
هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية
فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض

البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة التي ماؤها يجري وفي ضدها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هل اتاك حديث موسى اليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى قد مر بيانه في سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما في النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا فاراه الآية الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا في ابطال امره او ادبر بعد ما رأى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او بمناد فقال انا ربكم الاعلى اعلى من كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الآخرة والاولى اخذا منكلا لمن رآه او سمعه في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا موكدا مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شأنه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا فسواها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضاف اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحاها وابرز ضوء شمسها كقوله والشمس وضحاها يريد النهار والارض بعد ذلك دحاها بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعاها ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارساها اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي هي اكبر الطامات وهي القيامة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن

ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر الانسان او ما بعده من التفصيل فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هي المأوى هي مأواه واللام فيها سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي وهي فصل او مبتدأ واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى فان الجنة هي المأوى ليس له سواها مأوى يسألونك عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكريها في اي شيء انت من ان تذكر وقتها مما استأثر الله تعالى بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها مستأنف معناه انت ذكر من ذكراها اي علامة من اشراطها فان ارساله عليه السلام خاتما للانبياء عليهم السلام امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهيها اي منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها اي عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله تعالى في القبر وفي القيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة المكتوبة

سورة عبس مكية وآيها احدى واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت وكان رسول الله يكرمه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ ءان بهمزتين وبالف بينهما بمعنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار كانه يقول تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما يدريك لعله يزكى اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر اي انك طمعت في تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب

جوابا للعل اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرا ابن كثير ونافع
تصّدى بالادغام وقرئ تُصدّى اى تعرض وتُدعى الى التصدى وما عليك الا يزكى وليس عليك باس
فى ان لا يزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما
من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار فى اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى
لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدى والتلهى للاشعار
بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغى له ذلك كلا ردع عن المعاتب
عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او
العتاب المذكور وتانيث الاول لتانيث خبره فى صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان
او خبر لمحذوف مكرمة عند الله مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدى الشياطين بايدى سفرة كتبة
من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او الوحى او سفراء يسفرون بالوحى بين الله تعالى وبين رسله
عليهم السلام او الامة جمع سافر من السفر والسفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المراة اذا كشفت
وجهها كرام اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء
قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو مع قصره
يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اى شئ خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام
للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال
او فقدره اطوارا الى ان تم خلقته ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه
ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير وتعريفه باللام
دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها
ولذلك عقبه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة
وصلة فى الجملة الى الحيوة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا
شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين فى نفسه وانما هو موكول الى مشيته كلا ردع للانسان عما هو عليه
لما يقض ما امره لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد
من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا
استيناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرا الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا
الارض شقا اى بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا
كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى
وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار

غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له
لانه متهيئ للرعى او فاكهة يابسة تؤب للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام
وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اى النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء
من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم
بما قصر فى حقهم وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه
لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه اى يهمه وجوه يومئذ مسفرة
مضيئة من اسفار الصبح ضاحكة مستبشرة بما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة
ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك
يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه
ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف
ضوءها فذهب انبساطه فى الآفاق وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا
والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل
واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر او اظلمت من كدرت الماء فانكدر
واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او فى الجو واذا العشار النوق اللاتى اتى على حملهن عشرة اشهر
جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت
جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس
حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا
واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرا ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف واذا النفوس
زوجت قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس
الكافرين بالشياطين واذا الموءودة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق
العار بهم من اجلهن سئلت باى ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى
لعيسى أانت قلت للناس الآية وقرئ سألت اى خاصمت عن نفسها وقتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت
على الحكاية واذا الصحف نشرت يعنى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب
وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالتشديد للمبالغة
فى النشر او لكثرة الصحف او شدة التطاير واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط
الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير واذا الجحيم سعرت

او قيدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان عنه وحفص ورويس بالتشديد وإذا الجنة
أزلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما أحضرت جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها اثنتا
عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع
شامل لها ولمجازات النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا اقسم
بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها
بقوله تعالى الجوار الكنس اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل
كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد
يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح اذا تنفس اي اضاء غرته عند اقبال روح ونسيم
انه ان القرآن لقول رسول كريم يعني جبريل فانه قاله عن الله تعالى ذي قوة كقوله تعالى
شديد القوى عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على الوحي وثم
يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما
صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليه السلام حيث
عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه
نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد رآه
لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد
صلى الله عليه وسلم على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة
وهي التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالتبليغ والتعليم
والضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرفي
اللسان واصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي
قولهم انه لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول صلى الله عليه وسلم
والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء
منكم ان يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير
وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاءها الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل
والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله عن النبي عليه السلام من قرأ سورة التكوير
اعاذه الله تعالى ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة انفطر مكية وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت
تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت

قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس
ما قدمت من عمل وصدقة واخرت من سنة او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا
يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع
عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف
اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم
لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك
في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم
منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها
والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما تستعدها من القوى وقرأ الكوفيون
فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك
بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها وما مزيدة
وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك
كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وقوله تعالى بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي
في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله
تعالى لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها
يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل
ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين
تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا تدركه دراية دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل
من يوم الدين او الخبر لمحذوف وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انفطرت كتب الله تعالى له بعدد كل
قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن
لان ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث
خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم
الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين
ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم

حقوقهم

ياخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال تحامل
فيه عليهم واذا كالوهم او وزنوهم اى اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل
الفعل كقوله ولقد جنيتك اكموءا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تاكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله
اذ المقصود بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع لا فى المباشرة وعدمها ويستدعى اثبات الالف
بعد الواو كما هو خط المصحف فى نظائره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن ذلك لم يتجاسر
على امثال هذه القبائح فكيف من تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم ليوم عظيم عظمه الله تعالى لعظم
ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب
العالمين لحكمه وفى هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه
لله تعالى والتعبير عنه برب العالمين مبالغات فى المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف
والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفى سجين
كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال الله تعالى وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم اى
مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب
الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب
السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين
يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد متجاوز
عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم
منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه
اياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه
دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما
ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمى
عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه الصلوة والسلام
ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران
باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين
ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا
مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون بها ثم يقال
هذا الذى كنتم به تكذبون يقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب

بوعد

بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفى عليين
وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر فى نظيره يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه
او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفى نعيم على الارائك على الاسرة فى الحجال ينظرون
الى ما يسرهم من النعيم والمتفرجات تعرف فى وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف
على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اى مختوم
اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاستها او الذى له ختام اى مقطعه رائحة المسك
وقرأ الكسائى خاتمه بفتح التاء اى ما يختم به ويقطع وفى ذلك يعنى الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون
فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة
شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله تعالى ويمزج
لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام فى الباء كما فى يشرب بها عباد الله
ان الذين اجرموا يعنى رؤساء قريش كانوا من الذين امنوا يضحكون كانوا يستهزؤن بفقراء
المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى
اهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين واذا رأوهم قالوا ان
هؤلاء لضالون واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المؤمنين حافظين
يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون
حين يرونهم اذلاء مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا
اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار
ما كانوا يفعلون وقرأ حمزة والكسائى بادغام اللام فى الثاء قال النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة الانشقاق

مكية وآيها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رض تنشق من المجرة واذنت
لربها واستمعت له اى انقادت لتاثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذى يأذن للآمر
ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض
مدت بسطت بان تزال جبالها وآكامها والقت ما فيها ما فى جوفها من الكنوز والاموات وتخلت
وتكلفت فى الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شئ فى باطنها واذنت لربها فى الالقاء والتخلى وحقت
للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام
او الاكتفاء بما مر فى سورتى التكوير والانفطار او بدلالة قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح

الى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقٍ الانسان كدحه اي جهدًا يؤثر فيه من كدح جلده اذا خدشه او فملاق
ويا ايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه فاما من اوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله مسرورا الى عشيرته المؤمنين
او فريق المؤمنين او اهله في الجنة من الحور واما من اوتي كتابه وراء ظهره اي يؤتى كتابه بشماله من
وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه
وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلّى كقوله وتصلية جحيم
وقرئ ويُصلى كقوله ونصليه جهنم انه كان في اهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن
الآخرة انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله تعالى بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا
عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب
بعد الغروب وعن ابي حنيفة رح انه البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة والليل وما وسق وما
جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا او
طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق
حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة
بعد المراتب هي الموت ومواطن القيمة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول على معنى
لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة
المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبق او حال من الضمير بمعنى
مجاوزا الطبق او مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون بيوم القيمة واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون
لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه عليه السلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه
من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة رح على وجوب السجود فانه
ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها بل الذين كفروا يكذبون اي بالقرآن والله اعلم بما يوعون
بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وامن منهم لهم اجر غير
ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله تعالى
ان يعطيه كتابه من وراء ظهره

سورة البروج مكية وآيها اثنتان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور

لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او
ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد
ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف
اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد
ومشهود او النبي وامته او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق
مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم
الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحب الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير
لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود
فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود
الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر
فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم
حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان
الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فسأله الملك عمن ابرأه
فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل
الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت
السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتاخذ سهما من
كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه ومات فآمن الناس فامر
باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي
فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رض ان بعض ملوك المجوس
خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من ابى
وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد النار بدل
من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام
في الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين
شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم
القيمة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا منهم وما انكروا الا ان يؤمنوا بالله العزيز
الحميد استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه
بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله تعالى الذي له ملك السموات

والارض والله على كل شيء شهيد للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
بلوهم بالاذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد
في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي ان النار
انقلبت عليهم فاحرقتهم ان الذين امنوا وعملوا الصلحت لهم جنت تجري من تحتها الانهر ذلك
الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه ان بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فان
البطش اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة
في الدنيا ويعيده في الاخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه
وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب
الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته
فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتك حديث الجنود فرعون
وثمود ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق
بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم بل الذين كفروا في تكذيب
لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا اثار هلاكهم
وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو قران
مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب وحيد شريف في النظم والمعنى وقرئ قران مجيد بالاضافة
اي قران رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف وقرا نافع محفوظ بالرفع صفة للقران وقرئ في
لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وايها سبع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق والكوكب البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالاتي
ليلا ثم استعمل للبادي فيه وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوءه
فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره
بما يخصه تفخيما لشانه ان كل نفس لما عليها حافظ اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ رقيب فان هي المخففة
واللام الفاصلة وما زائدة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على
الوجهين جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه بوصية
الانسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته خلق من ماء
دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين

في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب بين صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام صدرها
ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان تتولد
منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء
معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو
في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني ولذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب
بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب انه على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل
عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الاعمال وما خبث منها
وهو ظرف لرجعه فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء
ذات الرجع ترجع في كل دورة الى الموضع الذي تتحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي اوبا لان الله
يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان
يراد بالسماء السحاب والارض ذات الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات
والعيون انه ان القران لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فانه جد كله انهم
يعني اهل مكة يكيدون كيدا في ابطاله واطفاء نوره واكيد كيدا واقابلهم بكيدي في
استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكفرين فلا تشتغل بالانتقام
منهم او لا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة
التسكين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر
حسنات

سورة سبح اسم مكية وايها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما
فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك
العظيم قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال صلى الله عليه وسلم
اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي
خلق فسوى خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتاتى كماله ويتم معاشه والذي قدر
اي قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واجالها وقرا الكسائي
قدر بالتخفيف فهدى فوجهه الى افعاله طبعا او اختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل
وانزال الايات والذي اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء احوى
يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة خضرته سنقرئك على لسان
جبرئيل او سنجعلك قاريا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ مع انك امي ليكون

ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الآيات وقيل نهى والالف
للفاصلة كقوله تعالى السبيلا الا ما شاء الله نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما
روى انه عليه السلام اسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب ابي رض انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفي
النسيان رأسا فان القلة تستعمل للنفي انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك
بالقراءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء
ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي او التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة
قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وانه يعلم اعتراض فذكر بعد ما استتب لك الامر ان نفعت
الذكرى لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس عن البعض لئلا يتعب
نفسه ويتلهف عليهم كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار الآية او لذم المذكرين واستبعاد تأثير
الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا امكن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى
سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله فانه يتفكر فيها فيعلم حقيقتها وهو يتناول
العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من
الكفرة لتوغله في الكفر الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم
هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم او ما في الدرك الاسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح
ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاء او
تطهر للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى كقوله تعالى اقم الصلوة
لذكري ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره
يوم العيد فصلى صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة والخطاب
للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعي للدنيا اكثر في الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء
والآخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له ان هذا لفي الصحف
الاولى الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابراهيم
وموسى بدل من الصحف الاولى قال عليه السلام من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل
حرف انزله الله تعالى على ابراهيم وموسى عليهما السلام

سورة الغاشية مكية وآيها ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتاك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة
او النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل
ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها
ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب

وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى من عين
آنية بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام
رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد
طعامهم مما يتحاماه الابل وتعافه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع والمقصود
من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت
ثوابه في جنة عالية علية المحل او القدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرئ على بناء المفعول بالياء ابن
كثير وابو عمرو ورويس والتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام
اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر
مرفوعة رفيعة السمك او القدر واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم
ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية
مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن
تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة
لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها
قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات
التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب
على الاستعارة والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت فهي راسخة لا تميل والى
الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم
وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا
كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير
فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست
عليهم بمصيطر بمتسلط وقرأ هشام بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر
لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني عذاب الآخرة وقيل الاستثناء متصل فان جهاد
الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وقيل هو
استثناء من قوله تعالى فذكر اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض
ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر
فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان
علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم بالصبح او فلقه كقوله تعالى والصبح اذا تنفس
او بصلوته وليال عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها
للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر والاشياء كلها شفعها
ووترها او الخلق لقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر
والافلاك او البروج والسيارات او شفع الصلوة ووترها او بيومي النحر وعرفة وقد روي مرفوعا
او بغيرهما فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في
الدين او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ غير حمزة والكسائي والوتر بفتح الواو
وهما لغتان كالحبر والحبر والليل اذا يسر اذا يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والتقييد بذلك
لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف
الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير
ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك القسم او المقسم به قسم
حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي
كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه
قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود
سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم
ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث
ذات العماد ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد
وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر
الجنة فبنى على مثالها في بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تم سار اليها باهله فلما كان منها على
مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب
ابل له فوقع عليها التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعل اسم القبيلة
او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا
بالواد وادي القرى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا
نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين
عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب

مرفوع فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب
واصله الخلط وانما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل
شبه بالسوط ما احل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس
الى السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته
وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب فاما الانسان متصل بقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد كانه قيل
انه لبالمرصاد في الآخرة فلا يريد الا السعي لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا
ما ابتليه ربه اختبره بالغنى واليسر فاكرمه ونعمه بالجاه والمال فيقول ربي اكرمن فضلني بما
اعطاني وهو خبر المبتدأ الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط في
تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله تعالى
واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتليه اي بالفقر والتقتير
ليوازن قسيمه فيقول ربي اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين
اذ التوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه
عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة
تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء في الوصل والوقف
وعن ابي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم ولا
تحضون على طعام المسكين اي بل فعلهم اسوأ من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا
يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون
ولا تحاضون وتأكلون التراث الميراث واصله وراث اكلا لما ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم
كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام
عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب ولا
يكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه
اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء
ربك اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته
وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم
وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها
يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان اي يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها

فيندم عليها وأنى له الذكرى أى منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول
التوبة فإن هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت لحياتي أى لحياتي هذه أو وقت
حياتي في الدنيا أعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فإن المحجور
عن الشيء قد يتمنى أن كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد الهاء لله
تعالى أى لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه يوم القيمة سواه إذ الأمر كله له أو للإنسان أى لا يعذب
أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول يا أيتها النفس المطمئنة
على إرادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله تعالى فإن النفس تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات
إلى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره أو إلى الحق بحيث لا يريبها شك أو الآمنة
التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها ارجعي إلى ربك إلى أمره أو موعده بالموت ويشعر ذلك
بقول من قال كانت النفوس قبل الأبدان موجودة في عالم القدس أو بالبعث راضية بما أوتيت
مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم أو في زمرة
المقربين فتستضيء بنورهم فإن الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة أو فادخلي في أجساد عبادي التي فارقت
عنها وادخلي في دار ثوابي التي أعددت لك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر
غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وآيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد أقسم
سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول صلى الله عليه وسلم فيه إظهارا لمزيد فضله وإشعارا بأن
شرف المكان بشرف أهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره أو حلال لك
أن تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما أحل له عام الفتح ووالد عطف على هذا
البلد والوالد آدم أو إبراهيم وما ولد ذريته أو محمد صلى الله عليه وسلم والتنكير للتعظيم وإيثار
ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله أعلم بما وضعت لقد خلقنا الإنسان في كبد تعب ومشقة
من كبد الرجل كبدا إذا وجعت كبده ومنه المكابدة والإنسان لا يزال في شدائد مبدأها
ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده
من قريش والضمير في أيحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه أكثر أو يغتر بقوته كأبي الأشد بن كلدة
فإنه كان يبسط تحت قدميه أديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه أو لكل واحد منهم
أو للإنسان أن لن يقدر عليه أحد فينتقم منه يقول أى في ذلك الوقت أهلكت مالا لبدا
كثيرا من تلبد الشيء إذا اجتمع والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة أو معاداة للرسول صلى الله عليه وسلم
أيحسب أن لم يره أحد حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه يعني أن الله يراه فيجازيه

أو يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين
يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريقي الخير والشر
أو الثديين وأصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة أى فلم يشكر تلك الأيادي باقتحام العقبة وهو الدخول
في أمر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والإطعام في قوله وما أدراك ما العقبة
فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد
المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فإنها لا تكاد تقع إلا مكررة إذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا
والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في النسب وترب إذا افتقر وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو والكسائي فك رقبة أو أطعم على الإبدال من اقتحم وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض معناه
إنك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم أو فك بثم لتباعد الإيمان
عن العتق والإطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر وأوصى بعضهم
بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمة الله أولئك أصحب
الميمنة اليمين أو اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن هم أصحب
المشأمة الشمال أو الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الإشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى عليهم
نار مؤصدة مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته وأغلقته وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من
آصدته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه
يوم القيمة

سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم
والشمس وضحاها وضوئها إذا أشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح
والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر إذا تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها
ليلة البدر أو في الاستدارة وكمال النور والنهار إذا جلاها جلى الشمس فإنها تتجلى إذا انبسط النهار
أو الظلمة أو الدنيا أو الأرض وإن لم يجر ذكرها للعلم بها والليل إذا يغشاها يغشى الشمس فيغطي ضوءها
أو الآفاق أو الأرض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الأولى القسمية الجارة بنفسها النائبة
مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المقدمين ربط الواو
لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين
والسماء وما بناها ومن بناها وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل والشيء القادر الذي
بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناها ولذلك أفرد ذكره وكذا الكلام في قوله والأرض وما طحاها
ونفس وما سواها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فألهمها فجورها
وتقواها بقوله وما سواها إلا أن يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت

نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم عليه السلام فألهمها فجورها وتقواها إفهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد أفلح من زكّاها أنماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكأنه لما أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو أقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض أحوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دسّاها نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق وأصل دسّى دسّس كتقضّى وتقضّض كذبت ثمود بطغواها بسبب طغيانهم أو بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية وأصله طغياها وإنما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى إذ انبعث حين قام ظرف لكذبت أو طغوى أشقاها أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو ومن مالأه على قتل الناقة فإن أفعل التفضيل إذا أضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله أي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقياها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب إن فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا ألبسها الشحم بذنبهم بسببه فسوّاها فسوّى الدمدمة بينهم أو عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير أو ثمود بالإهلاك ولا يخاف عقباها أي عاقبة الدمدمة أو عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض الإبقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل مكية وآيها إحدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل إذا يغشى أي يغشى الشمس أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه والنهار إذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والأنثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والأنثى من كل نوع له توالد أو آدم وحواء وقيل ما مصدرية إن سعيكم لشتى إن مساعيكم لأشتات مختلفة جمع شتيت فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من أعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة من يسّر الفرس إذا هيأه للركوب بالسرج واللجام وأما من بخل بما أمر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بإنكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية إلى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي أو استفهام إنكار إذا تردى هلك تفعّل من الردى وهو الهلاك أو تردى في حفرة القبر أو قعر جهنم إن علينا للهدى للإرشاد إلى الحق بموجب قضائنا أو بمقتضى حكمتنا أو إن علينا طريقة الهدى كقوله

وعلى الله قصد السبيل وإن لنا للآخرة والأولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء أو ثواب الهداية للمهتدين أو فلا يضرنا ترككم الاهتداء فأنذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصلاها لا يلزمها مقاساة شدتها إلا الأشقى إلا الكافر فإن الفاسق وإن دخلها لم يلزمها ولذلك سماه أشقى ووصفه بقوله الذي كذب وتولى أي كذب الحق وأعرض عن الطاعة وسيجنبها الأتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فإنه لا يدخلها فضلا أن يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك أن من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق الذي يؤتي ماله يعطيه في مصارف الخير لقوله يتزكى فإنه بدل من يؤتي أو حال من فاعله وما لأحد عنده من نعمة تجزى فيقصد بإيتائه مجازاتها إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى استثناء منقطع أو متصل عن محذوف مثل لا يؤتي إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت في أبي بكر رض حين اشترى بلالا في جماعة يؤذيهم المشركون فأعتقهم ولذلك قيل المراد بالأشقى أبو جهل وأمية بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية وآيها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى وقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لأن النهار يقوى فيه أو لأن فيه كلم موسى ربه وألقي السحرة سجدا أو النهار ويؤيده قوله أن يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل إذا سجى سكن أهله أو ركد ظلامه من سجا البحر سجوا إذا سكنت أمواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الأصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما أبغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روي أن الوحي تأخر عنه أياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف أو لزجره سائلا ملحا أو لأن جروا ميتا كان تحت سريره أو لغيره فقال المشركون إن محمدا صلى الله عليه وسلم ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك من الأولى فإنها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كأنه لما بين أنه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعد له ما هو أعلى وأجل من ذلك في الآخرة أو لنهاية أمرك خير من بدايته فإنه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الأمر وإعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير ولأنت سوف يعطيك لا للقسم فإنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لحكمة ألم يجدك يتيما فآوى تعديد لما أنعم عليه تنبيها على أنه كما أحسن

اليه فيما مضى عسى فيما يستقبل ووجدك من الوجود بمعنى العلم وبيتيما مفعوله الثانى او المصادفة ويتيما
حال ووجدك ضالا عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر وقيل
وجدك ضالا فى الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على
جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح
التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه
واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة
النبوة والتحديث بها تبليغها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن
يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل يتيم وسائل **سورة الم نشرح**
مكية واٰيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع
مناجاة الحق ودعوة الخلق وكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه
ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقى الوحى بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روى ان جبريل
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله
اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه
ووضعنا عنك وزرك عبأك الثقيل الذى انقض ظهرك الذى حمله على النقيض وهو صوت
الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او
حيرته او تلقى الوحى او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم
فى ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها واى رفع مثل ان قرن اسمه
باسمه فى كلمتى الشهادة وجعل طاعته فى طاعته وصلى عليه فى ملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وخاطبه بالالقاب
وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض
للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من
روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى ما فى ان مع من المصاحبة المبالغة فى معاقبة اليسر
للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين ان مع العسر يسرا تكرير للتأكيد او استيناف وعدة بان العسر
مشفوع بيسر اخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة اى فرحة عند الافطار وفرحة عند
لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد
او للجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد يغاير ما اريد بالاول فاذا فرغت من التبليغ
فانصب فاتعب فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السابقة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل
اذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة او فاذا فرغت من الصلوة فانصب بالدعاء والى ربك

فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغّب اى رغب الناس الى طلب
ثوابه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الم نشرح فكانما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى **سورة التين**
مختلف فيها واٰيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان
التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل
البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفى
الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف
كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة
او مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان وطور سينين يعنى الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه
وسينين وسيناء اسمان للموضع الذى هو فيه وهذا البلد الامين اى الآمن من امن الرجل
امانة فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة لقد خلقنا الانسان يريد به
الجنس فى احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر
سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار
وقيل ارذل العمر فيكون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع
او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك فاى شئ يكذبك يا محمد
دلالة او نطقا بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان
على الالتفات والمعنى فما الذى يحملك على هذا الكذب أليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى
أليس الذى فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا
على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله العافية
واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة **سورة العلق**
مكية واٰيها تسع عشرة وهى اول سورة نزلت وقيل الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم
اقرأ باسم ربك اى اقرأ القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا به الذى خلق اى الذى له الخلق او الذى
خلق كل شئ ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من
القراءة فقال خلق الانسان او الذى خلق الانسان فابهم اولا ثم فسره تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب
فطرته من علق جمعه لان الانسان فى معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل
اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرأ تكرير للمبالغة او الاول مطلق
والثانى للتبليغ او فى الصلوة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ
وربك الاكرم الزائد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم

وحده على الحقيقة الذي علم بالقلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قاريا وقد عدد سبحانه مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشارا اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى اى رأى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى نزلت فى ابى جهل قال لو رايت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى والدلالة على كمال عبودية المنهى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثانى الواقع موقع القسم له والمعنى اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه او امر بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما نقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارايت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبرنى ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى انتهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلوة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل او لان نهى العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهى لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشىء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتبته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطاء وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة فليدع نادية اى اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم وروى ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت سندع الزبانية

ليجروه الى النار وهو فى الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبنى على النسب واصلها زبانى والتاء معوضة عن الياء كلا ردع ايضا للناهى لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفى الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطى من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه فى ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذى انزل فيه بقوله وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدأ انزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه فى فضلها وهى فى اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعى الى اخفائها ان يحيى من يريدها ليالى كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روى انه عليه السلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فتعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما له فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض او الى السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر اى من اجل كل امر قدر فى تلك السنة وقرئ من كل امرئ اى من اجل كل انسان سلام هى ما هى الا سلامة اى لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضى فى غيرها السلامة والبلاء او ما هى الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اى وقت مطلعه اى طلوعه وقرأ الكسائى بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطى من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة لم يكن مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم البينة الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ يتلو صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما فى الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبريل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتى ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد فى دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به

واقرادا اهل الكتب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان
غيرهم بذلك اولى وما امروا اى فى كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء
مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوه وبدلوه وعصوا وذلك دين
القيمة دين الملة القائمة ان الذين كفروا من اهل الكتب والمشركين فى نار جهنم خلدين فيها اى يوم
القيمة او فى الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما
فى نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اى الخليقة وقرأ نافع وابن ذكوان البريئة
بالهمزة على الاصل ان الذين امنوا وعملوا الصلحت اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم
جنت عدن تجرى من تحتها الانهر خلدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن
بان ما منحوا فى مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة
ووصفا بما يزدادها نعيما وتأكيد الخلود بالتابيد رضى الله عنهم استيناف بما يكون لهم زيادة
على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى اما نيهم ذلك اى المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشى
ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن
كان يوم القيمة مع خير البرية مسا ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة
الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس فى الابنية فعلال
بالفتح الا فى المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما فى جوفها من الدفائن او الاموات جمع ثقل
وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان
المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها
وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر
بان ربك اوحى لها اى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها
ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا او بكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها فى ذلك
تشفى من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين
بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم وقرأ هشام باسكان الهاء ولعل
حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران فى نقص الثواب والعقاب وقيل الاية مشروطة
بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا
والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان

كمن قرأ القران كله

سورة العاديات مختلف فيها وآيها احدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديت ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت
انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال
بمعنى ضابحة فالموريت قدحا فالتى تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرت
تغير اهلها على العدو صبحا اى فى وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن
به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اى ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء روى انه عليه السلام
بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن
الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعاديات اذا ظهر لهن مبدأ انوار القدس
فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا
او العاصى بلغة كندة او البخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم وانه
على ذلك اى الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد
فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوى مبالغ فيه افلا
يعلم اذا بعثر نعث ما فى القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا فى الصحف
او ميز ما فى الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيمة
لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شانهم فى الحالين وقرئ
ان وخبير بلا لام عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد
من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وآيها عشر

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه فى الحاقة
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث فى كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر
دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذى الالوان المنفوش المندوف لتفرق
اجزائها وتطايرها فى الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو فى عيشة
راضية ذات رضا او مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت
سيئاته على حسناته فامه هاوية فماواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادريك ما هيه
نار حامية ذات حمى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله به ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم
الهكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل التكاثر التباهى بالكثرة
حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم

الى ذكر الموتى بزيارة القبور روى ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف
فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادّونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم وانما حذف
الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهٰكم التكاثر بالاموال
والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيّعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخراكم
فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همه
ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطأ رايكم اذا عاينتم
ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا عن غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وفي
ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول والاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور
كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم
ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم
ولا يجوز ان يكون قوله تعالى لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف
اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقرأ ابن عامر والكسائي بضم التاء
ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد
بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة
اعلى مراتب اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الذي الهٰكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه
دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله تعالى من حرم زينة الله
كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ الهٰكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر
كانما قرأ الف آية

سورة والعصر وآيها ثلاث بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض
بنفي ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الناس لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم
في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الآخرة
بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق الثابت الذي لا يصح انكاره
من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف
الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر
سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عداه يؤدي الى خسر ونقص حظ
او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله

قوله وهذا من عطف الخاص اشارة الى قوله تعالى وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فانه خاص وعملوا الصالحات عام ١٢ قوله الا ان يخص اي يراد بعملوا الصالحات ما كان مقصورا على كمال النفس دون ما يتعلق بتكميل الغير فلا يدخل التواصي فيه لانه تكميل الغير قصدا وان استلزم الكمال ايضا ١٢

وكان ممن يواصي بالحق ويواصي بالصبر

سورة الهمزة مكية وآيها تسع بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن
فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة
لمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس
بن شريق فانه كان مغتابا او في وليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع مالا
بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده
وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان
ماله اخلده تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت او طول امله حتى
حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد للحيوة الابدية الحقيقية هو السعي للآخرة
كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح
فيها وما ادراك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي
اوقدها الله وما اوقده لا يقدر ان يطفئه غيره التي تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب
وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البدن واشده تالما او لانه محل العقائد
الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة انها عليهم مؤصدة مطبقة من اطبقت الباب اذا اصدته
قال شعر تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة في عمد ممددة اي موثقين
في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل
ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول عليه السلام وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد
آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه
الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانها من الارهاصات اذ روي انها
وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول عليه السلام وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن
من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج
رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه
فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فاذا تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه
الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر و
في رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج من

دبر فهلكوا جميعاً وقرئ ألم تر جداً في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام ألم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها وأرسل عليهم طيراً أبابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى الضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنگ گل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفراً منه او كتبن اكلته الدواب وراثته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل عافاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وآيها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فسموا بها لانها تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لالاف بغير ياء بعد الهمزة فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وآمنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف الكعبة واعتكف بها

سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم أرأيت استفهام معناه التعجب وقرئ أريت بلا همزة الحاقاً بالمضارع ولعل تصدير بحرف الاستفهام سهل أمرها وأرأيتك بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعاً عنيفاً وهو ابو جهل كان وصياً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزوراً فسأله يتيم لحماً فقرعه بعصاه او الوليد ابن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم

ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر له ان كان للزكوة مؤدياً

سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه عليه السلام انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن فصل لربك فدم على الصلوة خالصاً لوجه الله تعالى خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكراً لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافاً لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية إن شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فيبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون مكية وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا أيها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطاً من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا أعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون ما أعبد اي فيما يستقبل لانه في قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف ولا انتم عابدون ما أعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوماً بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل انها مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذي انتم عليه لا تتركونه ولي دين الذي

انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن فى الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا باية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة
وتقرير كل من الفريقين الاخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة وقرأ نافع وحفص
وهشام بفتح الياء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكانما قرأ ربع القران وتباعدت عنه
مردة الشياطين وبرئ من الشرك

سورة النصر مدنية واياتها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح فتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله تعالى للمؤمنين
وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجئ تجوزا للاشعار بان المقدرات
متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن
مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل
مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رايت بمعنى ابصرت او مفعول
ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل
له حامدا على نعمه روى انه عليه الصلوة والسلام لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات
او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله تعالى بصفات
الجلال حامدا على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك
بالالتفات الى غيره وعنه عليه السلام انى لاستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك
وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رايت شيئا الا
ورايت الله قبله انه كان توابا لمن استغفر مذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح
مكة وانه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه الصلوة والسلام
ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر
الدين فهى كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت
سورة التوديع وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء اعطى من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية واياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت هلكت او خسرت والتباب
خسران يؤدى الى الهلاك يدا ابى لهب نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه
السلام لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا
واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخرته وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان
اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله او للتجانس
ولد ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل على بن ابو طالب وقرأ ابن كثير باسكان هاء لهب وتب
اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضى لتحقق وقوعه كقوله جزانى جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد

وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثانى عما عمل لنفسه ما اغنى عنه
ماله نفى لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه
او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذى ظن انه ينفعه او ولده عتبة
وقد افترسه اسد فى طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام
معدودة وترك ليلتين او ثلاثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب
طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز
ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامراته عطف على المستكن فى سيصلى او
مبتدا وهى ام جميل بنت حرب اخت ابى سفيان حمالة الحطب يعنى حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار
بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة
الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب
على الشتم فى جيدها حبل من مسد اى مما مسد اى فتل ومنه رجل ممسود الخلق اى مجدول وهو ترشيح
للمجاز او تصويرها بصورة الحطابة التى تحمل الحزمة وتربطها فى جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها
فى نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفى جيدها سلسلة
من النار والظرف فى موضع الحال والخبر وحبل مرتفع به عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت
رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابى لهب فى دار واحدة

سورة الاخلاص مختلف فيها واياتها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق
وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة التى بعدها ولا حاجة الى العائد لانها هى هو او لما سئل عنه اى الذى
سالتمونى عنه هو الله اذ روى ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت واحد
بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الاكرام اذ الواحد الحقيقى
لا يكون الا منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة
فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ
هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه فى قل يا ايها الكافرون ولا يجوز فى تبت ولعل ذلك
لان سورة الكافرون مشاقة الرسول وموادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه و
اما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد المصمود اليه فى الحوائج
من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج
اليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم
يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها

لم يلد

لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد اي ولم يكن احد يكافئه او يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلث بالعطف لان المراد منها نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل الثلث وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القران فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيمة والاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبعي كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر غاسق ليل عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل وانصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها اذا وقب دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه السلام ونزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل

بمقتضاه فانه لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان وغيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلاث وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

سورة الناس مختلف فيها وآيها ست بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الاضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمه وخصصها بالناس ههنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم ملك الناس اله الناس عطف بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير وتدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر الوسواس اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمي بفعله مبالغة الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم من الجنة والناس بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى

تمت

الحمد لله الذی وفقنا لاتمام هذا الکتاب المستطاب علی ما التزمنا من تصحیحه
وتوشیحه بحواش یکفی باشرحا وایضاحا وکشفا وافصاحا فجاء بحمد الله کما اردنا
وستجدونا انشاء الله من الصادقین فانا لا نقول وما کان لنا ان نقول انه سلیم
من الخلل والزلل حتی یصیر خبره مختبر بل دعوانا انا بذلنا مساعینا فی تصحیحه ثم
حله وتشریحه فان رایتم معه خللا فسدوه او خطاء فاصلحوه ولا تجعلوه نصبا
للناس فان الانسان یخطئ ویصیب ومن ذا الذی لا یخطئ ویصیب وانظروا افیه صواب
ام کله خلل واضطراب فان اعجبکم منه امر فاذکرونا بالدعاء لعل الله یرحمنا بکم وهو
ارحم الراحمین❁ سعیت الی ان حدت بالجهد کله❁ ولکن ما سعیی وجهدی وطاقتی❁ فان
کان فیه ما یسر وذا الرجا❁ فمن محض فضل الله لا من حذاقتی❁ وان کان من عیب ولست
اقول لا❁ یکون فمنی والجحود حماقتی❁ فلا تنس یا نظاره ان شفا صدرکم من دعاء الخیر
فعل الصداقة❁ ولا تفضحونا ان وجدتم خطاءنا❁ فکیف وقد اتعبت فی الجهد ناقتی❁

قال فی تاریخه المولوی رعایت الحق السهارنفوری

قد طبع البیضاوی بعون الحکم